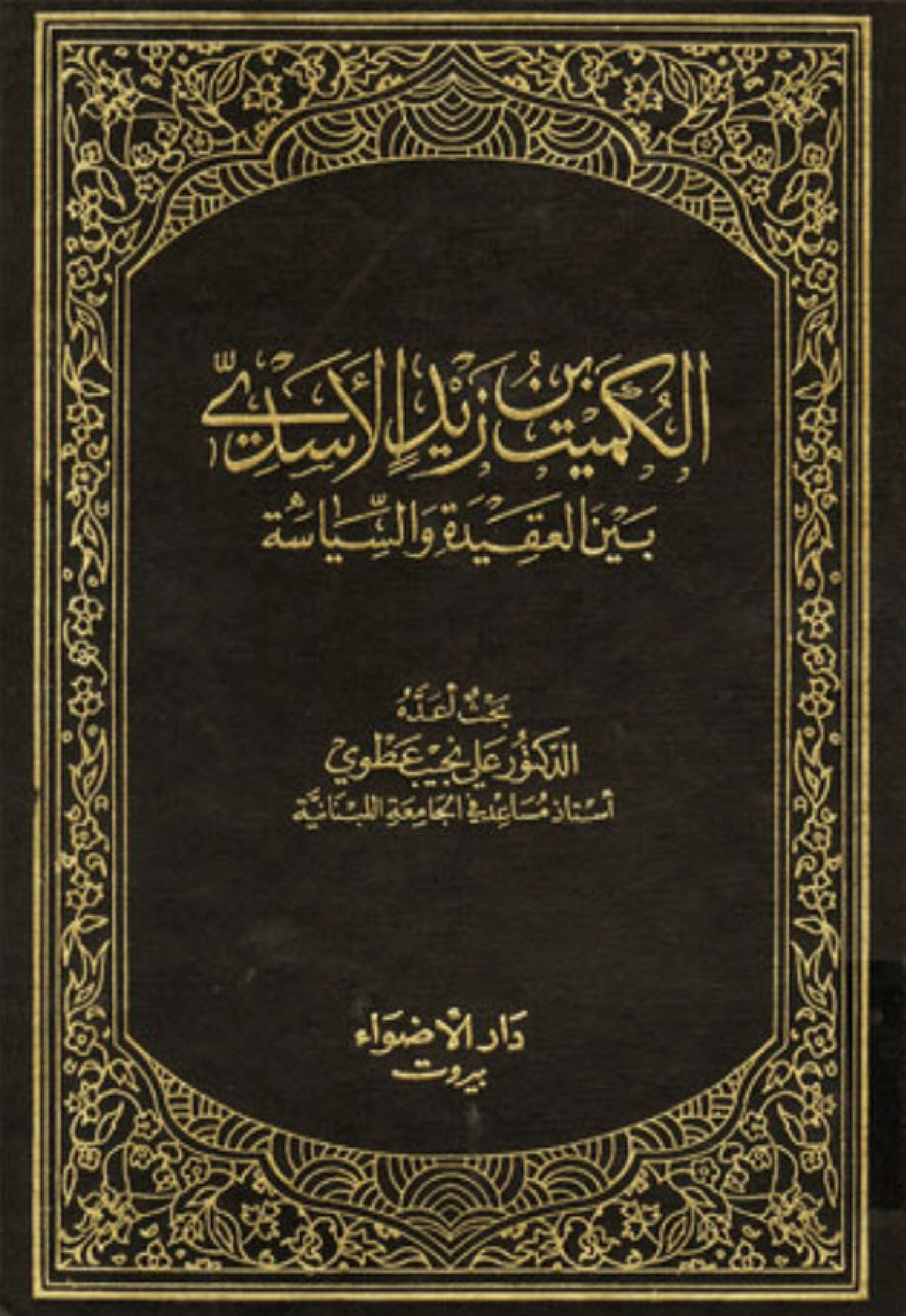

الكميت بن زيد الأسدي
بين العقيدة والسياسة
بحث أعدّه
الدكتور علي نجيب عطوي
أستاذ مساعد في الجامعة اللبنانية
دار الأضواء
بيروت


الكميت بن زيد الأسدي
بين العقيدة والسياسة

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

الطبعة الأولى

١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م




الغبيري - شارع عبد الله الحاج - ص.ب ٢٥/٤٠
برقيا: غبيري حسكو - بيروت - لبنان




بحث أعده
الدكتور علي نجيب عطوي
أستاذ مساعد في الجامعة اللبنانية






بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

# تمهيد

العصر الأموي من العصور الزاهية التي تعتبر الركيزة الأساسية الثانية بعد العصر الجاهلي لما بعدها من العصور ، ففي هذا العصر وضعت اللبنات الأولىٰ لكثير من الأفكار ، والموضوعات التي جاءت فيما بعد ؛ فشعر الزهد مثلاً نجد إرهاصاته الأولىٰ في العصر الأموي ، وكذلك الشعر المذهبي ، والشعر الإباحي[1] ، والقدرية والمرجئة، والمعتزلة وغيرها من المذاهب ، والإتجاهات الفكرية والفلسفية . لهذا كان على كل باحث في عصور متأخرة عن هذا العصر ، أن يعود إليه ، ليتتبع حركة التغيير من أين بدأت ، وإلى أين انتهت .

ولما كنت ممن تخصص في العصر العباسي ، ورأيت في نفسي شوقاً عظيماً للعودة إلى العصر الأموي ، لأنهل من ينابيعه الثرية ، فأروي ظمأ المعرفة عندي ، وأملأ الفراغ الذي كنت أشعر بوجوده في ذاتي نحو هذا العصر . وإذا كانت الرغبة في البحث في الأدب الأموي موجودة ، فإن التعرف على كنوز المعرفة فيه أمر يحتاج إلى كثير من الأبحاث والدراسات التي يصعب على الإنسان القيام بها ، فكان عليه أن يختار ما

---

(١) انظر اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني الهجري للدكتور محمد مصطفى هدارة (ص ١٥٤ ) الذي رأى أن أول من حمل لواء الإباحية في الشعر هو الوليد بن يزيد .

تستهوي نفسه من المعارف التي تتلاءم مع رغباته وميوله . وقد نظرت في حركة الصراع الفكري الذي شهده العصر العباسي ، وبروز المذاهب السياسية والشعرية نتيجة لذلك الصراع ، رأيت أن القوى السياسية الأساسية في ذلك العصر هي قوتان ؛ قوة الحكم والحاكمين ، وقوة المعارضة . فأما قوة الحكم فكانت بعد صدر الإسلام للأمويين ، وأما قوة المعارضة فكانت للهاشميين الذين بقوا في هذا العصر معارضين للحكم . لهذا كانت حركة الهاشميين السياسية سواء في العصر الأموي ، أو في العصر العباسي الذي أعقبه ، والذي فيه انتقل الحكم من أيدي العرب إلى أيدي الموالي فتغيرت التسمية ولم يتغير المحتوى ، كانت تلك الحركة تحتاج إلى دعاة ومناصرين أشداء لا يخافون اضطهاد الحكام ، وقساوتهم عليهم ، حتى ولو كان ذلك الاضطهاد ، أو تلك القسوة قد تؤدي إلى هلاك هؤلاء . لهذا رأيت في هذين العصرين نماذج من الرجال يختلفون اختلافاً كلياً عن غيرهم . وقد سجلت كتب التاريخ والأدب الكثير من المواقف التي وقعت لمثل هؤلاء ، ولفتت الأنظار إليها ، وأثارت حولها ضجة من التساؤل والآراء ، وانقسم الناس حولها بين معجب منها ، أو ساخط عليها ، وبين مسجل لهؤلاء المآثر ، أو مسجل عليهم المآخذ . ومن أبرز هذه الشخصيات في العصر الأموي نجد شخصيته الكميت بن زيد الأسدي .

وأهمية الكميت بن زيد الأسدي الأدبية لا تعود إلى مستواه الفني في الشعر ، أو إلى الكمية من الشعر التي نظمها ، فهنالك في عصره من الشعراء من فاقوه في هذا المجال، ولكن أهميته تعود إلى كونه رائداً في عصره لكثير من المواقف ، والموضوعات التي وقفها أو سجلها ، فهو أول من بذر بذرة الشعر المذهبي العقائدي الذي تجلّت صورته ومعالمه في أجلى صورها في العصر العباسي ، حيث ظهر في هذا العصر الشعر المذهبي ، وظهر معه شعراؤه على اختلاف أنواع العقائد والآراء الفكرية ،

أو الفلسفية التي ظهرت في ذلك العصر ، ومنها بالطبع الشعر الشيعي ، وشعراء الشيعة ، إلى جانب شعراء المعتزلة ، والمرجئة ، والقدرية وغيرها . وقد امتلأت بطون الكتب التاريخية والأدبية بالأخبار التي تتحدث عن الكميت بن زيد ، وسجّلت له من الأحداث التي قد بلغت في بعض الأحيان درجة المغالاة ، وهو ما سنتعرض للحديث عنه في موقعه . وقد حاولت البحث عن الكتب أو الأبحاث القديمة أو الحديثة التي تعرضت لظاهرة العقيدة عند الكميت ، فلم أجد أحداً من الباحثين حاول أن يخوض في هذا المجال ، وإن كان هناك من تحدث عنه في بحث مستقل ضمن الإطار السياسي والعقائدي ، كبحث أحمد صلاح الدين نجا الكميت بن زيد الأسدي شاعر الشيعة السياسي في العصر الأموي ، الذي تحدث فيه عن حياة الكميت وفنّه الأدبي وآرائه السياسية منها والدينية ، هذا بالإضافة إلى الأبحاث التي تناولته بشكل جزئي ضمن أبحاث عامة ، كتاريخ الشعر السياسي لأحمد الشايب وفيه يتناول مواقف الكميت السياسية ضد الأمويين . وكيف استخدم أسلوب الاحتجاج والمنطق وعلم الكلام الذي أخذه عن واصل بن عطاء لدعم حقوق الهاشميين ، وتبيان حقهم الشرعي في الحكم باعتبارهم ورثة النبي (ص) فأعلن ما أضمره الناس ، وجاهر بما أخفي . ثم كتاب ( الفرق الإسلامية في الشعر الأموي ) لنعمان القاضي وفيه يبين آراء النقاد القدامى والمحدثين التي تقول أن مدح الكميت لبني هاشم هو أقل منزلة من مدحه لبني أمية بسبب طمعه في دنياهم ، بينما هو يرى العكس من ذلك ، إذ يرى أن مدحه للطالبيين لم يقف عند طالبي بعينه لأنه كان بصدد الدفاع عن نظرية معينة ، بينما كان مديحه لبني أمية مهتماً بشخوصهم فقط ، وفرق بين مدح الأشخاص والدعوة لنظرية معيّنة وكتاب ( العصبية القبلية وأثرها في الشعر الأموي ، لإحسان النص ، وفيه يرى ما رآه غيره من المؤرخين القدماء أن الكميت كان مغالياً في ولائه السياسي لبني هاشم ، وفي ولائه القبلي للنزارية ضد اليمنية ، ولست أدري ما المقصود بعبارة ( المغالاة ) هل يعني هذا أن

الكميت كان من الفرق المغالية والتي خرجت عن الدين لأخذه ببعض الأراء الخارجة عن الإسلام ، أم أن كل من ناصر بني هاشم هو من المغالين ، فهذا مما لم يوضحه الكاتب في بحثه ، بل أطلق العبارة بشكل عام دون تحديد . ثم نجد كتاب (التطور والتجديد في الشعر الأموي) لشوقي ضيف وفيه يحاول الكاتب أن يبيّن أن الكميت كان زيدي المعتقد ، وأنه كان متناقضاً بين شيعته ومضريته ، وأنه لم يستطع أن يتجاوز العصبية القبلية إلى العصبية السياسية ، ولكنه اقتصر في وجهة نظره هذه على أن الكميت كان موقفه معتدلاً بالنسبة لخلافة أبي بكر وعمر ، ثم من موقفهما من ( فدك ) التي قيل أن النبي (ص) أوصى بها لفاطمة ابنته ، ثم مناصرة الكميت لقومه عندما تعرض لهم حكيم بن عياش الكلبي الشاعر الذي كان يتعصب لليمن ضد مضر ، في حين نرى الكاتب يناقض هذا الرأي حين يقول أن الكميت أراد أن يحدث بشعره الذي قاله ضد اليمن فوضى في العراق بين اليمنية والمضرية ، فينفذ من خلال ذلك إمامه زيد إلى ما يريد من ثورة أو انتفاض على الدولة»[1]. ألا نرى في هذا التصرف تحولاً كبيراً من الكميت عن العصبية القبلية إلى العصبية السياسية .

ثم كتاب ( حياة الشعر في الكوفة ) ليوسف خليف الذي توسّع فيه بعض الشيء عن غيره في حديثه عن الكميت ، وخاصة فيما يتعلق بوضعه السياسي ، ثم مستواه الفني في الشعر . فقد رأى أن الكميت جاء بأشياء جديدة كان رائداً فيها . فهو مثلاً لا يبدأ قصائده بمقدمات تقليدية تدور حول الوقوف على الاطلال ، وبكاء الديار ، ووصف الدمن والآثار كما كان يفعل غيره من الشعراء ، وإنما تدور مقدماته في عكس هذا الاتجاه . ثم الطابع التقريري النثري الذي هو أثر من آثار نزعة الكميت الخطابية .

والسبب في ذلك يعود إلى كونه يقف في شعره موقف المحامي المدافع عن معتقده ، أكثر من كونه يقف موقف الشاعر التقليدي .

---

(١) انظر التطور والتجديد في الشعر الأموي لشوقي ضيف ص ٢٦٩ .

وللمستشرقين أيضاً رأيهم الخاص في الكميت . ففي كتاب ( السيادة العربية والشيعة والإسرائيليات في عهد بني أمية ) نجد لفان فلوتن رأي يقول : إن الكميت أول من أشار في شعر إلى الرايات السود كشعار للهاشميين . ويقول جولدزيهر : إن الكميت أول من استعمل كلمة ( تقية ) في معناها الاصطلاحي في قوله :

وإني ، على أني أرى في تقية أخالف أقواماً لقوم لمُزْيَلُ

ويقول دي جويه في مقال له عن الكميت : إن قيمة شعر الكميت الأدبية أقل من قيمته السياسية والتاريخية[1] .

ويرى كارل بروكلمان : أن شعر الكميت شاع بين الشيعة بعد وفاته ، حتى عارض كل من دعبل وابن عيينة قصيدته المذهبة ( في تفضيل النزارية على اليمانية ) وأجابهما عنها أبو الذلفاء البصري مولى بني هاشم[2] .

هذا بالإضافة إلى المصادر القديمة التي تحدثت عن الكميت بشيء من التفصيل ناقلة ما قاله الرواة والنقاد عن آراء الكميت السياسية ، وما جاء به من النواحي البيانية والإبداعية . أو ما أصاب شعره من خلل ؛ فالمرزباني في كتابه الموشح تحدث عنه بشيء من التفصيل مركزاً على مواطن الحسن أو القبح في شعر الكميت كما رآه النقاد القدامى ، وأغلب الآراء فيه تتناول الناحية اللغوية والناحية النحوية ، وأبو الفرج الأصفهاني في كتابه ( الأغاني ) يتناول حياة الكميت واتجاهه السياسي . وما قيل فيه من آراء تدور حول شعره ومذهبه السياسي . وابن قتيبة في كتابه ( الشعر والشعراء ) يتناول ما قيل فيه من أخذ عن غيره من المعاني والتشبيهات ،

---

(١) أدب الخوارج في العصر الأموي ـ لسهير القلماوي ص ١٣٠ واتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني ص ٣٧٦ .

(٢) تاريخ الأدب العربي ـ ط ٢ ـ دار المعارف بمصر ـ ج ١ ص ٢٤٣ .

والجاحظ في كتابه ( البيان والتبيين ) يتحدث عن انتماء الكميت السياسي ، وما قاله عنه النقاد متناولين النواحي البلاغية عنده .

وكذلك مروج الذهب للمسعودي ، والعقد الفريد لابن عبد ربه ، وكتاب العمدة لابن رشيق وغيرها من المصادر الكثيرة تحدثت عن الكميت ، وإن كانت أغلبها تلتقي حول نقاط معينة عن الكميت . وأغلب المراجع الحديثة عيال على المصادر القديمة في حديثها عمّا يتعلّق بالكميت ، فقد أخذت عنها آراءها فيما يختص بالاستحسان ، أو نقد واستهجان ، إلّا ما قلَّ من الباحثين الذين حاولوا أن يصلوا إلى كنه الحقيقة التي عليها الكميت انطوى ، أو الواقع الذي إليه انتمى .

وقد تمنيت في قرارة نفسي وأنا أعد العدة للقيام ببحث عن الكميت أن أجد من يشبع غريزتي في حب الاستطلاع والتقصي حول بعض المواقف التي وقفها الكميت ، كقضية انتمائه السياسي العقائدي الحقيقي ، وقضية تقصيره في تقليد شعراء البادية فيما أتوا به ، وأنه وقف بينهم بمنزلة الوسط ، ولم يستطع مجاراتهم في كثير من الأوصاف رغم ما قيل أنه كان له جدتان أدركتا الجاهلية ، وكانتا تمدانه بالتشابيه والأوصاف ، وذكر ما أبدعه الكميت فكان فرداً أو علماً فيها في عصره ، كريادته للشعر المذهبي الذي يعود إليه الفضل في وضع لبناته الأولى ، والتي تحوّلت إلى بناء شامخ في العصر العباسي . وقضية الوقوف على الاطلال ووقوفه منها موقف السلبية والمهاجمة ، فكان بذلك أول من تجرأ على الخوض في هذا المضمار ، والذي قلده فيه فيما بعد أبو نواس, وغيره من الشعوبيين . ونظريته في جعل حديثه عن رحلته إلى الممدوح ، وما يستتبع ذلك من وصف الناقة والصحراء ، وما فيها من حيوان ، وما يدور من صراع بين هذه الحيوانات الوحشية والصيادين ، فالكميت يؤجل الحديث عن هذه الأشياء إلى نهاية القصيدة ، بينما هذه الأمور تأتي عند غيره من الشعراء في سياق القصيدة قبل المدح .

وقد رأيت أن أي بحث مهما حاول صاحبه أن يبلغ فيه درجة الكمال يبقى في النهاية دون الأمل المرتجى ، والهدف المقصود في نظر غيره ، مما يستتبع من غيره من الباحثين في إكمال النقص الذي وقع فيه . من هذا المنطلق وجدت في نفسي الرغبة في إكمال ما بدأ غيري من الباحثين حول شخصية الكميت ، لأجيب عن التساؤلات التي خطرت ببالي بعد قراءتي المتمعنة لشعر الكميت ، وبعد اطلاع على ما قالته المصادر القديمة ، والمراجع الحديثة عن الكميت . فأدلوا بدولي بين هذه الدلاء في بحر الكميت ، لعلي أطلع بعدها بلؤلؤة أزين فيها معرفتي. وأشبع بها رغبتي ، وأحقق عن طريقها أملي .

اتّخذت قراراً بدراسة الكميت ، لاستكمال دراسة ما تركه غيري من نقص عن الكميت هذا أمر ، والأمر الأهم من ذلك كله ، هو إعجابي بتلك الشخصية ، لا لكونها اتخذت منحاً سياسياً أعجب به ، بل لأنها تمثل رمزاً للشخصية العقائدية المثالية التي آمنت بالنظرية ، ثم عملت على تحقيقها قولاً وفعلاً ، وهذا للأسف لا نجده إلاّ ما ندر عند غيره من العقائديين قديماً وحديثاً ، وأغلب الناس تميل إلى عقيدة ما ، بقدر ما هي تستفيد منها ، وبقدر ما تكون بعيدة عن جلب الأذى لها ، فإذا ما تعرضت لمثل تلك الأصناف، رأيتها تفرّ من معتنقها كما يفرّ السليم من اللديغ.

ونظرت إلى المادة التي سوف تتحدث عن الكميت فرأيت أنها يمكن أن تقسم منهجياً إلى أربعة فصول :

**الفصل الأول** : خصصته للحديث عن أصول الكميت ـ نسبه ـ أسرته ـ حياته ـ ثقافته وانتماؤه السياسي .

**الفصل الثاني** : خصص للحديث عن عقيدة الكميت .

**الفصل الثالث** : قارنت فيه بين شعره الذي قاله في الأمويين ، وشعره الذي قاله في العلويين .

الفصل الرابع : خصص للحـديث عن شعـر الكميت في ميـزان النقـد الأدبي .

الـخـاتـمـة : وجـاءت عبارة عن خـلاصة لأهم النتـائج التي تـوصلت إليها في البحث ، والتي يمكن أن تكون أشيـاءً جديـدة أضيفت إلى ما توصـل إليه البـاحثون حـول الكميت من معلومات .

وإن أفضـل ما أرجـوه في هذا البحث ، أن أكـون قد سلطت الأضـواء على بعض النـواحي التي لم تسلط عليها الأضـواء ، فأكـون قد قمت بعمـل أخـدم فيه النهـج القويم ، والـرؤية الصحيحـة للقضـايـا الأدبيـة ، والله ولي الأمر والتوفيق .

**د. علي نجيب عطوي**

# الفصل الأول

# أصول الكميت ـ نسبه ـ أسرته ـ حياته
# انتماؤه السياسي وثقافته

## أ ـ نسب الكميت وانتماؤه السياسي :

قبل التعرف على الكميت بن زيد الأسدي تعرفاً كاملاً من الناحية العقائدية ، والتوجه السياسي ، يجدر بنا التعرف على البيئة التي عاش فيها الكميت ، أو على المجتمع الذي ترعرع فيه هذا الشاعر .

ينتمي الكميت بن زيد الأسدي إلى قبيلة بني أسد هذه القبيلة التي ذاع صيتها في آفاق الجزيرة العربية قبل الإسلام وبعده ، فهي التي اشتهرت بعنادها على احترام شخصيتها ، والمحافظة على كرامتها ، وعدم الخضوع للظلم مهما كانت التضحيات في سبيل خدمة ذلك ؛ فقد خاض بنو أسد قبل الإسلام ، أي في أيام الجاهلية معارك شبه متواصلة مع الحكام الذين ليسوا من أبنائهم ، والذين حاولوا التسلّط عليهم ليزيحوا سلطة هؤلاء عنهم ، ناهيك عن المعارك الأخرى التي خاضوها مع القبائل المختلفة لإثبات وجودهم ، وتدعيم مكانتهم بين القبائل . لهذا عُزَّ جانبهم وخشي بطشهم ، وتسابقت القبائل للتحالف معهم . لكن الاعتزاز بالنفس ، والمحافظة على الكرامة ، والشرف ، ليست دائماً تؤخذ بالأمر الهيّن ، بل تكلّف غالياً من التضحيات على المستويين المعيشي ، والبشري .

يتضح ذلك أكثر ما يتضح في تلك الحرب المريرة التي خاضها الأسديون ضد الكنديين ؛ إذ كان بنو أسد يشكلون جزءاً من مملكة كندة النجدية التي كانت تقابل مملكة الغساسنة في الشام ، ومملكة المناذرة في العراق ( الحيرة ) ، وبين مملكة الحيرة ومملكة الغساسنة قامت مملكة ثالثة في شمال نجد كان ملوكها يدينون فيما يظهر ـ بالولاء لليمن ـ وهي مملكة كندة ، وكان ظهورها في القرن الرابع الميلادي . وكان أشهر ملوكها في القرن الخامس حُجْر . وقد استطاع أن يفرض سيادته على القبائل الشمالية في نجد وأن يمد نفوذه إلى اليمامة وتخوم إمارة المناذرة ، ويقال : إن بكراً وتغلب دانتا له بالطاعة . وخلفه ابنه عمر والمقصور وقد يكون في هذا اللقب ما يدلّ على أن سلطانه كان محدوداً .

وفي أيامه تولى الحكم في بلاد فارس الملك قباذ الذي اعتنق المزدكية ، واتخذها ديناً رسمياً للدولة ، وحاول أن يفرضها على المناذرة فأبى المنذر ، فعزله ( قباذ ) وولى مكانه الحارث بن عمرو ملك كندة ، ولكن سرعان ما تطورت الأمور فتوفي قباذ ، وخلفه كسرى انو شروان ، وكان يكره المزدكية ، والمزدكيين ، فأعاد المنذر إلى حكم الحيرة ، ونشبت بينه وبين الحارث الكندي حروباً طاحنة . وكان الحارث هذا قد أقام على بكر ابنه شرحبيل وعلى تغلب ابنه معد يكرب ، وعلى بني أسد ابنه جُحْراً ، وعلى قيس عيلان ابنه سلمة . وعندما انتصر المنذر على الحارث في معركة قتل فيها أكثر من أربعين أميراً من أُمراء كندة ، راح يدس بين أبناء الحارث ، فتحاربوا وسقط شرحبيل وسلمة في ميادين الحرب ، وجُنَّ معد يكرب ، وانتفضت قبيلة أسد على حُجْر وقتلته . ويروي صاحب الأغاني أربع روايات مختلفة في مقتله[1] وأصدق هذه الروايات أن حجراً كان له على بني أسد أتاوة يؤدونها كل عام ، فلما قتل

---

(١) انظر الأغاني طبعة بولاق ج ٨ ص ٦٦ ـ ٦٧ .

أبـوه ، أرسل إليهم جبـاته فمنعـوهم وضربـوهم ضربـاً مبرحـاً ، فسـار إليهم حجر بجند من ربيعة ، وقيس ، وكنانـة ، فاستسلمـوا له ، فـأخذ سـادتهم ، وجعـل يقتلهم بالعصـا فسموا عبيـد العصا ، وأبـاح أمـوالهم ، وطـردهم من منازلهم في جنوب وادي الرقة إلى تهـامة ، وحبس سيـدهم عمرو بن مسعـود الأسـدي ، وشاعـرهم عبيد بن الأبـرص[1] ، وقد استعـطفـه بقصيـدة يقـول فيها :

أنـت المـليـك عـليـهـم وهـم العـبيـد إلى الـقـيـامـة

فـأثر ذلـك في نفس حُجْر وعفـا عنهم ، ولكنهم أضمـروا لـه الإنتقـام وأصابوا منه غرة فقتلوه في قبته ، ونهبوا ما كان معه من أموال .

وعنـدما جـاء الإسلام ، رأينـا هـذه القبيلة تقف ضـد الـدين الجـديـد وتقـاومـه ، وأثـاروا في وجـه النبي (ص) عـدة مـواقف عصيـان لكنهم في النهاية أسلموا بعد أن أصابهم الجفاف ، والمجـاعة ، فجـاءوا طائعين للنبي (ص) ، وأسلمـوا على يديـه . لكن الإسلام لم يتمكن من نفـوسهم إلاَّ بعد أن انتشر في العراق .

وعنـدما جـاء الأمويـون إلى الحكم ، رأيت الأسديين يتخـذون مـوقفـاً سيـاسياً مـوالياً لآل البيت ، ومعـارضاً للحكم الأمـوي، فهم مثلاً وقفـوا مـع الإمـام الحسين (ع) في كـربـلاء ، وقـاتلوا معــه واستشهـد منهم في هــذه المعركة أبطال .

وعنـدمـا فشلت ثـورة الحسين (ع) بقي الأسـديـون مـوالين لآل البيت بحماسة كبيرة ؛ وإذا كانت الظروف السياسية القاسيـة التي فرضهـا الأمويـون

---

(١) أبو عمرو الشيباني هو عبيد بن الأبرص من بني مضـر شاعـر فحل فصيـح من شعراء الجـاهلية وجعله ابن سـلام في الطبقـة الرابعـة من فحول الجـاهلية وقـرن به طـرفة وعلقمة . وكان شاعر بني أسد غير مدافع قتله المنذر عندما وفد عليه في بؤسه .

على الناس قد أملت عليهم بعض المواقف تجاه الأمـويين فهذا لا يـدل أبداً على تغيرهم العقائدي أو السياسي .

هـذه الأحوال السيـاسية والاجتمـاعية هي التي كـانت سـائـدة عنـدمـا أبصرت عينا الكميت النور ، فكان من الطبيعي أن يتأثـر بهذه الأجـواء ، وأن يشب على حب من أحبهم قـومـه ، ليتحـول عنـده هــذا الحب إلى قضيـة عقائدية ، وانتماء سياسي .

وإذا كان الشعراء في أغلبهم قد عودونـا الحديث في كثيـر من شعرهم عن قبيلتهم ، والافتخـار بهـا ، وببـطولـة أبنـائهـا ، وتمـرسهم في الحـروب والصبـر على الشدائـد ، فإن الكميت يغـاير هؤلاء في هـذا الرأي ، ويتخـذ لنفسه مفتخراً جديداً هو الافتخار بالمعتقد المذهبي الديني .

والآن نـريد أن نتعـرف على هذه الشخصيـة ، وعلى مراحـل حيـاتهـا حتى قضت في سبيل معتقدها .

## مولد الكميت ونشأته :

ولد الكميت كما يقـول المؤرخون أيـام مقتل الإمـام الحسين (ع) سنة ٦٠ هـ . مـن أبـوين فقيرين ليس لهمـا المكانـة المـرمـوقـة بين عشيـرتـه ، بدليل تغاضيه عن ذكرهما ، أو ذكر شيء عن أحوال ذويهما .

فـأبـوه زيـد بن خنيس ينتهي نسبـه إلى مضـر بن نـزار[١] ومنـــزلـه في الكوفة . ويكنى الكميت بأبي المستهل .

كانت الكوفة في الحقبة التي شب فيها الكميت تموج بتيـارات فكريـة عـديدة في منـافسة رائعـة مـع البصـرة في جميـع شعب الثقـافـة المعـروفـة آنـذاك . فمدرسـة الكوفـة ومدرسـة البصرة النحـويتان أشهـر ممن أن تعـرفـا وكذلك علم الكلام والفقه وغيرها.

---

(١) الأغاني ج ١٧ ص ١ طبعة دار الكتب.

أخذ الكميت يختلف إلى دروس العلماء ليتلقن عنهم الفقه ، والحديث وأيام العرب وأنسابهم ومثالبهم . ويقال : إنه كان له جدتان أدركتا الجاهلية ، فكانتا تصفان له البادية وأمورها ، وتخبرانه بأخبار الناس في الجاهلية ، فإذا شكّ في شعر أو خبر عرضه عليهما فيخبرانه عنه .

فمن هناك كان علمه[١] ، ولهذا قيل من صحح الكميت نسبه صح ومن طعن فيه وهن[٢] .

كان الكميت في أيام بني أمية ، ولم يدرك الدولة العباسية ومات قبلها . وشاركه في اسمه ثلاثة من بني أسد بن خزيمة ؛ هم : الكميت الأكبر بن ثعلبة بن نوفل ، والكميت بن معروف والكميت بن زيد[٣] . نبغ الكميت بن زيد في الشعر وهو صغير ، وكان لا يذيعه ، وامتهن في شبابه مهنة التعليم ، فقد روى صاحب الأغاني عن الأصمعي عن خلف الأحمر : إنه رأى الكميت يعلم الصبيان في مسجد الكوفة[٤] . ليس كل ما ذكرنا هو فقط ما يتصل بمعرفته وثقافته ، بل إننا نجده أيضاً يتتلمذ لواصل بن عطاء وأن يكون من المعتزلة في طريقة جدله وحوّاره واستدلاله ولهذا قيل عنه أنه كان فقيه الشيعة .

ويظهر من مجموع أخبار الكميت بن زيد أن حياته لم تكن هادئة ؛ فقد كان يناصر الشيعة في الكوفة ، وكانت الثورة تتأجج هناك فزيد بن علي يتأهب للخروج ، وهو على خصام شديد مع خالد القسري والي العراق لهشام بن عبدالملك ، ومن الطبيعي أن يتخذ الكميت موقفاً معادياً لخالد

---

(١) الأغاني ج ١٧ ص ٣٠ طبعة دار الكتب.
(٢) خزانة الأدب ج ١ ص ١٤١ .
(٣) المؤتلف والمختلف للآمدي ص ٢٥٧ .
(٤) الأغاني ج ١٥ ص ١١٣ طبعة بولاق.

ومناصراً لزيد . لكن هذه المخاصمة والمعاداة بين الكميت وخالد لم تكن موجودة بالمعنى الصحيح إلّا بعد أن استدرج إليها الكميت استدراجاً . فقد ذكر الرواة أن معركة عصبية قبلية كانت قد نشأت بين اليمنيين والمضريين وراح الشعراء عند كل قبيلة يهجون القبيلة الأخرى ، ويثلبوها بأقبح المثالب ، فمن الجانب اليمني كان الشاعر حكيم بن عياش الكلبي ، ومن الجانب المضري كان شعراء عديدون[1] . لكن الأخبار كانت تظهر أن حيكم بن عياش هذا كان يبز الشعراء المضريين بشهادة الكميت الذي كان يقول مخاطباً شعراء قومه : هو والله أشعر منكم . قالوا : فأجب الرجل . قال : إن خالد بن عبدالله القسري محسن إليَّ فلا أقدر أن أرد عليه . قالوا : فاسمع باذنك ما يقول في بنات عمك وبنات خالك من الهجاء ، وأنشدوه ذلك . فحمي الكميت لعشيرته فقال المذهبة :

ألا حييت عنا يا مدنيا ... وهل بأس بقول مسلمينا[2]

وكما كان الكميت محطاطاً في اغضاب خالد القسري ، كذلك كان شأن هذا ، فعندما أبلغ خبر القصيدة . قال : لا أبالي ما لم يجر لعشيرتي ذكر فأنشدوه قول الكميت :

ومن عجب علي لعمر أمٍّ ... غدتك وغيرها تيا يمينا
تجاوزت المياهَ بلا دليل ... ولا عَلم تعسُّفَ مخطئينا
فإنك والتحول مِنْ مَعَدٍّ ... كهيلةَ قَبْلَنَا والحالبينا
تخطت خيرهم حَلَباً وَنَسْئاً ... إلى الوالي المغادر هاربينا[3]
كعنز السوء تنطح عالفيها ... وترميها عِصيٌّ الذابحينا[4]

---

(١) خزانة الأدب للبغدادي ج ١ ص ٦٩ .
(٢) الأغاني ج ١٧ ص ٩ .
(٣) النسء : اللبن الرقيق الكثير الماء .
(٤) الأغاني ج ١٧ ص ٩ طبعة دار الكتب .

فقال خالد : فعلها ! والله لأقتلنه . ثم اشترى حسب ما يروي صاحب الأغاني ثلاثين جارية بأغلى ثمن ، وتخيرهن نهاية في حسن الوجوه ، والكمال والأدب ، فرواهُنَّ الهاشميات ، ودسهن مع نخاس إلى هشام بن عبدالملك ، فاشتراهن جميعاً ، فلما أنس بهن استنطقهن ، فرأى فصاحة وأدباً ، فاستقرأهن القرآن ، فقرأن ، واستنشدهن الشعر ، فأنشدنه قصائد الكميت الهاشميات . فقال ويلكن ! من قائل هذا الشعر؟ قلن : الكميت بن زيد الأسدي . قال : وفي أي بلد هو ؛ قلن : في العراق ، ثم الكوفة . فكتب إلى خالد وهو عامله على العراق : إبعث إليَّ برأس الكميت بن زيد ، فبعث خالد إلى الكميت في الليل ، فأخذه وأودعه السجن[1].

من هنا ابتدأت المعركة الحقيقية بين الكميت وبين خالد القسري ، وتخلَّىٰ كل منهما عمّا كان يحطاط به تجاه الآخر ، وأصبح الكميت مهدداً في حياته التي لم تعد تعرف الاستقرار أو الأمان ، إذ فتحت الأعين عليه ، وراحت الأصابع تشير إليه كشاعر يشكل خطراً على سمعة الأمويين وولاتهم ، ونصيراً للهاشميين ، فكان هذا كافياً لمحاربته ، ومحاولة قتله للقضاء على ما يحمل في نفسه من مبادىء .

وقد أتيح للكميت أن يهرب من السجن بحيلة من الحيل حاكها له أحد الأصدقاء ، ولكن هروبه من السجن فرض عليه أن يتوارى عن الأنظار فترة طويلة من الزمن قيل عشرون سنة .

لكن الكميت أراد أن يخرج إلى العلانية مهما كانت النتيجة ليكمل رسالته التي ابتدأها . فراح يتحين الفرص لتحقيق هذه الغاية .

وقد تحققت له هذه الفرصة صدمة ، إذ أن مَسْلمة بن عبدالملك

---

(١) الأغاني ج ١٧ ص ٩ ـ ١٠ .

خرج إلى بعض صيوده ، فأتى الناس ليسلموا عليه ، فانتهز الكميت الفرصة وأتاه فيمن أتىٰ ، فقال : السلام عليك أيُّها الأمير ورحمة الله وبركاته ، أما بعد :

قِفْ بالدِّيار وُقوفَ زائِرِ ... وتَأَنَّ إنَّكَ غيرُ صاغرْ

حتى انتهى إلى قوله :

يَا مَسْلَم بن أبي الوَليـ ... ـد لميِّت إن شِئْت ناشِرْ
عَلقتْ حِبالي من حِبا ... لِك ذِمَّةَ الجار المُجاوِرْ
فَالآن صِرْتُ إلَىٰ أُمَيَّـ ... ـة وَالأُمورُ إلى المَصَائِرْ
والآن كُنتُ به المصيـ ... ـبَ كَمُهْتَدٍ بِالأمْسِ حَائِرْ

فَقَال مُسْلمة : سبحان الله ، من هذا الهندكي الجِلْحاب[1] الذي أقبل من اخريات الناس فبدأ بالسلام ثم أما بعد ثم الشعر؟ قيل له : هذا الكميت بن زيد ، فأعجب به لفصاحته وبلاغته فسأله مسلمة عن خبره ، وما كان فيه طول غيبته ، فذكر له سخط هشام عليه ، فضمن له مَسْلمة أمانه ، وتوجه به حتى أدخله على هشام ، وهشام لا يعرفه . فقال الكميت : السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته ـ الحمد لله ـ قال هشام : نعم ، الحمد لله يا هذا . قال الكميت : مبتدئي الحمد ومُبْتدعه ، والذي خص بالحمد نفسه ، وأمر به ملائكته ، وجعله فاتحة كتابه ، ومنتهى شكره ، وكلام أهل جنته أحمده حمد من علم يقيناً ، وأبصر مستبيناً ، وأشهد له بما شهد به لنفسه قائماً بالقسط ، وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده العربي ، ورسوله الأمي ، أرسله والناس في هبوات[2] حيرة ، ومدلهمات ظلمة ، عند استمرار أبهة

---

(١) الهندكي ( بكسر الهاء والدال ) : الرجل من أهل الهند. والجلحاب ( بالكسر ) الشيخ الكبير ( العقد الفريد ج ٢ ص ١٨٣ ).

(٢) الهبوات : الغبرات ، وإذا سطعت في الجو وانتشرت عميت بها المسالك .

الضلال ، فبلغ عن الله ما أمر به ، ونصح لأمته ، وجاهد في سبيله ، وعبد ربه حتى أتاه اليقين ، صلى الله عليه وسلّم . ثم إني يا أمير المؤمنين تهت في حيرة وحرت في سكرة ، ادلَأمْ[1] . بي خطرها ، وأهاب بي داعيها ، وأجابني غاويها ، فاقطوطيت[2] إلى الضلالة ، وتسكمت في الظلمة والجهالة ، حائداً عن الحق ، قائلاً بغير صدق ، فهذا مقام العائذ ، ومنطق التائب ومُبْصَر[3] الهدى بعد طول العمى .

ثم يا أمير المؤمنين ، كم من عاثر أقلتم عثرته ، ومُجْترم عَفوتم عن جُرمه . فقال له هشام ، وأيقن أنه الكميت : ويحك ! من حسن لك الغوايه ، وأهاب بك في العماية؟ قال : الذي أخرج أبي آدم من الجنة فنسي ولم يجد له عزماً ، وأمير المؤمنين كريح رحمة أثارت سحاباً متفرقاً فلفقت بعضه إلى بعض حتى التحم فاستحلم وهدر رعده ، وتلألأ برقه ، فنزل الأرض فرويت واخضلت واخضرت واسقيت فروي ظمآنها ، وامتلأ عطشانها فكذلك نعدك أنت يا أمير المؤمنين ، أضاء الله بك الظلمة الداجية بعد العموس[4] فيها ، وحقن بك دماء قوم أشعر خوفك قلوبهم ، فهم يبكون لما يعلمون من حزمك وبصيرتك ، وقد علموا أنك الحرب وابن الحرب ، إذا احمرت الحدق ، وعضت المغافر بالهام ، عز بأسك واستربط جأشك ، مسعاد هتاف وكافٍ بصير بالأعداء ، فعري الخيل بالتكرار ، مستغنٍ برأيه عن رأي ذوي الألباب ، برأي أديب وحلم مصيب ، فأطال الله لأمير المؤمنين البقاء ، وتمم عليه النُعماء ودفع به الأعداء ، فرضي عنه هشام وأمر له بجائزة[5] .

---

(١) ادلام : ادلهم .

(٢) اقطوطن : قارب في مشية مع نشاط .

(٣) مبصر : أي مكان الإبصار .

(٤) عمس : ( ككرم وفرح ) عماسة وعموساً ، أظلم واسود .

(٥) العقد الفريد : ج ٢ ص ١٨٤ ـ ١٨٥ .

يقف الكُميت أمام هشام بن عبدالملك موقف الخطيب الواعظ المتكلم الحكيم ، الذي يريد أن يبين قضية من القضايا ، ومع كل قضية لا بد من الاستدلال ، والتوضيح ، والسيطرة على المشاعر عن طريق الاقناع ، وبالتالي التسليم بصحة ما يقال :

والكميت كما سبق وذكرنا ناقد تمرس بروح الجدل والحوار والإستدلال الذي أخذه عن المعتزلة ، وهذا السلاح يشهر في ساعة الضيق والحرج ، وأي موقف أحرج ، وأضيق من الموقف الذي يقفه الكُميت أمام هشام وهو المتهم بهجاء الأمويين وشتمهم ، ومدح الهاشميين والثناء عليهم ؟ من هنا فكّر الكميت بالمدخل الذي سيدخل به على هشام ذلك الرجل الذي قيل عنه أنه كان « أحولَ خشناً فظاً غليظاً »[1] فكان لا بد من التسليم والحمد . ويقف الكُمَيت عند كلمة حمد ليفسر مدلولها اللفظي ، ويبين محتواها المعنوي ؛ فإذا هي كلمة قد خصَّ الله نفسه بها دون سواه ، وما أمر به ملائكته ، وجعلها خاتمة كتابه ، ومنتهى شكره ، وكلام أهل جنته ، ثم يحمد الكميت الله تعالى حمد رجل آمن به لعلمه بوجوده علم اليقين ، وإبصاره له إبصار المستبين ، ويشهد له بالوحدانية . ثم يشهد أن محمداً العربي الأُمّي هو رسوله للنّاس جاءهم وهم في حالة مخزية ، من الحيرة والتواه ، والضلال ، فنصح لأُمّته وجاهد في سبيل الله وعبده حتى أتاه اليقين .

ثم يستعرض الكميت بعد هذا المدخل الإيماني الروحي مشكلته ، وكأنه أراد في هذه المقدمة أن يثير عاطفة ذلك الرجل القاسي القلب ، ويهيئه لما يريد أن يقوله .

وبقدرة عجيبة من الحنكة السياسية والدهاء يصور الكميت حالته النفسية بعد هروبه من السجن ، فإذا هو تائه في حيرة ، وحائر في سكرة

---

(١) مروج الذهب للمسعودي ج ٣ ص ٢١٧ .

إدلهم به خطرها ، وأهاب بـه داعيها ، وأجـابه غـاويها ، فـإذا به يسيـر نحو الضـلالة ، ويتسكـع في الظلمـة والجهالـة ، حائـداً عن الحق ، قائـلاً بغيـر صدق .

وأخيـراً يهتـدي الكميت إلى طـريق الحق فيلوذ بمقـام هشـام وينـطق بالتوبة ، ويبصر الهدىٰ بعد طول العمىٰ .

وبعد أن ينتهي الكميت من استعراض حالته النفسيـة بعد هـروبه يوجه كـلامه لهشـام مخاطبـاً : بكم من عـاثـر أقلتم عثـرتـه ، ومجتـرم عفـوتم عن جرمه . وهنا يتدخل هشام معترضاً على قـول الكميت ومتسائـلاً عن المسبب له في الغواية ، وكان الكميت قد هيء نفسه لمثل هذه المنـزلقات ، فـأجابـه إجـابة الـواثق من نفسـه انـه من عمـل إبليس الـذي غـوى من قبله أبيـه آدم فأخرجه من الجنة . ثم يبين الكميت صفـات هشام ؛ فـإذا هو كـالريـح التي تحمـل معهـا الـرحمة إلى العبـاد حين تمـطر عليهم فيعم بفضلهـا الخيـر والبركة .

هذا من الوجه الإيجابي لهشـام ، أما من الـوجه السلبي فهـو مرهـوب الجانب لحزمه وبصيرته ، وهو إذا مـا غضب رأيت منه احمـراراً في الحدقـة ترتعد لرؤيتها الفرائس ، يغزو بالخيل الأعـداء ويعتمد في تصـرفه على رأيـه الحكيم دون آراء الناس حتى ذوي الألباب منهم .

ذاك المدخل وهذا المخرج انقض الكميت مما هو فيه وجعل خصمـه يعفـو عنه ويقـربه ويجـزيـه . وإن دلَّ هـذا عن شيء فـإنمـا يـدلُّ عن حسن التصـرف وروعة الخـطاب ، كل ذلـك اكتسبـه الكميت من أصحـاب النـظر العقلي وأهل علـم الكلام .

وممـا يلفت نظرك في مخـاطبـة الكميت لهشـام هـو استخـدامـه لتلك العبارات العلوية في مناجات خالقها ، فاسمع دعـاء الإمام علي الـذي علمه

للكميل بن زياد[1] الذي يقول فيه : اللهم مولاي كم من قبيح سترته وكم من فادح من البلاء أقلته وكم من عثار وقيته ، وقوله في دعاء آخر هذا مقام العائذ بك من النار .

إن التشيع والإرتواء من حب آل البيت جعل من الكميت لا ينطق إلاّ بنطقهم ولا يستوحي إلاّ من أفكارهم ، ومن هنا تكمن بلاغته وحسن استدلاله وإعجاب الناس فيه .

وفي رواية أُخرىٰ أن مَسْلمة قال للكميت عندما استجار به : إني أخشىٰ ألاّ ينفعك جواري عنده ، ولكن استجر بابنه مسلمة بن هشام . فقال الكميت : كنت أنت السفير بيني وبينه في ذلك ، ففعل مَسْلمة ، وقال لابن أخيه : قد أتيتك بشرف الدهر ، واعتقاد الصنيعة في مضر ، وأخبره الخبر؛ فأجاره مسلمة بن هشام . وبلغ ذلك هشاماً فدعا به ، ثم قال : أتجير على أمير المؤمنين بغير أمره ؛ فقال : كلاّ ، ولكني انتظرت سكون غضبه . قال احضرنيه الساعة ، فإنه لا جواد لك ، فقال مسلمة للكميت : يا أبا المستهل ، إن أمير المؤمنين أمرني باحضارك . قال : أتسلمني يا أبا شاكر ؟! قال : كلاّ ، ولكني احتال لك . ثم قال له : إن معاوية بن هشام مات قريباً ، وقد جزع عليه جزعاً شديداً ، فإذا كان من الليل فاضرب رواقك على قبره ، وأنا أبعث إليك بنيه يكونون معك في الرواق ، فإذا دعا بك تقدمت إليهم أن يربطو ثيابهم بثيابك ، ويقولوا : هذا استجار بقبر أبينا ، ونحن أحق من أجراه .

---

(١) الكُميل بن زياد ١٢ ـ ٨٢ هـ = ٦٣٣ ـ ٧٠١م بن نهيك النخعي : تابعي ثقة من أصحاب علي بن أبي طالب . كان شريفاً مطاعاً في قومه . شهد صفين مع علي ، وسكن الكوفة وروى الحديث ، قتله الحجاج صيداً البداية والنهاية لابن الأثير ج ٥ ص ٦٠ تاريخ الإسلام للذهبي ج ١ ص ٣٧٤ .

فأصبح هشام على عادته متطلعاً من قصره إلى القبر ، فقال : من هذا ؟ فقالوا : لعلّه مستجير بالقبر! فقال : يجار من كان إلاَّ الكميت؟ فإنه لا جوار له ، فقيل فإنه الكميت ، قال : يحضر أعنف إحضار ، فلما دعي به ربط الصبيان ثيابهم بثيابه . فلما نظر هشام إليهم اغرورقت عيناه واستعبر ، وهم يقولون : يا أمير المؤمنين استجار بقبر أبينا ، وقد مات ومات حظه من الدنيا ، فاجعله هبة له ولنا ، ولا تفضحنا فيمن استجار به . فبكى هشام حتى انتحب ، ثم أقبل على الكميت فقال له : ويلك يا كميت من زينَ لك الغواية ، ودلاك في العماية ؛ قال الذي أخرج أبانا من الجنة ، وأنساه العهد . فقال : إيه ! أنت القائل :

فيا موقداً ناراً لغيرك ضوءها ويا حاطباً في غير حبلك تحطب

فقال : بل أنا القائل :

إلى آل بَيْتِ أبي مالك مناخٌ هو الأرحب الأَسْهَلُ[1]

ثم راح الكميت يذكر لهشام ما قال في بني أمية عامة وبه خاصة ، وخاصة قوله فيه :

أورثته الحصانُ أم هشام حسباً ثابتاً ووجهاً نضيرا[2]

وكان هشام متكئاً فاستوى جالساً ، وقال : هكذا فليكن الشعر ثم قال : قد رضيت عنك يا كميت وأمر له بأربعين ألف درهم[3] .

ولا بد لنا من أن نقف إزاء ما ورد من أخبار حول الكميت لنرى ونتبين ما يعتريها من إصابة أو زلل . فنحن نتساءل مثلاً حول قصته مع

---

(١) بقية الأبيات الأغاني ج ١٧ ص ١٣ .
(٢) بقية الأبيات الأغاني ج ١٧ ص ١٤ .
(٣) الأغاني ج ١٧ ص ١٥ .

خالد القسري الذي اغتاظ منه لأنه هجا عشيرته ، بعد أن كان على صلة حميمة معه ، وكيف أن خالداً قد دَسّ الجواري لهشام بن عبدالملك بعد أن حفظهن قصيدة الكميت في مدح بني هاشم وكيف اغتاظ هشام عند سماعها وطلب رأس الكميت جزاءً لها .

فنتساءل هل يمكن أن تكون قصيدة مشهورة على المستوى الذي أغضب هشاماً هذا الإغضاب ولم يسمع بها حتى جاءه بها خالد القسري على لسان جارية من الجواري . ثم هل يعقل أن يبقى شاعر مدة عشرين سنة متوارياً عن الأنظار خوف القتل لأنه قال قصيدة في مدح بني هاشم . إنها أُمور تبين مدى استرسال المؤرخين في أخبارهم ومبالغتهم في هذه الأخبار.

ثم ذلك اللقاء العجيب بين مَسْلمة بن عبدالملك الذي خرج لصيوده ، وبين الكميت ، وطلب الكميت من مَسْلمة التوسط بينه وبين أخيه هشام . مواقف تفرض على الباحث أن يقف عندها ليسجل موقفاً خاصاً به تجاهها .

وتناقضت أيضاً الآراء حول السبب الجوهري الذي من أجله نظم الكميت المذهبة ؛ فمنهم من قال : إن السبب الذي يعود إليه نظمها هو صراع العصبية القبلية ؛ فقد كان حكيم بن عياش الكلبي ولعاً بهجاء ، مضر ، كما كانت شعراء مضر تهجوه .

وكان الكميت يقول : هو والله أشعر منكم . قالوا : فأجب الرجل . قال : إن خالد بن عبدالله القسري محسن إليَّ فلا أقدر أن أرد عليه ، قالوا : فاسمع بأُذنك ماذا يقول في بنات عمك وبنات خالك من الهجاء ، وأنشدوه ذلك ؛ فحمي الكميت لعشيرته فقال المذهبة[1] ومنهم من قال :

---

(١) الأغاني ج ١٧ ص ٩.

إن عبدالله بن معاوية بن عبدالله بن جعفر بن أبي طالب قال للكميت : إني رأيت أن تقول شيئاً تغضب به بين الناس ، لعلَّ فتنة تحدث فيخرج من بين أصابعها بعض ما نحب ، فابتدأ الكميت وقال قصيدته التي يذكر فيها مناقب قومه من مضر بن نزار ويكثر فيها من تفضيلهم ، ويطنب في وصفهم ، وأنهم أفضل من قحطان ، فغضب بها بين اليمانية والنزارية ، وهي قصيدته التي أولها :

أَلا حُيِّيت عَنَّا يا مدينا[1]        وَهَلْ بأسٌ بقولِ مسلمينا

وسواء أكان الخبر الأول هو الصحيح أم الثاني ، فإن النتيجة التي أريدت من هذه القصيدة واحدة ، وهي إذكاء الثورة ضد الأمويين وتقليب الناس عليهم ومناصرة بني هاشم « فقد افتخرت نزار على اليمن ، وافتخرت اليمن على نزار ، وأدلى كل فريق بما له من المناقب ، وتحزبت الناس ، وثارت العصبية في البدو والحضر ؛ فنتج بذلك أمر مروان بن محمد الجعدي ، وتعصبه لقومه من نزار على اليمن ، وانحراف اليمن عنه إلى الدعوة العباسية ، وتغلغل الأمر إلى انتقال الدولة عن بني أمية »[2].

فالكميت إذن كان ذكياً في تصرفه عندما قام بهذه المهمة فهو أولاً نجح في اسكات حكيم بن عياش الكلبي عن هجاء الإمام علي (ع) وبني هاشم عن طريق هجائه إيّاه في العصبية التي بين مضر واليمن ، وتفاخره ببني أمية ، وقد أثار هذا الموقف استهجان ولده المستهل الذي سأل أباه الكميت قائلاً : يا أبت إنك هجوت حكيم بن عياش الكلبي ، وفخرت بني أمية ، وأنت تشهد عليها بالكفر ، فألا فخرت بعلي وبني هاشم الذين

---

(١) مديناً أراد به ( مدينة ) والعرب تقول لابن الأمة « ابن مدينة » ، ( الأغاني ج ١٧ ص ١٨).

(٢) مروج الذهب ج ٣ ص ٢٤٥ .

تتولاهم ، فقال الكميت : يا بني أنت تعلم انقطاع الكلبي إلى بني أمية وهم أعداء علي (ع) فلو ذكرت علياً لترك ذكري ، وأقبل على هجائه فأكون قد عرضت علياً له ، ولا أجد له ناصراً من بني أمية ففخرت عليه ببني أمية وقلت : إن نقضها علي قتلوه ، وإن أمسك عن ذكرهم قتلته غماً وغلبته[1] .

واليمنية التي أثارها الكميت مع الكلبي لم يكن المراد بها صرفه عن علي وعن بني هاشم ، بل كان يراد بها أيضاً إيذاء خالد القسري الذي كان يخاصمه من أجل شيعة الكوفة ؛ فإذا كان الكميت قد مدح أحياناً خالداً القسري فلم يكن ذلك من باب الإعجاب به ، أو الولاء لسياسته ، بل لمجرد التكسب بشعره :

| | |
|---|---|
| لو قيل للجود: مَنْ حَلِيفُكَ؟ ما | إنْ كان إلَّا إليك يَنْتَسِبُ |
| أَنت أخوه وأنتَ صُورَتَهُ | والرَّأْسُ منه ، وغيرك ٱلْذَّنَبُ |
| أحرزت فَضْلَ ٱلنِّضالِ فِي مَهلٍ | فَكُلَّ يَوم بكفِكَ القصبُ |
| لو أن كعباً وحاتماً نُشِرَا | كانا جميعاً من بعض ما تَهبُ |
| لا تخلفُ الوعد إن وعدتَ ولا | أنت من المقتفين تحتجب |
| ما دُونك اليوم من نوالٍ، ولا | خَلْفكَ للراغبين مُنْغَلبُ[2] |

أرأيت كيف يحض الشاعر الممدوح على العطاء ، وعلى الوفاء فيما وعد وأن الجود إليه ينتسب ، وهو الرأس من الكرم وغيره الذنب ، ولو أتيح لكعب وحاتم أن يعودا إلى الحياة لكانا من بعض ما يهب .

وانظر إلى الكميت في موضع آخر ، وقد مرَّ به خالد هذا وقد تحدَّث الناس بعزله عن العراق ، فلما جاز تمثل الكميت :

| | |
|---|---|
| أراها، وإن كانت تحبُّ وكأنها | سحابة صيف عن قليل تَقشَّعُ |

---

(١) الأغاني ج ١٧ ص ٣٧ ـ ٣٨ .

(٢) المصدر نفسه ص ٣٤ ـ ٣٥ .

فسمعه خالد ، فرجع وقال : أما والله لا تنقشع حتى يغشاك منها شؤبوب[1] برد ، ثم أمر به فجرد ، فضربه مائة سوط ، ثم خلى عنه[2] من هذه الأحداث نستوضح ما كان يملأ قلب كل من الكميت وخالد من الحقد تجاه الآخر .

ولما ولى خالد القَسْري أخاه أسداً على خراسان سنة ١١٧ هـ أرسل الكميت إلى أهل مرو بهذا الشعر :

أَلا أَبْلِغْ جَمَاعَةَ أَهْلِ مَرْوٍ ... عَلَىٰ ما كَانَ مِن نَأيٍ وَبُعْدِ
رِسَالَةَ نَاصِحٍ يُهْدِي سَلاماً ... وَيَأْمُرُ فِي ٱلَّذِي رَكِبوا بِجَدِّ
فَلا تهنوا وَلا تَرْضَوا بَخَسْفٍ[3] ... وَلا يَغْرُرْكُمُ أَسَدٌ بِعَهْدِ
وَإِلَّا فَارْفَعُوا الرَّايَات سُوداً ... عَلىٰ أَهْلِ ٱلضَّلالَة وَٱلتَعَدِّي

من هذه الأبيات نستوضح بعض الأمور أهمها :

**أولاً** : أن مرو خاصة وخراسان عامة ، كانتا مهداً للثورة ضد الأمويين ومعقالاً هاماً من معاقل التشيع .

**ثانياً** : اشارته إلى الرايات السود التي كانت شعاراً للدعوة الهاشمية وقد أشار إلى هذا ( فان فلوتن ) فقال : إن الكميت أول من أشار إلى الرايات السود بقوله :

وإلاَّ فارفعوا الرايات سوداً ... على أهل الضَّلالةِ والتعدي[4]

---

(١) الشؤبوب : ج شآبيب : الدفعة من المطر .
(٢) الأغاني ج ١٧ ص ١٥ .
(٣) الخسف : الذلة .
(٤) السيادة العربية والشيعة والاسرائيليات في عهد بني أمية لفان فلوتن ترجمة إبراهيم حسن ط ٢ ، مكتبة النهضة ص ١٢٦ .

ثالثاً : دعـوة صـريحـة إلى الثـورة على ( أسـد ) وأخيـه بتـوجيـه من بني هـاشم وقد نجـح إلى حد كبيـر في تحقيق ما أريـد منـه ؛ فهـو لم يؤدي إلى إسكـات الأصـوات التي كـانت تشتم عليـاً (ع) وبني هـاشم ، ولا إلى إذكـاء الثـورة ضـد الأمـويين عن طـريق إثـارة العصبية القبلية بين المضرية واليمنيـة فحسب ، بل أدت أيضـاً إلى الإطاحة بدولة بني أمية جميعاً . من هنا نستطيـع أن نقول إن إثـارة العصبيـة المضريـة ضد اليمنيـة عصبية في الـظاهر ، وسيـاسية في الداخل .

## ب ـ ثقافة الكميت

الحديث عن الكميت بن زيد من ناحية تطور حياته الفكرية يتطلب منا التطرق إلى المنابع التي استقى منها الكميت ثقافته ، والقواعد التي أرسى عليها معرفته ، وهذا يدفعنا للعودة إلى البيئة التي رتع الكميت في أحضانها ، وهذا يستوجب منا التساؤل أولاً عن مصدر اللغة التي صاغ الكميت شعره بها ، هل هو من البادية لأن شعره اتسم بالنمط البدوي ، أم من غيرها ، أم منها ومن غيرها . وبمعنى آخر هل عرف الكميت البادية فأقام فيها ردحاً من الزمن تعرف خلالها على لغة الأعراب ومشتقاتها ، مما أغنى موسوعته اللغوية ، أم أنه تعرف عليها من خلال الأشخاص الذين عاشرهم ، وكانوا على معرفة جيّدة بالبادية ، وبلغة أصحابها . إن المصادر العربية القديمة تذكر لنا أن الكميت « كان شاعراً مقدماً عالماً بلغات العرب خبيراً بأيامها ، يقال : ما جمع أحد من علم العرب ، ومناقبها ، ومعرفة أنسابها ما جمع الكميت ، فمن صحح الكميت نسبه صحَّ ، ومن طعن فيه وهن . وسئل معاذ الهراء عن أشعر الناس فقال : من الجاهليين امرؤ القيس وزهير ، وعبيد بن الأبرص ، ومن الإسلاميين الفرزدق ، وجرير ، والأخطل ، فقيل له : يا أبا محمد ما رأيناك ذكرت الكميت ، قال : ذاك أشعر الأولين والآخرين »[1] .

---

(١) خزانة الأدب للبغدادي ج ١ ص ١٤١ .

تـرى بـأي شيء استحق الكميت هـذا الحكم ، إن بعض المـواقف والمسـاجلات التي خـاضها الكميت مـع من لم يجرؤ أحـد على مسـاجلتهم كحمـاد الراويـة وأفحامهـم لأكبـر دليل على المستـوى المرموق الذي ارتقى إليه الكميت في عالم اللغـة والشعر . فقـد ذكر « أن الكميت بن زيـد اجتمع وحماد الراوية في مسجد الكوفة فتذاكرا أشعار العرب وأيـامها فخـالفه حمـاد في شيء ونـازعـه فقـال لـه الكميت : أتـظن أنـك أعلم مني بـأيـام العـرب وأشعارها؟ ، قال : وما هـو إلاّ الظن هـذا والله هو اليقين فغضب الكميت ثم قال : ألكم شاعر بصير يقال له عمرو بن فلان ، ولكم شـاعر أعـور أو أعمى اسمه فلان ، فقال حماذ قولاً لم يحفظه ، فجعل الكميت يذكـر رجلاً رجـلاً من صنف صنف ويسأل حماداً هـل يعرفـه فإذا قـال لا : أنشده من شعـره ، ثم سأل الكميت حماداً عن شيء من الشعر فلم يعلم حماداً تفسيره»[1].

تـرى من أين جـاءت للكميت هـذه المعـرفـة الـواسعـة بـأيـام العرب وأشعارهـا. يقول المؤرخـون إنه كـانت له جـدتان أدركتـا الجـاهليـة فكانتا تصفان له البادية وأمورها . ويخبرانه بأخبار النـاس في الجاهليـة، فإذا شـك في شعر أو خبـر عرضـه عليهما فيخبـرانه عنـه فمن هنا كـان علمه»[2] هذا النص يشير صـراحة إلى مصـدر هام من مصـادر علم الكميت كما يشيـر إلى عدم معرفة الكميت للصحراء ، أو ذهابه إليها .

وهنـاك نص آخر يؤكـد ما أتى بـه النص الأول . فقـد روى محمـد بن سهـل راوية الكميت عن الكميت قـال : لما قـدم ذو الرمـة أتيته فقلت لـه : إني قد قلت قصيدة عارضت بها قصيدتك :

ما بال عينك منها الماء ينسكب.

---

(١) الأغاني ج ١٥ ص ١١٧ ـ ١١٨ طبعة بولاق.
(٢) الأغاني ج ١٥ ص ١١٢ .

فقال لي : وأي شيء قلت : قال : قلت :

هـل أنت عن طلب الإيقـاع منقلب      أم كيف يحسن من ذي الشيبة اللعب[1]

حتى أنشـدته إيّـاها . فقـال لي : ويحك : إنـك لتقول قـولاً ما يقـدر إنسـان أن يقـول لـك أصبت ولا أخـطأت ، وذلـك أنـك تصف الشيء فـلا تجيء بـه ، ولا تقع بعيـداً منه ، بـل تقـع قـريبـاً . قلت لـه : أوتـدري لم ذلـك؟ قال : لا . قلت : لأنـك تصف شيئاً رأيتـه بعينك ، وأنـا أصف شيئاً وصف لي ، وليست المعاينة كالوصف قال : فسكت»[2].

رأينا كيف يعترف الكميت بأنه لم ير الصحراء ، وأنـه إذا وصف فإنمـا يصف كما وُصِفَ له وهذا يشير مباشرة إلى مـا قالـه الباحثـون من أن جدتيـه هن الـلائي كن يصفن له البـادية ومـا فيها ، فيقـوم هو بـالوصف كمـا وصف له .

فـالجـدتـان إذاً كـانتـا مصـدراً مهمـاً من المصـادر التي استقى منهـا الكميت معرفته اللغوية ، وأوصافه الشعرية .

المصدر الثاني الذي استقى منه الكميت معارفه الشعرية واللغـوية هي الدواوين الشعرية للشعراء الجاهليين ، فراح يحـاكي أوصاف هؤلاء ويحـاول تقليدهم فيما أتوا به .

---

(١) يقول ذي الرمة :

مـا بـال عينـك منهـا المـاء ينسكب      كـأنـه من كُـلَى مفـرِّيـة سَـرِبُ

( الديوان ص ٧ )

وقال الكميت :

هـل أنت عن طلب الإيقـاع منقلب      أم هل يحسن من ذي الشيبة اللعب
وقـد رأيـنـا بهـا حـوراً منعمـة      بيضـاء تكامـل فيهـا الـدَّلُ والشنبُ

( شعر الكميت ج ١ ص ٩٣ )

(٢) الأغاني ج ١٥ ص ١٢٥ .

وقد يتساءل المرء هل استطاع الكميت أن يرقى إلى المستوى الذي وصل إليه الشعراء الجاهليون من حيث تصوير الطبيعة البدوية وما يسكن فيها تصويراً حياً ناطقاً ، يكاد الناظر إليها يحسب نفسه فعلاً أنه في الصحراء ، وأن تلك المشاهد تمر أمام عينيه حية تتحرك فيها الروح ، ويجري فيها الدم ، أم أنه أبدع ففاق من قلدهم في أوصافهم ، فأتى بما لم يأتوا به لأنه مزج الخيال بالواقع ، أم أنه تدنى منزلة عنهم . إن مثل هذه الأحكام تحتاج إلى أمثلة نقارن فيها بينه وبين من قلدهم ، لنستطيع أن نصدرها .

المثال الأول الذي يمكن أن نأخذه كمثل للمقارنة هو وصف الكميت لناقته في رحلته إلى الهاشمين ، في هاشميته الثانية ، ووصف عبيد بن الأبرص لناقته .

يقول عَبيد بن الأبرص[1] :

| | |
|---|---|
| وَسَبَتْـكِ نَـاعِمَـةٌ صَفيٌّ نَـوَاعِمٍ | بيض غرائِرَ كالظَبَاء العيس[2] |
| خَـوْدٌ مُـبَـتَّـلـةُ الـعِـظَامِ كَـأَنَّها | بـرْدِيَّـةٌ نبتتْ خِـلالَ غُـرُوسٍ[3] |
| أَفَـلا تُـنَـاسي حُـبَّـهـا بِـجُـلالَـة | وَجْنَاءَ كالأُجُم المـطينَ ولُـوس[4] |
| أفنيتُ بهجتـهـا وَنِيٌّ سـنـامِـهَـا | بـالـرَّحْـلِ بَعْـدَ مخيلةٍ وشـريسِ |
| وَأَمِـيرِ خَيْـلٍ قـد عَصيْتُ بِنهـدةٍ | جَـرْداءَ خَـاظِيَـةٍ السَّراةِ جَلُوسِ[5] |

---

(١) الديوان ص ٧٧ ـ ٧٨ طبعة صادر ـ بيروت.

(٢) الصفي : الخالصة ، المصطفاة . غرائر : الواحدة غريرة : الشابة لا تجربة لها العيس : البيض.

(٣) الخود : الشابة . المبتلة . الجميلة . البردية : شجر البردي.

(٤) تناسي : تنسى . الجلالة : الناقة الضخمة . الوجناء . العظيمة الوجنات . الأجم الحصون المطين : المطينة بالطين . الدلوس : السريعة .

(٥) الخاظية : المكتنزة . السراة : الظهر . الجلوس : الوثيقة الجسم .

خُلِقَتْ عَـلىٰ عُسُبٍ وتـم ذكـاؤهـا وٱحْتَـالَ فِيهَـا الصَّنْـعُ غـيرَ نحيسِ

وَإِذَا جُهِـدْنَ وقـل مصٌّ نِـطافِهَـا وَصَـلَقْـنَ فِي دَيْمُـومَـةِ إِمْـلِيسِ[1]

تنفـي الأَواثِمَ عَـنْ سَـوَاء سبيلَهَـا شَـرَكَ الأَجِزَّةِ وهي غـيرُ شموسِ[2]

مـا هي الأوصاف التي وصف بهـا عَبيد بن الأبـرص ناقتـه : إنهـا نـاقة شابة ونـاعمة كـالظبيـة البيضاء ، مكتنـزة اللحم ، متناسقـة الأعضاء كشجـر البـردي ، عظيمـة الوجنـات صلبة كـالبيوت المـرتفعـة المـطنبـة ولـوسـة في سيـرها ، أضنى الشـاعر سنامها من صعـوبة الـرحل الـذي يجهـدهـا لكثـرة النشاط الذي تبذله ، وبهذه الناقة النشيطة السـريعة ، عـاند الشـاعر الفـارس راكب الخيـل ، لقدرتهـا على تحمل مـا لم يستطع الحصـان تحمله لقطعهـا الأرض المـرتفعة ، وهي في قـوائمها كـالنخل ، قـد تمَّ سنها ، وحـال عليها الحـول وهي تصنع . وعنـدما تبـذل الجهد تقـل من استنفاد المـاء الذي في جـوفها لتتحمـل المـزيـد من طـول السفـر في الفـلاة الـواسعـة التي لا نبت فيها . والناقـة في جريهـا تقذف الحصى من تحت أخفـافها دون أن تعبأ بها ولا تحفـل بالأمكنـة الغليظة التي يصعب السيـر فيها ، وهي مـع ذلك حسنـة القيادة .

ولننـظر إلى هذه اللوحـة التي يرسمهـا لبيد بن ربيعـة العـامـري لثـور وحشي أدركه المطر فالتجأ إلى شجرة تحميه[3] :

كَـأَخْـنَسَ نَـاشِطٍ جَـادَتْ عـليـه بِبُـرقـةٍ واحف إحـدى الليـالي[4]

---

(١) صلقن : مشين . الديمومة : الفلاة الواسعة . إمليس : الفلاة ليس فيها نبات.

(٢) الأواثم : الإبـل المبطئـات . وقد تكـون جمعاً لـوثيمة وهي الحجـارة . الحـزيـز : المكان الغليظ . الشموس : المانعة.

(٣) الديوان : دار صادر ١٠٥ ـ ١٠٦ .

(٤) الأخنس : ثور الوحشي . الناشط : الكثير التنقل . البرقـة : الموضـع يختلط ترابـه بالحصى . واصف : اسم موضع . جادت عليه إحدى الليالي : يعني المطر.

أَضَلَّ صِوَارهُ وتَضَيفَتهُ نَطوفُ أَمرُها بيدِ الشَّمالِ[١]

فَبَاتَ كَأَنَّهُ قاضي نذورٍ يلوذُ بغرقدٍ خَضِلٍ وضالِ[٢]

إذا وكف الغصونُ على قَرَاهُ أدار الرَّوْقَ حالاً بعد حالِ[٣]

جُنُوحَ الهالكي على يَدَيْهِ مُكِبّاً يجتلي نُقَبَ ٱلنِّضَالِ

فَباكَرَهُ مع الإشراقِ غُضْفٌ ضواريها تَخُبُّ مع الرجالِ[٤]

فَجَالَ ، ولم يُجِلْ جبناً ، ولكن تَغَرُّض ذي الحفيظةِ لِلْقِتَالِ[٥]

فَغَادَر مُلْحَماً وَعَدَلْنَ عنهُ وقد خَضَبَ الفرائص من طحالِ[٦]

يشُكُّ صِفَاحُهَا بالرَّوْقِ شزراً كما خَرَجَ الشِّرادُ من النِّقَالِ

وَوَلَّىٰ عامِداً بطياتِ فَلْجٍ يُرَاوِحُ بَيْنَ صَوْنٍ وَٱبْتِذَالِ[٧]

أَرَأيت هذه اللوحة البدوية الرائعة التي رسمها لنا ( لبيد ) لمعركة ضارية حصلت بين ثور وحشي ترك قطيعة ، وأدركته الأمطار ، والرياح الشمالية تعصف عليه ، فلم يجد في تلك الأرض الواسعة ما يحتمي به

---

(١) الصوار : قطيع البقر. تضيفته : جاءته ونزلت به كالضيف . النطوف : السحابة التي تنطق أي تقطر.

(٢) الغرقد : شجر . خضل : ندي . خضد : متكسر . الضال : نوع من شجر السدر .

(٣) وكف : قطر . القرا : الظهر . الروق : القرن .

(٤) الغضف : جمع أغضف وهو الكلب المسترخي الأذنين . ضواريها : الكلاب التي ضربت على الصيد . تخب : تعدو.

(٥) جال : خرَّ . الحفيظة : الغضب .

(٦) طحال : اسم كلب .

(٧) فلج : اسم موضع . الصون : الكف من العدو . الابتذال : استخراج أقصى ما عنده من العدو.

سوى شجرة الغرقد فاحتمى بها ليتقي شدة المطر وبرودة الهواء ، وما أن أتاه الصباح حتى فوجيء بكلاب الصيادين وقد اكتشفت مكانه فأحاطت به ، فذعر منها ، وحاول الفرار لكنه وجد أن الفرار أمر ميؤس منه . فكان لا بد له من الاستعداد لمعركة ضارية يخوضها مع تلك الكلاب ، ليخلص نفسه من موت محقق ، ولم تكن تلك المعركة سهلة هيِّنة بالنسبة إليه . فقد أحدثت في جسمه الكثير من الجراح التي أشبه ما تكون بالثقوب التي يحدثها المخرز في النعل . فسالت الدماء منه ، ومع هذا فقد استطاع أن ينجو بنفسه بعد أن لقن الكلاب الضارية درساً قاسياً ، وأحدث فيها أيضاً الجراح وخاصة الكلب ( طحال ) وهو أشرسها وراح الثور يعدو مستخدماً أقصى ما عنده من قوة ميمَماً عامداً لطيات فلج .

ولننظر إلى اللوحة التي رسمها الكميت لناقته وهو في طريقه إلى بني هاشم وكيف التقى في طريقه بالثور الوحشي الذي أدركته الأمطار فآلتجأ إلى شجرة يحتمي بها من شدة الرياح والأمطار ، ثم كيف أدركته كلاب الصيد عند الصباح قبل أن يهرب في الفيافي . وكيف دارت بين ذلك الثور وبين الكلاب معركة ضاربة ، حاول فيها الثور الفرار من صائديه ، ولكن حظه بالنجات كان ضعيفاً ، فقاتل قتال اليائسين حتى خارت قواه فوقع أرضاً ، فأدركته سكين الصائدين فذبحته ، وراحت الدماء تنزف منه .

يقول الكميت[1] :

فهَلْ تُبْلِغَنِّيهِمْ علىٰ بُعْدِ دارِهِمْ ... نَعَمْ بِبَلاغِ الله وَجْنَاءُ ذعْلِبُ
فَذَكَّرَهُ لا يحملِ السَّوْطَ رَبُّها ... وَلأياً من الإشفاقِ مَا يَتَعَصَّبُ
كَأَن ابن آوى موثقٌ تحت زَوْرِهَا ... يُظَفِّرُهَا طَوْراً وطوراً يُنيِّبُ
إذا ما احزألَّتْ في المُنَاخ تَلَفَّتَتْ ... بمرعوبتي هوجاء والقلب أَرْعَبُ

---

(١) الهاشميات ص ٤٤ .

إِذَا انبعثتْ من مَبْـرَكٍ غـادرتٍ بـه ذا وبـل صُهْـبـا لم يَـدِ نهنَّ مشْـربُ
إِذَا اعـصـوصَبَتْ في أنيـقِ فكـأنَّها بَـزْجَـرة أخـرى في سـواهنُ تضْـرَبُ
تـرى المرو والكـذَّانَ يـرفضُّ تحتهـا كـما ارفضَّ قيضُ الأُفـرخ المُتقـوِّبُ
كـقـوم إذا ضـج المـطيُّ كَـأَنَّمـا تَـكَـرَّمُ عَنْ اخـلاقِـهِـنَّ وتـرْغَـبُ
مـن الأرحبيـاتِ الـعـتـاقِ كَـأَنَّها شُبُـوبُ صُـوَارٍ فـوق علياء قَـرْهَبُ
لَـيَـاحٌ كَـأَنْ بـالأتحميـة مَسْبَـعٌ إزاراً وفي قُـبْـطِيـةٍ مـتـجـلبـبُ
تـضيَّفَـهُ تَحْتَ الألاءة مـوهـنـاً بـظلماء فيهـا الـرعـد والبـرق صَيِّبُ
مُلِثٌ مُـرِثٌّ يخفشُ الأَكْـمَ وَدْقُـهُ شـآبيبُ مِنهـا وادِقَـاتٌ وَصَيْـدَبُ
فـبـاكـرَهُ والشـمس لم يبـد قَـرْنُهَا بـأخـذَانـه المُسْتَـولَفَـاتِ المُكَلِّبُ
فكـان إدراكـاً واعتـراكـاً كـأنـه عـلى دُبُـرٍ يحميـه غيـرانُ مـوأَبُ
يـذود بسِحمـاويـه من ضـاريـاتها مَـدَاقِيـعَ لم يَغْثُثْ عليهن فَيَكْسَبُ
فـرابٍ فكـابٍ خـر للوَجْه فـوقهُ جَـدِيَّـةُ أوداجٍ عـلى النحْـرِ تَشْخُبُ

أَرَأَيت كيف أخـذ الكميت تلك الصـور والمشـاهـد من ( عَـبِيـد ) و ( لَبِيد ) ليضع منها صوراً ومشاهد أُخرىٰ لكنها قريبة جـداً منها ، وإذا كـان من فرق بينهما في وصف الثـور الوحشي فهـو أن الثور عنـد ( لَبيد ) قـد نجا بنفسه من الموت ، بينما الثور الـوحشي عند الكميت قـد خاب أمله بـالنجاة فهلك .

ثم تـرى أين هي الأوصـاف التي التقى الكميت بهـا مـع عَبيـد بن الأبرص ، ولبيد بن ربيعة العامري في وصف الناقـة؟ فناقـة عبيد بن الأبـرص وجناء ذعلب ، أي ضخمة سريعة ، وناقة الكميت وجنـاء ولوس أي ضخمـة سريعة أيضاً .

وناقة عبيد إذا جهدت تقلل من طعـامها وشـرابها لـطول المسافـة التي تقـطعها ، ونـاقة الكميت يـذبل بعـرها لـطول عهدهـا بالمـأكل والمشـرب ،

ولطول المسافة التي تقطعها . وناقة عبيد لنشاطها تزيل الحجارة من طريقها ، فتنفذ منها بأخفافها .

تنفي الأواثم عن سواء سبيلها      شرك الأحزَّةِ وهي غير شموس

وناقة الكميت هي الأخرى من نشاطها تتطاير الحجارة الرخوة التي كالمدر من تحت أخفافها فتتكسر .

ترى المرو والكذان يرفض تحتها      كما أرفض قيض الأفرخ المُتَقَوِّبُ

أما الثور الوحشي فهو عند لبيد بن ربيعة العامري يلوذ بشجر الغرقد كأنه قاضي نذور نزل بها ليتقي شر المطر الهاطل . وهو عند الكميت يلوذ بشجر الآلاءة كأنه ضيف نزل بها ليتقي شر الرعد والبرق والمطر .

فبات كأنه قاضي نذور      يلوذ بغرقد خضل وضالِ
تضيفه تحت الآلاءة موهناً      بظلماء فيها الرعد والبرق صيِّبُ

والثور يفاجأ قبل شروق الشمس بكلاب الصيادين تحيط به من كل جانب عند لبيد وعند الكميت :

فباكره مع الإشراق غضف      ضواريها تخب مع الرجالِ
فباكره والشمس لم يبد قرنها      بأخدانه المستولفات المكلِّبُ

وثور لبيد يجول كراً وفراً ليدافع عن نفسه ، ويتقي شر أنياب الكلاب الضارية وثور الكميت يقاتل أيضاً ، ويعترك مع مهاجميه ، ويحاول أن يحمي مؤخرته استحياءً :

فجال ولم يجل جبناً ولكن      تَعَرُّضَ ذي الحفيظة للقتالِ
فكان ادِّراكاً واعتراكاً كَأَنَّهُ      على دُبُرٍ يحميه غيران فوأبُ

وثور لبيد يغادر المعركة ملحماً بعد أن عدلت الكلاب عنه لما أصابها منه ، لكنه هو الآخر أصيب بالجراح الكثيرة حتى غدت كثقوب المخرز في النعل :

فغادر ملحماً وعدلن عنه ... وقد خضب الفرائص من طحالِ
يَشُكُّ صفاحها بالرَّوْقِ شزراً ... كما خرج السراد من النِّعالِ

أما ثور الكميت فقد خاب أمله بالنجاة فانهار ووقع أرضاً لتجز رقبته سكين الصائدين :

فرابٍ فكابٍ خر للوجه فوقه ... جديَّةُ أوداج على النحر تشخبُ

من هذه المقارنة وجدنا أوجه التشابه الكبير بين الكميت وكلٍ من عبيد بن الأبرص ، ولبيد بن ربيعة العامري ، وكيف أن الكميت قد أخذ الصور والمشهاد منهما يسخرها في شعره ويظهرها بحلة جديدة تخدم الهدف الذي يرمي إليه الشاعر .

ولم تكن مناظر الصيد وما يحتدم فيها من صراع بين الثور الوحشي وبين كلاب الصيادين هي وحدها التي قلَّد فيها الكميت الشعراء الجاهليين ، بل نجد حديثه مع الديار والأطلال أيضاً ، وإن كان هو يقف لا ليبكي عليها كما فعل من سبقه ، بل يسخر منها ، لأنها ليست من الأهداف السامية التي يسعى إليها .

لننظر إلى هذه اللوحة التي يرسمها للديار الخاوية ، والأطلال المبعثرة لنرى كيف يتهكم عليها :

ولا حُمُولٍ غدت ولا دِمَنٍ ... مرَّ لها بعد حقبة حِقَبُ
ولم تهجني الظُّؤَّارُ في المنزل الـ ... ـقَفْرِ بُروكَاً وما لها ركب
جُرْدٌ جِلاَّدٌ مُعْطَّفَاتٌ علىٰ الـ ... أورق لا رجعة وَلَا جَلَبُ
وَلَا مَخَاضٌ ولا عِشَارٌ مطا ... فيلُ وَلَا قُرَّحٌ ولا سُلُبُ
وما لي في الدَّار بعد ساكنها ... ولو تذكرْتُ أهلها أرُبُ
لا الدار ردت جواب سائلها ... ولا بكت أهْلِهَا إذْ اغتربوا
يا باكي التلعة القفار وَلَمْ ... تبك عليه التِّلاَعُ والرُّحَبُ

آبــرِحْ بِمَــنْ كُــلِّفَ الــدِّيَــار ومــا تَــزْعُمُ فِيــهِ الـشَّــواحِـجُ النُّـصُبُ
هــذا ثنــائي عــلى الــديــار وقــدْ تــأْخُــذُ مِــنِّي الــدِّيَــارُ والنَّسَبُ(١)

يتحـدث الكميت في مقدمـة القصيدة عن سـر الطرب الـذي ينتابـه ، وفي معـرض سؤاله عن سبب ذلـك الطرب ينفي أن يكون سببه النساء اللائي تحملهن الهوادج في الصحـراء . أو تلك الآثار التي خلفهـا الناس ، كمـواقد النـار ، وآثار البعـر ، وآثـار الـدار كمـا لم تهيجـه الإبـل الجـرد الجـلاد ، الصغير منها ، أو الكبير الحامل ، وهو لا حـاجة لـه بتلك الديـار التي تركهـا سـاكنوهـا ، وهو إذا خـاطب تلك الديـار لم يلق منها جـواباً ، وهي لا تبـدو حـزينة على من تـركها . ثم يـوجه الكميت خـطابـه إلى من يبكي على تلك التلعـة القفار فيقـول له : إن بكيت أنت عليهـا ، فهي لن تبكي عليـك ، ثم يتعجب الكميت من هـذا الباكي ومن تصـرفه الـذي إن دلَّ على شيء فإنمـا يـدلُّ على السذاجـة والحمق ، لأن الديـار لا تعامله بـالمثـل. ولنستمـع إلى النابغة الذبياني يتحدث عن الديار والآثار(٢) :

عُـوجُـوا فحيـوا لنُعمٍ دمنَـة الـدَّار مــاذا تحيُّون مِنْ نُــؤْيِ وَأَحْجـار(٣)
أقــوى وأقفــر من نُـعْمٍ ، وَغَـيَّـرَهُ هـوجُ الـريـاح بهـا بي التُّرب مَوَّارِ(٤)
وقفت فيهـا، سراةَ اليـوم ، أسـألهـا عن آل نُعْمٍ ، أمـونـاً عَبْرَ أسفارِ(٥)
فــاستعجمت دار نُعمٍ مـا تكلمنــا والــدارُ لــو كـلمتـنـا ذاتُ أخبار(٦)

---

(١) الهاشميات ص ٤٩ ـ ٥١.
(٢) جمهرة أشعار العرب ص ١١٢ .
(٣) عوجوا : قفوا . الدمنـة ما اجتمـع من آثار الـديار . النؤي : مـا يكون حـول الجناء لمنع المطر .
(٤) أقوى : خلا . أقفـر : صار قفـراً . هوج : الـواحد أهـوج : الريـح تعصف بشدة . هابي الترب : ساقيه ، موار : يجيء ويذهب .
(٥) سراة اليوم : وسطه . الأمون : الناقة القوية . عبر أسفار : يزال يسافر عليها .
(٦) استعجمت : عيت عن الجواب .

فـما وجـدت بهـا شيئـاً ألــوذ بــه     إلاَّ الـثَّـمــامَ وإلاَّ مــوقــد الـنــارِ[1]

الشـاعر يسـأل أصحابـه برفق ودعـة أن يقفوا معـه على المكان الـذي كـانت تنزل فيـه حبيبته ( نُعْم ) التي رحـل أهلها ورحلت معهم ليحيـوها ولم يبقَ من الأشياء التي تسمع التحية إلاَّ الدمنة والنؤى وهي آثار الـديار ، وآثـار ما يحيط بالخباء . ولم يَبقَ من آثار الـديار إلاَّ مـا استطاع أن ينجـو من بطش الـرياح العـاتية ، التي غمـرت تلك الآثار بـالرمـال . ثم يقف الشاعـر ليسأل تلك الآثـار عن ساكنيهـا الذين غـادروها من آل ( نُعْمٍ ) . لكن تلك الـديـار عيت عن الجــواب ، ولـم تنـطق . بكلمــة ، مـع أنهــا تحمـل الكثيــر من الأخبار ، وحاول الشـاعر أن يبحث عن أثـر من آثار أهـل الديـار ، فلم يجد إلاَّ الثمام وهو نوع من النبات وموقد النار .

ألا نلاحظ التشابـه الكبير بين مـوقفي الشاعـرين من الوقـوف على آثار الديار فكلاهما وقف على الآثـار ، وكلاهمـا وصف الآثار المتبقيـة من منازل الظاعنين . وهي الموقد وموضع أوتاد الخباء ، وكلاهمـا سأل الـديار ولكنهـا سكتت عن الجواب .

ولكن الـذي يفترقـان فيه هـو الموقف من تلك الـديـار والآثـار ، فهـو إيجـابي من قبل النـابغة ، وسلبي من قبـل الكميت ، والسبب في ذلـك بين ظاهر ، فـالنابغـة تربـطه بالآثـار علاقـة حب ، وماضٍ جميـل مع أهـل تلك الديار ، أما الكميت فليس له أية علاقـة مع تلك الـديار ، وهـذا الأمر يجعله بالطبع لا يتأثر ولا ينفعل لتلك المشاهد التي يعاينها .

وهكذا نستطيـع أن نلاحظ أن الكميت ـ على الـرغم من حرصـه على تقليـد النماذج البـدوية في نعتهـا وأساليبهـا ـ لم يكن يخضـع لهـا خضـوعـاً مطلقاً ، ولـم يكن يتقيد بها تقيـداً تامـاً ، وإنما كـان يستبيح لنفسـه أن يخرج

---

(١) ألوذ به : أفزع إليه . الثمام : نوع من النبت الدقيق .

عليها في بعض جوانبها ، وهو خروج كانت تدفعه إليه ثقافته العقلية من ناحية ، ونزعته الخطابية من ناحية أخرى ، كما كانت تدفعه إلى ذلك طبيعة موضوعه ، وطبيعة المهمة التي فرض على نفسه أن يقوم بها في ميدان العقيدة الشيعية»(١) .

ويشاء ابن قتيبة وغيره من النقاد ، أن يجعل محاكاة الكميت لغيره من الشعراء الجاهليين فيما يتعلق بمواقفه من البادية ورسم ديارها « إلى التكلف في الشعر والسرقة(٢) ، ويضرب مثلاً على ذلك التشابه في المواقف بين امرؤ القيس بن عالِس الكندي(٣) والكميت».

يقول امرؤ القيس بن عابس الكندي :

| | |
|---|---|
| قف بالديار وقوف حابس | وتأنَّ إنك غير آيس |
| لعبت بهن العاصفات | الرائحات مع الروامس |
| يا رب باكية عليَّ | ومنشد لي في المجالس |
| أو قائل يا فارساً | ماذا رزئت من الفوارس |
| لا تعجبوا أن تسمعوا | هلك امرؤ القيس بن عابس(٤) |

أخذ الكميت الصورة الشعرية كلها غير القافية فقال :

| | |
|---|---|
| قف بالديار وقوف زائر | وتأيَّ إنك غير صاغِرْ(٥) |

---

(١) حياة الشعر في الكوفة ص ٧٢٠ ـ ٧٢١.

(٢) الشعر والشعراء ج ٢ ص ٥٨١ ـ ٥٨٤.

(٣) امرؤ القيس بن عابس الكندي : ٢٥ هـ ـ ٦٤٥م. شاعر مخضرم من أهل حضرموت . أسلم عند ظهور الإسلام ووصول الدعوة إلى بلاده . ووفد إلى النبي (ص) يريد فتح حصن النجير وخباية ، انتقل أواخر عمره إلى الكوفة وتوفي بها . الأغاني ج ١٥ ص ١٠٨ ـ ١٢٤ ـ الخزانة ج ١ ، ص ٦٩ ـ ٧١ والمرزباني ص ٣٤٧ ، وضوء المشكاة وتاريخ الشعراء الحضرميين ج ١ ص ٤٤ .

(٤) أسد الغابة ج ١ ص ٦٨.

(٥) تأي : توقف وتمكث فعل أمر والبيت في اللسان ج ١٨ ص ٦٧ .

ماذا عليك من الوقوف بها مِدِ الطَّلَلَيِنِ داثِرْ
درجت عليه الغاديات الرائحاتُ من الأعاصرْ[1]

فأمرؤ القيس بن عابس الكندي يقول بصيغة الأمر ، أو الترجي لمن معه أن يقف لحظة مع الشاعر للنظر في آثار الديار - ديار الأحبة الذين هجروها - وأن يأخذ العبر من الماضي ، لأن في التأني التفكر ، وفي التفكر أخذ الموعظة ، ثم يتحدث الشاعر عن العواصف التي لعبت بتلك الديار ، فلم تزدها إلاَّ خراباً وضياعاً . والكميت بن زيد الأسدي هو أيضاً يطلب من أصحابه أن يقفوا معه وقفة زائر لتلك الآثار الدارسة ليروا الأطلال الداثرة التي مرَّت عليها الرياح عائدة ورائحة لتمحى معالمها .

إنها نفس الصورة الشعرية ، مع نفس اللغة والمرادفات أيضاً ، وإن حصل هناك من تقديم وتأخير عند الكميت ، فإنه لم يغير من الصورة شيئاً .

وقد أورد القاضي الجرجاني مجموعة من الأوصاف التي يقول أنه سرقها عن غيره . فمنها :

يصير أبانُ قريع السَّماح والمكرمات معاً حيث صارا

أخذه عن بعض العرب :

ما قصر الجود عنكم يا بني مطرٍ ولا تجاوزكم يا آل مسعود
يحل حيث حللتم لا تفارقكم ما عاقب الدهر بين البيض والسود[2]

فالسماحة والمكرمات تصير مع ( أبان ) حيثما صار ، في البيت الأول ، وفي البيت الثاني يسير الجود مع بني مطر وآل مسعود ، فلا يقصر

---

(١) الشعر والشعراء ص ٥٨٢ .
(٢) الوساطة بين المتنبي وخصومه للقاضي الجرجاني ص ٢٨٦ .

عن أولئك ، ولا يتجاوز هؤلاء ، بل يحل حيثما يحل الاثنان لا يفارقهم ما دام الدهر يفرق بين البياض والسواد فالفرق بين المعنيين أن الأول جاء موجزاً مختصراً ، في حين أن الثاني جاء مفصلاً وقول الكميت :

ولما رأيت الدهر يقلب ظهره على بطنه فعل الممعك بالرَّملِ[١]

أخذه عن أبي رميلة الذي يقول :

هم ساعد الدهر الذي يتقى به وما خير كف لا تنوء بساعد[٢]

فالدهر في البيت الأول لا يركن إليه ، لأنه كثير التحول من حال إلى أخرى . أما في البيت الثاني فالقوم هم الساعد الذي تبقى به ، ولا خير في كف ليس لها مساعد .

وكانت الخنساء كثيرة المدح لأخيها ، فقيل لها : قد فضلته على أبيك فقالت :

جارى أباه فأقبلا وهما يتعاوران ملاءة الحُضْرِ[٣]
حتى إذا نزلت القلوب وقد كزَّتْ هناك العذرُ بالعذرِ[٤]
وعلا هتاف الناس أيُّهما قال المجيب هناك : لا أدري
برزتْ صفيحة وجه والده ومضى على غلوائه يجري
أولى فأولى أن يساويه لولا جلال السِّنِّ والكبر
وهما كأنهما وقد برزا صقران قد حطا إلى وكرِ

---

(١) الممعك : المتمرغ .

(٢) الوساطة بين المتنبي وخصومه : ص ٤٣٠ .

(٣) بارى أباه : تعني أخاها ، ويتعاوران : يتداولان . والحضر : العدو .

(٤) نزلت : ارتفعت . ولزت : لصقت . العذر : جمع العذار . يعني عذارى فرسيهما في التسابق وهو استعارة.

فأخذ الكميت من الخنساء المعنى في قوله في مخلد بن يزيد بن المهلب[1] :

| | |
|---|---|
| ما إن أرى كأبيك أدرك شأوه | أحد ومثلك طالباً لم يلحق |
| تتجاذبان ؛ له فضيلة سِنِّهِ | وَتَلَوْتَ بعدُ مُصَلِّياً لم يسبقِ |
| أن تنزعا وله فضيلة سَبْقِهِ | فبمثل شأو أبيك لم يتعلقِ |
| ولئن لحقت به على ما قد مضى | من بعد غايته فامج وأخلقِ[2] |

والمعنى الأول : أن أبا صخر وابنه بطلان يقاتلان الأعداء بشجاعة نادرة حتى يحار الناس كيف يفضلوا واحداً عن الآخر ، ويكاد الابن يساوي أباه لولا جلال السن والكبر .

والمعنى الثاني : يقول الكميت مخاطباً مخلداً : إن سبقك أبوك في البطولة فلا غرو في ذلك فإنه لم يسبق قط ، وإن سبقته فأنت جدير بالسبق .

ولننظر إلى عنترة العبسي وهو يحثّ خبب ناقته فيقول :

| | |
|---|---|
| هِرٌّ جنيبٌ كلما عطفتْ له | أهوي إليه باليَدَين وبالفم |

فأخذ الكميت الصورة والمعنى فقال :

| | |
|---|---|
| كأن ابن آوى موثق تحت زَوْرِها | يُظَفِّرُهَا طَوْراً ، وطوراً يُنَيِّبُ |

---

(١) مخلد بن يزيد بن المهلب بن أبي صفرة ( ١٠٠ هـ ـ ٧١٨م) أمير من بيت رياسة وبطولة كان مع أبيه في أكثر وقائعه وولايته ، ولما صارت الخلافة إلى عمر بن عبدالعزيز ونقم عمر على أمير خراسان ( يزيد بن المهلب ) ، كتب إليه أن يستخلف على عمله فاستخلف ابنه مخلداً ، ورحل مخلد إلى الشام يلتمس الإفراج عن أبيه. فناظره عمر ، ورأى من عقله ما أعجبه حتى قال: هذا فتى العرب ( الكامل لابن الأثير ج ٥ ص ١٨ ـ ١٩).

(٢) أمالي المرتضى ج ١ ص ٩٨.

فناقة عنترة يلازمها هر كلما تلكأت بالمسير انقض عليها بيديه وبفمه يكلمها . أما ناقة الكميت فإن ابن آوى قد أوثق تحت صدرها يكلمها بنابه ، أو يخلبها بظفره ليحثها على المسير .

فالصورة واضحة بيّنة في إبداعها عند عنترة ، وتقصيرها عند الكميت ، إذ ان ناقة عنترة لا تحتاج إلاَّ نادراً لمن يحثها على المسير ، فيعمد الهر إلى ذلك ، أما ناقة الكميت فهي خاملة تحتاج إلى الحث الدائم لتواصل المسير .

وقد لاحظنا الأداء الناعم في المعنىٰ عند عنترة ، فالهر يعمد إلى الناقة باليدين وبالفم ، وقد يكون الإيذاء للناقة من قبل الهر وقد لا يكون ، فالمعنى عام غير محدد ، أما عند الكميت ، فأداء المعنى خشن يظهر فيه العنف من قبل ابن آوى ، فهو يغرز أظافره وأسنانه في جسم الناقة . وهذا عمل لا يثير الإعجاب بقدر إثارة اشمئزاز النفس من منظر الناقة وهي تتألم من ذلك الحيوان .

ولنقرأ غناء قيس بن الخطيم[1] :

تبدت لنا كالشمس تحت غمامة      بدا حاجب منها وظنت بحاجبِ[2]

ولنقرأ قول الكميت ناسجاً على منواله :

حتى بدا حاجبُ من الشمس      والحاجبُ الشرقيُّ منها محتجب

---

(١) قيس بن الخطيم يكنى أبا يزيد . كان أبوه الخطيم قتل وهو صغير ، قتله رجل من بني حارثة ، فلما بلغ قيس بن الخطيم وعرف أخبار قومه وموضع ثاره ، لم يزل يلتمس غرة من قاتل أبيه في المواسم حتى ظفر بقاتل أبيه بيثرب فقتله . وكان قيس مقرون الحاجبين أوعج العينين ، أحمر الشفتين براق الثنايا كأن بينها برقاً ما رأته حليلة رجل قط إلاَّ ذهب عقلها ، قتل قبل الهجرة ( الأغاني ج ٢ ص ١٥٩ ـ ١٦٣) .

(٢) جمهرة أشعار العرب دار بيروت ٢٢٧ ـ الديوان ص ٧٩ طبعة صادر ١٩٦٧ .

لاحظنا الرقة في أداة التعبير عند قيس بن الخطيم حين استخدم عبارة ظنت بمعنى بخلت فما أبدع التشبيه بين الحبيبة وبين الشمس فكلاهما جميل ، وكلاهما خجول للدلالة على الأنوثة ، وكلاهما يحاول أن يجود على المحب ولكن بشكل جزئي حتى لا يطمع ذلك الحبيب ، فتجود الحبيبة بشيء ، وتخفي شيئاً آخر .

أما عند الكميت فنلمس البرودة في التعبير ، والجمود في الصورة ، مشهد يصوره لنا الكميت ، وكأنه صورة للوحة أخرى ، عجز عن التشبه بها ، أو محاكاتها ، فكانت مجرد أدوات هنا ، وأدوات هناك ، وألوان هنا ، وألوان هناك . ولكن يد الفنان تختلف في عملية الإخراج بين هنا وهناك .

وإذا كنا قد أظهرنا بعض التقصير في تقليد الكميت للقدماء ، فهذا لا يعني أنه لم يأت بالتشابيه الجيدة الحضارية التي يعجز الجاهلي عن الإتيان بمثلها . فلنستمع إليه يصف الثور الوحشي لنرى كيف أبدع في الإتيان بالتشابيه والاستعارات الرائعة :

يقول الكميت في وصف سرعة ناقته :

نَصِلُ ٱلسُّهْبَ بالسُّهُوبِ إليهم وصل خرقاءَ رِمَّةً في رُمَامِ

فالسُّهبَ غير متصلة بعضها ببعض بل تقطعها الهضاب ، ولهذا تجتاز الناقة السهول والهضاب فتصلها ببعض كما يوصل الحبل المنقطع .

وقوله في وصف الثور الوحشي :

لَيَاحٌ كأنْ بالأتحمية مُسْبَغٌ إزاراً وفي قُبْطيَّةٍ متجلببُ
وتحسبُهُ ذا بُرْقُع، وكأنه بأَسْمَالِ جيشانيةِ متنقِبُ

فالثور الوحشي يرتدي لباساً يمنياً مسبوغاً ، وعليه إزار ، ويتجلبب بثوب أبيض مصنوع من كتان مصر ، وتحسبه في جسمه المبرقع وكأنه

ملتف في ثياب بيض خلقه متنقبة ، لأنه ليس في بياض خالص ، بل منقط بالأحمر .

إنها تشابيه رائعة ابتكرتها مخيلة الكميت ، فأجادت الابتكار سواء رأى الثور الوحشي أم لم يراه .

ولنلاحظ هذه الصورة للثور الوحشي أيضاً كيف يحاول إخفاء مؤخرته حياءً من القوم الذين يطاردونه :

فكان إدراكاً واعتراكاً كأنه ... على دبر يحميه غيران موأبُ[1]

ولنلاحظ أيضاً هذا التشبيه الجميل الذي إن دلَّ على شيء ، فإنما يدل على سعة معرفة الكميت بأحوال الجاهليين وعاداتهم ، فاستعارها ليسخرها في مكان يخدم معتقده .

كما رضيت بخلاً وسوء ولاية ... لكلبتها في أول الدهر حَوْمَلُ
نُباحاً إذا ما الليل أظلم دونها ... وضرباً وتجويعاً خَبَالُ مُخَبَّلُ[2]

فبنو أمية أو بالأحرى خلفاؤهم يتعاملون مع الناس ، كما تتعامل ( حومل ) تلك المرأة الجاهلية النحيلة مع كلبتها ، فهي في الليل تربطها إلى جانب خبائها لتحرسها ، وفي النهار تطردها ، لتبحث عن طعامها في مكان آخر ، وهكذا بنو أمية يسخرون الناس لخدمتهم ، ويحرمونهم من التمتع بلذة طعم أتعابهم ، قهراً لهم وظلماً .

ولنأخذ هذا المشهد البدوي الجميل والمؤثر في النفس للرياح وهي تعصف حاملة الرمال ثم تلقيها على ما تبقى من آثار الراحلين ، وكأنها في صورتها هذه ، امرأة تنخل بالغربال .

ما أنت والدار إذا صارت معارفها ... للريح ملعبةً ذات الغرابيلِ[3]

---

(١) الهاشميات ص ٤٧ .

(٢) المصدر نفسه ص ٦٤ .

(٣) المصدر نفسه ص ٨١ .

إن هـذه اللوحات التي لا يخفى جمـال إبـداعهـا على أحـد بعض من لـوحـات كثيـرة أبـدعتهـا مخيلة الشـاعــر ، وإذا كـان الكميت يلتقي ببعض الأوصـاف مع غيـره من الشعراء فـإن صوره جـاءت مميزة ، لأنـه استطاع أن يدخل العـامل الحضـاري مع العـامل البـدوي مما جعـل الصور البـدوية في حلة جـديدة ، إن دلَّت على شيء ، فـإنمـا تـدلُّ على الـذوق الفني المميـز عنـد من استطاع أن يمـزج تلك المشاهـد بعضهـا ببعض ، ليخـرجهـا بحلة جديدة ، أجمل من حلتها التي كانت عليها سابقاً .

المصدر الثالث الذي استقى الكميت منه أوصافه ومعانيه ومفـرداته هـو القـرآن الكـريم ، فنحن لا يجب أن يسهى عن بـالنـا أن الكميت أولاً وقبـل كـل شيء عقائـدياً مسلمـاً شيعياً ، ولهـذا كما قلنـا كـان يبحث بين الآيـات القرآنية على مـا يدعم وجهـة نظره في منـاصرة آل البيت . فكـان مضطراً أن يطلع على القرآن ، ويحفظ معظمه . وهو ثانياً مغرم بـالاستدلال والمنـطق ، فهـو لهذا بحـاجة إلى اللغـة القويـة السبك ، البيّنـة الدلالـة . من هنـا جـاء اهتمام الكميت بالقرآن الكريم كمصـدر أو ينبوع يستقي منـه ليغذي قـريحته الشعرية ، ويوسع تطلعاته الخيالية .

إنني لأعجب من أولئــك الــذين يجعلون أخــذ الكميت من القــرآن سـرقة ، فقـد جـرت العـادة أن يقـال : فـلان سـرق عن فـلان معـانيـه ، أو تشبيهـاته ، أو أوصــافه ، إلى غيـر ذلك لأن مـا يأتيـه فرد يكـون ملكـاً لـه لا يجوز لأحد أن يأخذه منـه ، فإن أخـذه كان سـراقاً . أم أن يقـال : أن الأخذ من القرآن سرقـة فهذا أمـر غير مقبـول ، لأن القرآن الكـريم ، جاء عـاماً في أوصافه ، أو مدلولاتـه ، أو معانيـه ، ولهذا فـإن الأخذ منـه ، وبصورة عـامة أمر مشروع يغني الآخذ في كل ما يريده .

ثم إن الكميت لـم يكن الشـاعر الـوحيد الـذي أخذ عن القـرآن ، بـل نجد أن معظم شعـراء الصدر الإسـلامي والأموي كـانوا يتبـاهون في محـاكاة القرآن الكريم في صوره ومعانيه .

وكان من أهم الذين اهتموا بأخذ الكميت عن القرآن الكريم أبو يحيى محمد بن عبدالله بن عبدالأعلى المعروف بابن كناسة[1] الذي ألَّف كتاباً وجعل عنوانه « سرقات الكميت من القرآن » .

وإذا أخذ على الكميت اعتماده على القرآن الكريم في اقتباس الصور والمعاني فما رأى هؤلاء بقول الراعي النميري يشكو إلى الخليفة عبدالملك بن مروان[2] ظلم الولاة :

أولي أمر الله إنا معشر حنفاء نسجد بكرة وأصيلا
عرب نرى الله في أموالنا حق الزكاة منزلاً تنزيلا
قوم على الإسلام لما يمنعوا ماعونهم ويضيعوا التهليلا
فادفع مظالم عيَّلت أبناءنا عنا وأنقذ شلونا المأكولا
إن السعاة عصوك حين بعثتهم وأتوا دواعي لو علمت وغولا
إن الذين أمرتهم أن يعدلوا لم يفعلوا مما أمرت فتيلا[3]

وما رأي هؤلاء بقول كثير عزة يمدح عمر بن عبدالعزيز بعدله وصلاح تقواه ، وتطبيقه للشريعة :

وأظهرت نور الحق فاشتد نوره على كل لبس بارق الحق مظلم
وصدقت بالفعل المقال مع الذي أتيت فأمسى راضياً كل مسلم

---

(١) محمد بن عبدالله ( الملقب بابن بكناسة) ١٢٣ ـ ٢٠٧ هـ ـ ٧٤١ ـ ٨٢٣م) ابن عبد الأعلى المازني الأسدي ، من أسد خزيمة ، أبو يحيى ، من شعراء الدولة العباسية ، من أهل الكوفة ، كان يجتنب في شعره المدح والهجاء وكان عالماً بالعربية وأيام الناس ، راوية للكميت وغيره من الشعراء ( الورقة ٨١ والأغاني طبعة الدار ج ١٣ ص ٣٧ الفهرست ١٠٥ .

(٢) كان عبدالملك بن مروان من أكثر الناس علماً وأبرعهم أدباً . وهو أول من سلم عليه بالخلافة والمصحف في حجره فأطبقه وقال : هذا فراق ما بين وبينك ، طبعة دار المعارف ـ الكامل ج ٢ ص ٣٢ .

(٣) شعر الراعي النميري ص ٥٥ .

فكلمت بالحق المبين وإنما ... تبين آيات الهدى بالتكلم
وما زلت تواقاً إلى كل غاية ... بلغت بها أعلى البناء المقدم
فلما أتاك الملك عفواً ولم يكن ... لطالب دنيا بعده من تكلم
تركت الذي يفنى وإن كان مونقاً ... وآثرت ما يبقى برأي مصمم(١)

ألا نشعر بما أتينا به من شواهد كيف تتجسد الروح الإسلامية ، والمعاني القرآنية في النصين ؛ فقد استخدم الراعي النميري العبارات القرآنية التالية : حنفاء نسجد بكرة وأصيلاً ، ونرى الله في أموالنا ، والزكاة ، والتنزيل ، والتهليل ، وغولا وفتيلا ، واستخدم كثير عزة من معاني القرآن الكريم ، نور الحق ، والحق المبين ، وآيات الهدى ، والذي يفنى وما يبقى .

إن ما ذكرناه جاء على سبيل المثال والحصر ، ومن أمثاله الكثير في شعر صدر الإسلام والعصر الأموي . فقد كان الاستشهاد بمعاني القرآن وألفاظه مما يتباهى به الشاعر ، لا مما يشينه ، أو يستهجن عليه .

ومن المعاني والتعابير القرآنية التي استعان بها الكميت في شعره قوله تعالى : **﴿ فأما من طغى وآثر الحياة الدنيا فإن الجحيم هي المأوى ﴾**(٢) أخذ الكميت هذا المعنى بقوله : رضينا بدنيا لا نريد فراقِهَا(٣) . وقوله تعالى : **﴿ حم تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم ﴾**(٤) أخذها الكميت في قوله : وجدنا لكم في آل حاميم آية(٥) . وقوله تعالى متحدثاً عن نبي الله موسى : **﴿ فأصبح في المدينة خائفاً يترقب ﴾**(٦) ، أخذها الكميت بقوله :

---

(١) الديوان ص ٣٣٤ .
(٢) النازعات آية ٣٧ .
(٣) الهاشميات ص ٦٢ .
(٤) الأحقاف آية : ١ ، والدخان آية : ١ .
(٥) الهاشميات ص ٣٠ .
(٦) القصص آية ١٧ .

ألم تـرني مـن حـب آل محـمـد أروح وأغـدوا خـائفـاً أتـرقب[1]

وقـولـه تعـالى : ﴿ **واعلمـوا انمـا غنمتم من شيء فـإن لله خمسـه وللرسـول ولذوي القـربى واليتامى** ﴾[2] . أخـذه الكميت بقولـه : فإن ذوي القربى أحق وأقرب[3] .

وهنالك الألفاظ والمعـاني الكثيرة الأخـرى التي استخدمهـا الكميت من القـرآن الكريم ، كـأني جان أخـذها من قـوله تعـالى : ﴿ **كأنهـا جان** ﴾ في حـديثه عن عصـا مـوسى ، وعبـارات ، عـرى ، وانفصـام شفى نـار ، دار المقام ، ولي الأمر ، والسراج المنير ، أهـل الكتاب ، وغيـرها كثيـر نجدهـا عند الكميت في شعره . .

المصـدر الـرابـع الـذي استقى منـه الكميت معـارفـه هـو الفكـر الاعتـزالي ؛ فالكميت أراد أن يكـون عقائـدياً يـدافـع عن فكـرة معيّنـة يؤمن بها ، والعقائـدي عادة لـه خصوم لا بـد له من محـاجتهم ، ومناقشتهم حـول أمور يريـد : إما إقنـاعهم بخطئهم فيهـا أو التخلي عمّا هم عليـه إلى ما هـو أحسن منه ، وهو الفكر الذي يعتنقـه ، وإما إقنـاع الناس الـذين يناصـرونهم بالتخلي عنهم والانحياز إلى ما يؤمن به الشاعر .

ولتحقيق هٰـذين الأمـرين لا بـد لـه من أن يتسلح بـالفكـر القـادر على تحقيق ذلك . وأهـم العوامل التي يعتمد عليهـا الفكر في إقنـاعه هـو المنطق الصحيح والحجة المقنعة ، والبرهان الواضح . ومن أهـم الحركـات الفكريـة التي بـرعت في ذلـك ، واتصفت بـه هم المتكلمـة وأصحـاب الاعتـزال . والمعتزلة فرقة من الفرق الإسلاميـة ، التي كانت من أكثـر المسلمين تحمساً

---

(١) الهاشميات ص ٣٨ .

(٢) الأنفال : آية ٤٠ .

(٣) الهاشميات ص ٣٤ .

للدفاع عن الدين الجديد ضد التيارات المنحرفة والهدامة التي غزت المجتمع الإسلامي من الخارج ، وراحت تحاول إفساد فكر المسلمين بما حملته في طياتها من بذور التهتك والكفر بالدين الجديد ، ولما كان هؤلاء في أغلبهم من شعوب ذات حضارات عريقة ، كاليونان ، والفرس ، والهنود ، وأنهم يتسلحون بالفكر ، رأى المسلمون وعلى رأسهم المعتزلة بوجوب التسلح بهذا السلاح لمجابهة خصومهم ، فأخذ المنطق ، وعلم الكلام ، والسفسطة طرقهم إلى الفكر الإسلامي عن طريق المعتزلة ، وقد تتلمذ على يد هؤلاء الكثير من المفكرين المسلمين ؛ فقد بهر الشباب المسلم بما تمتع به المعتزلة من طاقة فكرية ، وقدرة عجيبة في الاقناع ، وكان لهم مدارس عديدة في البصرة والكوفة ، ومن ثم بغداد . وقد شق الكميت طريقة نحو المعتزلة بعد أن سبقه إليها زيد بن علي ليتتلمذ على واصل بن عطاء ، فنهل الكميت بشغف فكرهم وأساليبهم ، وحججهم ، وراح يستخدم هذه الأساليب في دفاعه عن آل البيت وحقهم المشروع في حكم المسلمين بعد النبي (ص) ، ومن يقرأ هاشمياته فإنه سيجد فيها الحجج والبراهين الكثيرة التي استخدمها الكميت لصالح بني هاشم ضد الأمويين كوصف بني هاشم بالعدل ، ووصف بني أمية بالجور ، كما يتحدث عن ماضي الهاشميين في مناصرة الدين الإسلامي ، وحمل لوائه لنشره بين القبائل العربية . وماضي الأمويين المعارض لهذا الدين ، ومحاربتهم له وموت الكثير من شجعانهم على يد بني هاشم في بدر وحنين وغيرها من المواقع ، وكان على رأس الأمويين المعارضين أبو سفيان .

ولا يقتصر الكميت على هذا فقط في الاستدلال والحجة لبني هاشم على بني أمية ، بل نجده يستخدم أيضاً قضية الميراث ، وهل النبي يرث أم لا يرث ، وكيف استخدم الكميت حجج آل البيت للدفاع عن حقهم بالميراث ، وقد اتصف الكميت في نقاشه وبرهانه بأسلوب الخطابة وما

تتسم بـه من البيـان والحجـة ، حتى اكتسب صفتـان أطلقهمـا عليـه النقـاد والباحثون هما : أنه خطيب بني مضر ، وفقيه الشيعة .

ولهذا يرى شوقي ضيف أن الكميت في هاشمياته كـان يحاج ويجـادل في مسـألة الهـاشميين ، بالضبط كمـا كان يحـاج ويجـادل الحسن البصـري وزمـلاؤه وتلاميـذه في مسألـة القدر ، فعنـده فكرة معيّنـة متناسقـة يكتب فيها هاشمياته ، وله هدف معيّن يريده من هذه الهاشميات[١] .

ولهـذا فإن الكميت في نـظر شوقي ضيف أيضـاً ( لم يعد الشعـر عنده يعبّر عن الشعور فحسب ، بـل أصبح يعبـر أيضاً عن الفكـر ، وأصبح يُشْفَـعُ بكـل ما وصـل إليه الفكـر العـربي في هـذا العصـر من قـدرة على الجـدال والإقنـاع ، وهي قدرة اشتهـر بها إمـام الكميت زيد بن علي ، ولا شـك أنها أتتهما جميعاً من تلمذتهما لواصل بن عطاء رأس المعتزلة )[٢] .

ولم يكن واصل بن عطاء هـو وحده الـذي استقى من الكميت معارفـه في الجدل والاستنباط والقياس ، بل نجده يأخذ ( في مراحـل حياتـه العلمية الأولى من أبي حنيفـة طـريقتـه في الجـدل والقيـاس واستنبـاط الأحكـام ، واستنتاج الفروع من الأصول )[٣] .

وممـا يرجـح الظن بـاتصـال الكميت بـأبي حنيفـة حسب رأي يـوسف خليف هــو صلة الكميت بـزيــد بن علي ومن ثم صلة زيــد بن علي بــأبي حنيفة الذي كـان يميل إلى زيـد ، ويفتي سراً بـوجوب نصـرته وحمـل المال إليه والخروج معه[٤] .

---

(١) التطور والتجديد في الشعر الأموي ص ٢٧٦ .
(٢) المرجع نفسه ص ٢٧٧ .
(٣) حياة الشعر في الكوفة ليوسف خليف ص ٧٠٦ .
(٤) المرجع السابق ص ٧٠٦ .

وهذه المنابع الفكرية التي روى الكميت بعض عطشه منها ، لا تنسينا المنبع الأساسي الذي ارتوى الكميت منه وهو الفقه الشيعي ، فهو مثلاً عندما يناقش مسألة الميراث نجده كما يقول يوسف خليف يناقش هذه المسألة على أساس من الفقه الشيعي لا الفقه السني ، وهناك خلاف كما هو معروف بين الفقه السني والفقه الشيعي حول هذه المسألة )[١] .

والأخبار التي تدل على صلة الكميت بجعفر الصادق الحميمة كثيرة ، وقد أوردتها المصادر القديمة كالأغاني ومروج الذهب وطبقات الشعراء لمحمد بن سلام الجمحي وغيرها ، وكلها تشير إلى إعجاب جعفر الصادق خاصة والهاشميين عامة بالكميت . ويكفي أن نذكر دعاء جعفر الصادق له « اللهم إن الكميت جاد في آل رسولك وذرية نبيك بنفسه حين ضنى الناس ، وأظهر ما كتمه غيره من الحق ، فأحيه سعيداً وأمته شهيداً ، وأره الجزاء عاجلاً وأجزل له جزيل المثوبة آجلاً ، فإنا قد عجزنا عن مكافأته»[٢] لنبيّن مكانة الكميت عنده .

---

(١) حياة الشعر في الكوفة ص ٧١٣ وانظر ضحى الإسلام لأحمد أمين ج ٣ ص ٢٦٠ الذي له رأي في هذا الموضوع أيضاً .

(٢) طبقات الشعراء ص ١٤٥ .

# الفصل الثاني
# عقيدة الكميت

اختلف الباحثون قديماً وحديثاً حول الانتماء الحقيقي لعقيدة الكميت ؛ فمن خلال قراءتنا لما قيل حول الكميت من آراء المؤرخين المعاصرين له ، والمعاصرين لنا ، نلاحظ تركيزهم على أنه انتماء الكميت العقائدي يعود إلى فرقة الزيدية نسبة إلى زيد بن علي ، وهم يأتون بالاستشهادات والدلائل التي تؤكد صحة أقوالهم ، ومن أهم هذه الاستشهادات والدلائل ، عدم تعرض الكميت في شعره للخلفاء الراشدين الأوائل ؛ أبي بكر وعمر ، ويرى أن سبهما حرام ، وأن ما قاما به من أفعال بحق علي وفاطمة مرجعه إلى الله الذي هو يحكم فيما بينهم :

أَهْوَىٰ عليّاً أَمِيْرَ المؤمنين ولا ... أرضىٰ بشتْم أبي بَكْرٍ ولا عُمرا
ولا أقول، وإنْ لم يعطيا فَدَكاً ... بنتَ الرَّسُولِ ولا ميراثاً كفرا
اللّهُ يعلمُ ماذا يأتيانِ بهِ ... يومَ القِيَامَةِ من عذرٍ إذا اعتذرا

فالشاعر يشير هنا إلى بعض المواقف التي كانت مصدر خلاف بين المسلمين حول ميراث النبي هل جائز أم غير جائز .

فقال بعضهم أن النبي لا يورَّث اعتماداً على قول النبي (ص) نحن معشر الأنبياء لا نورث وما تركناه صدقة، وأما البعض الآخر فقال : إن الأنبياء تورث كغيهم من سائر الناس ، مستندين على قوله تعالى :

﴿ وورث سليمان داوود ﴾[1] ، وقول زكريا مخاطباً ربه : ﴿ فهب لي من لدنك وليّاً يرثني ويرث من آل يعقوب واجعله ربِّ رضياً ﴾[2] .

وقد داعى الإمام علي (ع) أبا بكر على سيف الرسول وجبته ، وادعت فاطمة (ع) إرث أبيها ( بفدك ) ، وهذا ما أشار إليه الشاعر في هذه الأبيات ، بأنه لن يخاصم أبا بكر ، ولا عمر حول تصرفهما تجاه علي وفاطمة عليهما السلام بل سيرجع ذلك إلى الله تعالى فيحكم في هذه الأمور .

ولكن الذي نلاحظه أيضاً أنه لا يبررهما في تصرفهما ، فهنالك فرق كبير بين التكفير وبين ارتكاب الذنب ، أو الخطأ ، فعندما يقول : أنه لا يدري بما يعتذران به ، دليل على وجود الخطأ وإن لم يحج به .

وهو في هذا الاتجاه يأخذ بقول المرجئة الذين لا يقطعون بأعمال الناس من الوجه العام ، بل يرجئون الحكم إلى الله تعالى الذي يستطيع وحده أن يقضي بحكمه فيما صدر من أفعال الناس .

هذا الموقف من الكميت تجاه الخليفتين جعلت المؤرخين تجزم بأنه من الفرقة الزيدية المعتدلة التي تجيز خلافة أبي بكر وعمر مع وجود من هو أفضل منهما وهو علي (ع) حتى لا يحدث انشقاق بين المسلمين .

وإنني أرى أن هذا الموقف من الكميت ليس بكافٍ لنقول عنه أنه ينتمي إلى فرقة الزيدية ، وبأنه كان يؤمن بإمامة زيد بن علي مع وجود أخيه محمد الباقر ، فهو يناصر الحركة الشيعية من أي مصدر جاءت ، وخاصة إذا كانت تصب في الاتجاه الذي يدعو إلى تغيير الحكم الأموي . لكن موقفه من زيد بن علي تدل دلالة قاطعة على أنه لم يكن من الزيدية ،

---

(١) النحل آية ١٥ .

(٢) مريم آية ٥ .

وأدلتنا على ذلك كثيرة ؛ فهو مثلاً يقف من ثورة زيد بن علي موقف المتفرج ورفض المشاركة فيها . فعندما كتب إليه زيد ليخرج معه قائلاً له : أخرج معنا يا أُعَيْمش الست القائل :

ما أبالي - إذا حُفِظْتُ أبا القا ... سم فيكم ملامة اللُّوامِ

كتب إليه الكميت مجيباً :

تجود لكم نفسي بما دون وثبة ... تظل لها الغُربان حَوْلي تَحْجُلُ[1]

فهو لم يخرج مع زيد لأن زيداً قد خالف نصيحة أخيه محمد الباقر بعدم الخروج « وقد كان زيد بن علي شَاوَرَ أخاه أبا جعفر بن علي بن الحسين بن علي (ع) ، فأشار عليه بأن لا يركن إلى أهل الكوفة ؛ إذ كانوا أهل غَدْر ومَكْر ، وقال له : بها قتل جَدُّكَ علي (ع) ، وبها طعن عمك الحسن(ع) [ وبها قتل أبوك الحسين (ع) ] وفي أعمالها شُتِمْنا أهل البيت ، وأخبره بما كان عنده من العلم في مدة ملك بني مروان ، وما يعقبهم من الدولة العباسية ، فأبى إلَّا ما عزم عليه من المطالبة بالحق ، فقال له : إني أخاف عليك يا أخي أن تكون غداً المصلوب بكُنَاسة الكوفة ، وودعه أبو جعفر ، وأعلمه أنهما لا يلتقيان»[2] .

فالكميت لم يخرج إذاً مع زيد عملاً بمبدأ التقية التي قال بها الشيعة الإمامية عندما لا تتوفر العوامل الكاملة لنجاح الثورة بهذا قال ( جولد تسيهر ) إن الكميت أول من استعمل كلمة ( تقية ) في معناها الاصطلاحي في قوله :

وإنيِّ على أني أرى في تقيَّةٍ ... أخالف أقواماً لقوم لمزْيَلُ[3]

---

(١) الأغاني ج ١٧ ص ٣٤ .

(٢) مروج الذهب ج ٣ ص ٢١٧ .

(٣) أدب الخوارج ص ١٣٠ .

فقد كان الكميت يعلم ما ستؤول إليه ثورة زيد من الفشل . وما مدح الكميت للأمويين إلّا من باب التقية أيضاً ، فهو معروف عنه أنه يناصر الشيعة ويقف موقف العداء من الأمويين فلا بد له من أن يتصرف بما يوحي أنه يناصر أيضاً الأمويين ليبعد التهمة عنه ، ومراقبة الأمويين له ، مما يسهل عليه الاستمرار في تأدية واجبه العقائدي نحو الشيعة .

ودليلنا على ذلك ما رواه الأصفهاني في كتابه الأغاني أن الكميت بعث إلى أبي جعفر محمد الباقر يستأذنه مدح بني أمية فأذن له وقال : هو في حلٍّ فليفعل ما يشاء(١).

ودخل الكميت بن زيد على أبي جعفر (ع) يوماً فقال له :

يا كميت : أنت القائل :

فالآن صِرْتُ إلى أميـة والأمور إلى المَصَائِرْ

قال : نعم ، قد قلت ، ولا والله ما أردت به إلّا الدنيا ، ولقد عرفت فضلكم ، قال : أما أن قلت ذلك فإن التقية لتحل(٢) .

هذه الأخبار تدل بوضوح قاطع على أن الكميت كان على صلة أوطد مع محمد الباقر منه مع زيد بن علي ، وأن التقية التي يعمل بها هي من التشريعات التي نص عليها قول محمد الباقر وولده جعفر وسار عليها من يسير على تشريعهم .

ودعوة جعفر الصادق إلى التقية تعود إلى اعتقاد صرح به بقوله : لا يخرج منا أهل البيت إلى قيام قائمنا أحد ليدفع ظلماً أو ينعش حقاً إلّا اصطلمته البلية ، وكان قيامه زيادة في مكروهنا وشيعتنا»(٣) ودعوة محمد

---

(١) الأغاني ج ١٧ ص ٣١ .
(٢) المصدر نفسه ص ٣٣ .
(٣) مقدمة الصحيفة السجادية .

الباقر وولده جعفر إلى الركون تعود إلي حديث عن رسول الله (ص) أن جبريل (ع) أخبره أن بني أمية تملك سلطان الأمة الإسلامية وملكها طول مدة ألف شهر ، فلو طاولتهم الجبال لطالوا عليها حتى يأذن الله تعالى بزوال ملكهم ، وهم في ذلك يستشعرون عداوة أهل البيت وبغضهم[1].

وإذا كان الرأي بأن الكميت هو من الزيدية لمجرد أنه لم يشتم الخليفتين أبا بكر وعمر ؛ فهذا رأي ضعيف ، لأنه لم يسمع قط من الأخبار بأن محمداً الباقر أو ولده جعفر الصادق قد سمحا بشتمهما أو التلفظ بذكرهما بسوء ، بل قالوا لمن شايعهم وناصرهم : كونوا زيناً لنا ولا تكون شيناً علينا . وقالوا أيضاً لا تكونوا سبابين .

وإذا كان الكميت لم يخرج مع زيد بن علي للأسباب التي ذكرناها ؛ فإنه هالة فاجعة مقتلة ، كما هال جميع الشيعة ، فراح يرثيه بأسى. والحزن يتفجر من أعماقه حزناً عليه . وحزن الكميت مصدره أمران :

الأمر الأول : هو رؤية الأمة الإسلامية تخضع ذليلة مستهانة للأمويين ، الذين يعيثون فساداً في الأرض ويضربون بالشرائع الإسلامية عرض الحائط إلاّ ما قَلّ منهم ، ويولون على الناس ولاة طغاة جبارين ، لا هم لهم إلاّ القهر والتسلط ، وجمع المال لإنفاقه على ملذاتهم .

والأمر الثاني : هو عدم توفق ونجاح الثورات المتتالية ضد هؤلاء القوم ؛ فبالأمس كانت ثورة الامام الحسين (ع) في كربلاء فقتل ومن معه من أهل بيته وأنصاره ، دون أن يتحرك ضمير أحد للإحتجاج على ما جرى ، واليوم ثورة زيد بن علي ومصيره كمصير جده القتل والصلب . هذه الأحداث هي التي آلمت الكميت وجعلته يبدع في مراثيه أيما ابداع .

---

(١) مقدمة الصحيفة السجادية .

أسئلة شتى تتراود إلى الذهن ، وتثير التساؤل ، هل من نظم هذه المرائي ، وتلك المدائح في أهل البيت ، هو ذاته الذي صورته لنا الأخبار بأنه طريد الخوف ، يتخفى من مكان إلى آخر خوف القتل ، حتى ضاقت الأرض به ، فالتجأ إلى أمير يستجير به .

قد تكون هذه الأخبار صحيحة إذا أخذنا بعين الاعتبار مبدأ الكميت ، وتعلقه بالبقاء لا خوفاً من الموت بل سعياً من أجل اداء الرسالة التي حمل نفسه إيّاها .

وأما إذا نظرنا إليه من منظار آخر فإننا نجد أن مواقف الكميت في هجاء الأمويين وولاتهم ، ومناصرة عقيدته الشيعية هي فوق مستوى الأخطار وتجشمها . وإن كان بعض الباحثين المعاصرين يرون أن الكميت كان من أولئك الشيعة النظريين الذين يجدون في الكلام ميداناً يصولون فيه ويجولون[1] وأن تشيعه كان محدوداً من الناحية العملية[2] .

والحقيقة هي كما قلنا أن الكميت تصرف في مواقفه على ضوء ما تمليه آراء محمد الباقر (ع) وولده جعفر الصادق (ع) من وجوب التقية .

ومواقف الكميت كانت في منظار القدماء من الباحثين بين معتدلة، ومتطرفة؛ فقد رأينا كيف صنّفه بعض الباحثين مع المعتدلين من الشيعة، أو على رأيهم من فرقة الزيدية التي أيدت خلافة أبا بكر وعمر، رغم وجود من هو أفضل منهما وهو الامام علي (ع).

ونرى أيضاً بعض النقّاد القدماء ممن وقف من التشيع موقف العداء، يصنف الكميت من الرافضة، أمثال الجاحظ وابن قتيبة؛ فالجاحظ يقول عنه: «ومن الخطباء الشعراء الكميت بن زيد الاسدي، وكنيته أبو المستهل

---

(١) حياة الشعر في الكوفة ليوسف خليف ص ٤٢٠ .

(٢) تاريخ الشعر السياسي لأحمد الشايب ص ١٦٥ .

ولم يرَ الناس أعجب حالاً من الكميت والطرماح، وكان الكميت عدنانياً عصبياً، وكان الطرماح قحطانياً عصبياً، وكان الكميت شيعياً من الغالية، وكان الطرماح خارجياً من الصفرية»[1] وقال ابن قتيبة عنه «وكان بينه وبين الطرماح من المودة والمخالطة ما لم يكن بين اثنين على تباعد ما بينهما في الدين والرأي، لأن الكميت كان رافضياً، وكان الطرماح خارجياً صفرياً»[2].

والأحكام التي أصدرها كل من الجاحظ وابن قتيبة لا تخص الكميت فحسب، بل نجدها أحكاماً تصدر على كل موال للتشيع دون إعطاء الدليل على صدق ما يحكمون به، ترى لأي سبب أطلق على الكميت اسم رافضي أو من الغالية أو غير ذلك من الصفات، إننا لا نجد من ذلك شيئاً فهي أحكام عامة غير مقرونة بدليل.

وكما اختلف المؤرخون حول انتماء الكميت العقائدي، اختلفوا أيضاً حول ولائه القبلي، وولائه العقائدي. فقد قال بعضهم: أن الروح العصبية القبلية كانت لا تزال متأججة في نفوس العرب المسلمين حتى العصر الأموي، وان الاسلام لم يكن قد قضى على هذه الآفة الاجتماعية بعد، وإذا كانت هذا العصبية قد ضعفت إبان الحكم الاسلامي الأول، وأيام الخلفاء الراشدين، فإن هذه العصبية عادت لتتأجج أيام الأمويين تثبيتاً لحكمهم والهاء للناس عن التطلع الى القضاء على حكمهم الغير شرعي. من هنا نجد أن الخلفاء قد قد تركز همهم على إثارة العصبية القبلية بين مضر واليمن. لهذا كان الكميت كسائر الناس في ذلك العصر يكن الولاء لقبيلته أكثر من المولاء لعقيدته الدينية . وإلا لما كان ذلك الهجاء المخزي لليمنيين؛ فقد قيل أنه لم يترك حياً من أحيائها إلا ولطخه بمثالبه

---

(١) البيان والتبيين ج ١ ص ٣٦، ٣٧.
(٢) الشعر والشعراء ج ٢ ص ٥٨١.

وفساده. ثم لماذا نجد ذلك الرد المماثل من قبل دعبل الخزاعي ضد المضريين ، ونحن نعلم أن كلا الشاعرين ينتميان لنفس العقيدة، وهي الولاء السياسي لآل البيت.

وقال بعضهم الآخر: إن المسألة في هجاء الكميت لم تكن مسألة عصبية قبلية، وإنما كانت مسألة سياسية أريد بها خدمة عقيدته الشيعية، لأنها جاءت بناء لطلب منهم ، إذ كان لاذكاء الخلاف بين العرب ، وتمزيقاً للدولة الأموية . ولو كان الكميت حقاً جدياً في هجائه وان هجاء صادراً عن تعصب قبلي لما قال لولده المستهل : « وددت أني لم أكن هجوت نساء بني كلب بهذا البيت :

مع العُضْروطِ والعُسَفاء الْقَوْا    براذِعَهُنَّ غيـر مُحَصَّنينا[1]

فعممتهن قذفاً بالفجور، والله ما خرجت بليل قط الا خشيت أن أرمى بنجوم السماء لذلك[2].

فالكميت إذن يتألم لما قاله بحق الناس من إيذاء بأعراضهن.

وهذه صفة لم يكن يرضى أن يتصف بها لأنه مؤمن ومحب لآل محمد، ويسير على خُطاهم، وهذا أمر لا يرضيهم.

والحقيقة هي أن الكميت لم يكن يثير العصبية من أجل العصبية، بل من أجل خدمة عقيدته، وألا فأين هي تلك الأشعار التي يتحدث فيها عن قومه غير قصيدته المذهبة، كما يفعل سائر الشعراء، فإن مدائحه لعشيرته، وأهله، لا نكاد نجد منها في شعره الا القليل، فقد كان مشغولاً عنهم بحب آخر، وولاء آخر هو الولاء لآل محمد كما يقول.

---

(١) العضروط : الخادم على طعام بطنه ، والعسيف : الأجير والعبد المستعان به وجمعه عسفاً .

(٢) الأغاني ج١٧ ص ٤٠ .

وحاول بعض الباحثين المعاصرين أن يأخذوا حلاً وسطاً بين تعصب الكميت لعقيدته، وبين تعصبه لعشيرته، فقد قال أحدهم: «وكان الكميت الأسدي أشد الشعراء الشيعة غلواً في تشيعه، كما كان في الوقت عينه أشدهم غلواً في عصبيته وانتصاره لقومه النزارية»(١) والحقيقة هي كما قلنا أن الكميت وان كان يحب قومه ويفخر بهم، إلا أنه لم يصل في حبه الى درجة التعصب، فقد كان تعصبه لأناس بعينهم شغل بهم عمن سواهم أعني بهم آل محمد.

والدليل على ما نقول موقفه كما سبق وذكرنا من الكلبي الذي كان يهاجم عشيرته فيسمع قوله، ثم يسمع شعر شعراء قومه ويصدر حكمه أن الكلبي أشعر منهم.

ومما يوكد وجهة نظرنا أيضاً ما قيل: «كان الشعراء الشيعة مالوا الى بني هاشم لايمانهم بالمبادىء التي كانوا يدعون اليها، ولم ينحازوا اليهم مدفوعين بنزعتهم القبلية، أو رغبة في المكاسب. وكان الكميت بن زيد رأس شعراء الشيعة عصرئذ، كان ينأى بأن ينال من بني هاشم عطاءً لقاء نصرته إياهم بشعره، ولم يكن يقبل منهم إلا ثيابهم التي تلي أجسادهم تبركاً بها(٢).

وإذا كان الباحثون قديماً وحديثاً قد اختلفوا في آرائهم حول الانتماء القبلي والانتماء المذهبي، وأيهما أقوى عند الكميت نجدهم يكادون يتفقون حول الاختلاف الجوهري والقيمة الفنية بين مدح الكميت لبني أمية ومدحه لبني هاشم.

فهذا ابن شُبْرُمة، قال: قلت للكميت: إنك قلت في بني هاشم فأحْسنتَ، وقلت في بني أمية أفضل، قال: إني إذا قلت أحببت أن

---

(١) العصبية القبلية وأثرها في الشعر الأموي للدكتور احسان النص ص ٣٩٤.
(٢) خزانة الادب ج١ ص٦٩.

أحسن[1] وقد توهم ابن قتيبة ان الكميت كان في مديحه لبني أمية أجود من مديحه للطالبين بسبب طمعه في دنياهم، لأن الكميت لم يمدح أشخاص الطالبين بالصورة التي مدح بها بني أمية، فلم يقف عند طالبي بعينه، لأنه كان بصدد الدفاع عن نظرية معينة، بينما كان في مديحه لبني أمية مهتماً بشخوصهم فحسب، ولهذا فإنه لا وجه للمقارنة بين هاشميات الكميت ومدائحه لبني أمية أو لسواهم، وهو لم يكن متكالباً على مديحهم، وإنما مدحهم تحت ظلال سيوفهم تقية ومداراة[2].

وقالت سهير القلماوي: إن الكُميت هو أول من جاهر بحب آل البيت في شِعره، حتى أن شعره يعد وثيقة تاريخية في بعض مصطلحات الشيعة[3].

وإذا كان لا بد من رأي في شعر الكُميت في بني أمية أو غيرهم مدحاً أو رثاءً، فلا بد لنا من أن نأخذ نماذج من هذا الشعر لنقوم بدراسته وتقييمه.

وإذا كان لنا من بدء نبتدأه في شعر الكميت فحسبنا بشعره الذي أطرب بني أمية، وأثار استحسانهم، وكانت أولى تلك القصائد عندما دخل على هشام بعد أن غضب عليه، وارتجل أمامه خطبته التي ذكرناها فيما قبل، ثم امتدحه بقصيدته الرائية، ويقال: إنه قالها ارتجالاً، وكان عنده الأبرشى الكلبي فقال:

قَفْ بالديار وقوف زائرْ وتأيَّ إنك غيرُ صاغِرْ[4]

---

(١) الأغاني ج١٧ ص ٣٦.

(٢) الفرق الاسلامية في الشعر الاموي للدكتور نعمان القاضي ص ٦٠٢ - ٦٠٣.

(٣) إتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني للهجرة للدكتور محمد مصطفى هدارة ص ٣٧٦.

(٤) وتأيَّ: تلبث، وأمكث، الصاغر: المهان. الراضي بالذلة.

ومضى فيها حتى انتهى الى قوله:

ماذا عليك من الوقوف بها وأنَّكَ غَيْرُ صاغِرْ
دَرَجَتْ عليها الغاديات الرائحاتُ مِنَ الاعاصِرْ

وفيها يقول:

فالآن صِرْتُ الى أمية والأمور الى المصايرْ

هذه الابيات أطربت هشام فراح يغمز مَسْلمة بقضيب في يده، فيقول: اسْمع، اسمع[1].

ثم استأذنه في مرثية ابنه معاوية، فأذن له، فأنشده قوله:

سَأبْكيك للدُّنيا وللدين إنني رأيت يد المعروف بعدك شُلَّتِ
فدامت عليك بالسلام تحية ملائكة اللهِ الكرام وصَّلتِ

فبكى هشام بكاءً شديداً، فوثب الحاجب فسكَّته.

ثم جاء الكميت الى منزله آمناً، فحشدت له المُضرية بالهدايا، وأمر له مَسْلمة بعشرين ألف درهم، وأمر له هشام بأربعين ألف درهم، وكتب الى خالد بأمانه، وأمان أهل بيته، وأنه لا سلطان له عليهم.

قال: وجمعت له بنو أمية بينها مالاً كثيراً. قال: ولم يجمع من قصيدته تلك يومئذٍ الا ما حفظه الناس منها فأُلِف. وسئل عنها، فقال: ما أحفظ منها شيئاً، إنما هو كلام ارتجلته[2].

فاذا وقفنا على قصيدته الرائية التي أقامت هشاماً وبني أمية جميعاً ولم تقعدهم لندرسها ونبين مواطن الاثارة فيها لرأينا عجباً من ذلك الابتهاج الكبير بها ودفعهم له ذلك المبلغ الضخم من المال.

---

(١) الاغاني ج١٧ ص ٧.
(٢) الأغاني ج١٧ ص ٨.

فالشاعر في البيت الأول يقف موقف الواعظ لهشام الذي لهته الدنيا ومفاتنها، فانغمس بملذاتها حتى أفقدته التفكر بالآخرة، فوقف الكميت وهو العالم بأمر هشام يرشده ويعظه، فقال له: قف بالديار وقوف زائرْ، وقد كنى عن الدنيا هنا بالديار التي يقف الانسان فيها موقف الزائر، الغير مقيم، فهي ممر للوصول الى المقر هو الآخرة. ثم يطلب منه أيضاً في الشطر الثاني من البيت أن يكون وقوفه في هذه الدنيا وقوف العزيز الغير ذليل.

ويقول له في البيت الثاني: ان هذه الديار (الدنيا) مرّ عليها الكثير من البشر وأتى اليها كثير من البشر أيضاً، فإليها يأتون ومنها يغادرون. وفي البيت الأخير، أصبح الكميت يعتبر نفسه جزءاً من بني أمية، فقد تحول اليهم، كما تتحول الامور الى الزوال.

أين هي صفات المديح التي وصف الكميت بها بني أمية ليرفع شأنهم بين الناس، ويثبت دعائم ملكهم. وما أكثر الصفات التي يصف بها الشعراء ممدوحيهم كأفراد، فكيف الحال إذا كان الممدوح قوم وعشيرة.

ثم لننظر الى مرثيته في معاوية بن هشام، فهو في البيت الأول يبكيه للدين وللدنيا، أما بالنسبة للدين فلا يذكر السبب أو الاسباب التي من أجلها يبكيه، ولم يأتِ على مأثرة دينية واحدة من مآثره؛ وأما بالنسبة للدنيا فقد بكاه لأنه بموته قد شلّت يد المعروف، ثم يترحم عليه ويدعو ملائكة الرحمان أن تصلي وتسلم عليه، ان هذا النوع من الرثاء يمكن أن يرثى به مطلق إنسان عادي، فأين هي الصفات الخاصة، والمميزات المنوعة لتلك الشخصية التي كانت لو قيد لها الزمن البقاء ستكون خليفة من الخلفاء الامويين وللنظر اليه يمتدح آل أمية ويخص هشاماً بذلك:

أورثته الحصانُ أمُّ هشامٍ     حسَباً ثاقباً ووجهاً نضيرا

وتعاطى به ابن عائشة البدْ رَ فأمسى له رقيباً نظيرا
وكساه أبو الخلائق مروا نُ سَنيَّ المكارم المأثورا
لم تجهمْ لَهُ البطاحُ ولكِنْ وَجَدْنَهَا لَهُ حُفاراً ودورا[1]

وكان هشام متكئاً فاستوى جالساً، وقال: هكذا فليكن الشعر[2].

ما هي الصفات التي مدح بها الكميت هشاماً حتى جعله يستوي جالساً بعد أن كان متكئاً وأن يقول فليكن هذا الشعر.

ان الكميت يقول: ان أم هشام قد أورثته الحسب الثاقب والوجه النضير، فأما الحَسَب فهو من عشيرتها وأما الجمال فهو منها وأخذ عن أبيه صورة البدر فأمسى والبدر سيّان، وأخذ عن مروان سني المكارم المأثورة ولم تجهم له البطاح، بل كانت له مرتعاً ومقاماً.

فهشام كان يرضيه صفات الدنيا، وما يتعلق بها من جاه وفخر بالأحساب والأنساب، أما ما يتعلق بأمر الدين من تقوى، وزهد، ورعاية للرعية، ومحافظة على الدين، والعدل بين الناس فهي صفات لم يأتِ على ذكرها الكميت، لأنها لم تكن من الصفات التي يألفها هشام وأمثاله من الخلفاء الأمويين، وقد تنبه الى هذه الناحية الهامة عبد الملك بن مروان حين قال: يا معشر الشعراء تشبهوننا مرة بالأسد الابجر، ومرة بالجبل الأوعر، ومرة بالبحر الاجاج، ألا قلتم كما قال أيمن بن خريم[3] في بني هاشم!

---

(١) الهاشميات ٩٢.

(٢) الأغاني ج١٧ ص ١٥.

(٣) أيمن بن خزيم بن فاتك من بني أسد، وكان أبوه قد صحب النبي (ص) وروي عنه أحاديث، وكان به برص، وكان أثيراً عند عبد العزيز بن مروان فعتب عليه أيمن يوماً فقال له: أنت طرف[4] ملولة، فقال له: أنا ملولة وأنا أؤاكلك فلحق ببشر بن مروان فأكرمه واختصه.

نهاركـم مـكـابـدة وصـوم ولـيـلكـم صـلاة وافـتـرار[1]

هـل لاحظتم الصفـات التي يريـدها من هـو بمقام الخليفـة، يريـد أن يـوصف بالمكـابدة أي تحمـل المشقـة والشـدة في عمـل النهـار مـع القيـام بفريضة الصيام، أما في الليل فهو لعبـادة الله تعالى بقيـام الصلاة ومـا يصيب الجسد من إرهاق نتيجة لقيام الليـل. وهذا المـوقف من عبد الملك بن مروان نحـو التهجد والعبـادة وحسده لبني هـاشم عليه، ألم يلتفت اليـه أيضاً معـاويـة قبله حين قـال بحق بني هـاشم مخـاطبـاً زوجتـه هؤلاء قـوم ملوك بالنهار، ورهبان بالليل[2].

واسمع الكميت في مكان آخر يتحدث عن بعض الخلفاء الأمويين:

لا كـعَبْـد المـليـك أو كـولـيـدٍ أو سُـليـمـان بَـعْـدُ أو كـهـشـام
مَـنْ يَمُت لا يُمـت فقـيـداً ومن يُحـ ـيَ فـلا ذُو إلًّ ولا ذو ذِمـام[3]

فقال له هشام: ويلك يا كميت! جعلتنا ممن لا يرقب في مؤمن إلًّا ولا ذمة، فقال: بل أنا القائل:

فـلآن صـرت الى أمـيـة والأمـور الى المَـصـايـرْ

لقـد لاحظ هشـام كم في عبـارات الكميت من الاهـانـة فـي حق الامـويين إذ جعلهم لا يـرقبـون في مؤمن إلا، ولا ذمـة أي العهـد والقـرابـة والذمة والحق. ولهذا عاتب هشام الكميت على قوله وانتقده فيه.

وقـد يتطرق الكميت أحيـاناً الى قضيـة الخلافـة فيرى أنهـا تليق ببني أميـة، ومن حقهم أن يتوارثـوها إبَّـاً عن جد كقـوله في مـدح هشـام بن عبـد الملك:

---

(١) الأغاني ج٢١ ص ١٠ والشعر والشوا ج٢ ص ٥٤١.
(٢) المستطرف ج٢ ص ١٤٩ والأغاني ج٤ ص٢١٢.
(٣) الإل: العهد والخلق، والذمام، بكسر الذال، الحق والحرمة.

كم قال قائلكم: لَعاً لك، عند عثرته العاثرْ[1]
وغفرتم لذوي الذنو ب من الاكابر والاصاغرْ
أبني أمية انكم أهل الوسائل والاوامر
ثقتي لكل مُلمة وعشيرتي دون العشائرْ
انتمْ معادن للخلا فةِ كابراً من بعدِ كابرْ[2]
بالتسعة المتتابعين خلائقاً وبخير عاشرْ
والى القيامة لا تزا ل بشافع منكمْ وواترْ[3]

فالقصيدة تبدأ بالثناء على بني أمية، لأنهم يقلون عثرة العاثر، ويغفرون ذنوب من أذنب كبيراً كان الذنب أو صغيراً. ثم يتحدث عنهم: فاذا هم أهل الوسائل والأوامر، وهم ثقة الشاعر لكل ملمة، وهم عشيرته دون سائر العشائر وهم معدن الخلافة من سيد شريف الى سيد شريف، وقد ورث الخلافة تسعة من هؤلاء القوم وهذا عاشرهم هشام وهو خيرهم، وهذا التوارث للمجد سيستمر الى يوم القيامة.

صحيح ان الكميت تطرق الى الخلافة، وقال أنها تصلح لبني أمية، ولكنه لم يتحدث عن الاحكام الشرعية التي يستند اليها هؤلاء لتوليهم أمور المسلمين، اللهم الا من زاوية العصبية القبلية.

وسنرى فيما بعد كيف استعمل هذا الحق واضحاً عند الحديث عن بني هاشم.

ومن الملفت للنظر أيضاً ذلك النسيان الذي أحاط بخلفاء بني أمية حول جهادهم في سبيل الاسلام. فأنت قد تجد هذه الصفات عند بعض قادتهم ولا تجدها عندهم، وإن دل هذا عن شيء فإنما يدل على قعودهم

---

(١) يقال للعاشر: لعاً لك، دعاء له بالاقالة والابتعاد.
(٢) كابراً عن كابر: أي كبيراً شريفاً عن كبير شريف.
(٣) الهاشميات ص٩٢، الاغاني ج١٧ ص١٢.

عن هذا العمل وتركه لقادتهم لينصرفوا الى ملاذ الحياة والمتع من اللذات مع الجواري والقيان انظر الى الكميت كيف يمدح مخلداً بن يزيد بن المهلب[1].

قاد الجيوش لخمس عشرة حجة ولداته[2] عن ذاك في اشغال
قعدت بهم هماتهم وسَمتْ به هِممُ الملوكِ وسَوْرة[3] الابطال

فمخلد قاد الجيوش لخمسة عشر مرة جهاداً في سبيل رفع راية الاسلام ؛ بينما غيره من القادة، قد انشغلوا عن قيادة الجيوش بأمور أخرى، وقعدت همتهم عن ذلك الواجب المقدس ليقوم به مخلد بن يزيد، الذي علت همته وسمت به همم الملوك نفسها ووثبات الأبطال.

واني لا أدري الى من يشيربقوله : ولداته عن ذاك في اشغال، وقوله : وسمت به همم الملوك.

أليس من المعقول جداً أنه يشير الى ملوك بني أمية الذين علا سلطانهم عن طريق انتصارات الجيوش بقيادة أمثال مخلد بن يزيد بن المهلب. وأسرة بني المهلب على العموم.

وشاءت الأقدار أن يطوي الكميت صفحة حياته وهو لا يزال في قمة العطاء والابداع. وهو أيضاً لم يرَ ثمرة أعماله تنضج بعد.

مات وفي نفسه حسرة أن لا يموت هذه الموتة في مثل هذا المصيربل كان يريد أن يموت تحت ظلال سيوف بني هاشم دفاعاً عن حقهم الشرعي في إمامة المسلمين.

فقدحدث مالم يكن بالحسبان ؛ إذغضب هشام بن عبدالملك على خالد القسري

---

(١) الهاشميات ٨٨.
(٢) لداته : انداده.
(٣) الشورة : الوثبة.

نتيجة الوشايات عليه لعدم أمانته على أموال الدولة فيقوم بعزله وتوليه يوسف بن عمر الثقفي مكانه عام ١٩٢٠ هـ. وكان هذا الرجل على بعض الصلات الحميمة مع الكُميت، وكان هذا الاخير يمدحه، ولكن الانتهاء العقائدي الذي فرق بين الكميت وخالد القسري، هوذاته الذي فرق بين الكميت ويوسف بن عمر الثقفي أيضاً؛ فهذا الرجل كان يكن العداء للهاشميين أكثر من خالد القسري، فهو الذي حارب زيد بن علي ولما قتل زيد ودفن في ساقية ماء، وجعلوا على قبره التراب والحشيش، وأجري الماء على ذلك وحضر الحجام مواراته فعرف الموضع، فلما أصبح مضى إلى يوسف متنصحاً، فدله على موضع قبره، فاستخرجه يوسف، وبعث برأسه إلى هشام، فكتب إليه هشام: أن أصلبه عرياناً، فصلبه يوسف كذلك، ففي ذلك يقول بعض شعراء بني أمية يخاطب آل أبي طالب وشيعتهم من أبيات:

صلبنا لكم زيداً على جذع نخلة ولم أرَ مهدياً على الجذع يصلب

وبني تحت خشبته عموداً، ثم كتب هشام الى يوسف يأمره بإحراقه وذرْوِه في الرياح[1].

هذه الحالة هزّت الكميت هزاً عنيفاً كما هزت سائر من أحب آل أبي طالب فقال يهجو يوسف الثقفي:

يعزُّ على أحمد بالذي أصاب ابنه أمس من يوسف

هذا الهجاء أوغر صدر يوسف حقداً على الكميت وراح يتربص به ليقتله.

ولما عزل خالد القسري وعيّن يوسف الثقفي مكانه، جاء الكميت يمدح يوسف ويهجو زيداً فقال:

خرجت لهم تَمشي البراح ولم تكُنْ كمن حصنهُ فيه الرِّتاجُ[2] المضبب
وما خالد يستطعم الماءَ فاغراً بِعْدمك والداعي الى الموت ينصب

---

(١) مروج الذهب ج٣ ص ٢١٩.

(٢) الرتاج: الباب العظيم؛ والمضبب: المغلق.

والكميت يشير في هذين البيتين الى خروج الجعفرية على خالد بن عبد الله القسري، وهو يخطب على المنبر وهو لا يعلم بهم فخرجوا في التبابين[1]، ينادون: لبيك جعفر، لبيك جعفر، وعرف خالد خبرهم، وهو يخطب على المنبر، فدهش فلم يعلم ما يقول فزعاً، فقال: اطعموني ماء، ثم خرج الناس اليهم فأخذوا، فجعل يجيء بهم الى المسجد ويؤخذ طن[2] قصب فيطلى بالنفط، ويقال للرجل احتضنه، ويضرب حتى يفعل، ثم يحرق، فحرقهم جميعاً[3] فنعى ذلك عليه ابن نوفل فقال:

| | |
|---|---|
| وأنت زعمت أنك من يزيد | وقد دُحقتُم دحق العبور |
| وكنف لدى المغيرة عَبْد سوءٍ | تبول من المخافة للزبير |
| وقلت لما أصابك أطعموني | شراباً ثم بلت على السرير[4] |

قال الكميت شعره: والجند قيام على رأس يوسف بن عمر، وهم يمانية، فتعصبوا لخالد، فوضعوا ذُباب سيوفهم في بطن الكميت، فجئوه[5] بها، وقالوا: أتنشد الأمير، ولم تستأمره، فلم يزل ينزف الدم حتى مات[6].

وهنا تتضارب الأخبار حول السبب الحقيقي لقتل الكميت أهو الحقد الدفين في قلب يوسف بن عمر لأنه هجاه هجاء مؤلماً فانتهز الفرصة بمثوله بين يديه فأمر بقتله.

أم الحقد اليمني عليه لأنه كان يهجوهم فصادف وجود بعض الجنود

---

(١) التباين: جمع تبان، وهو سروال صغير يكون للملاهين والمصارعين.
(٢) طن القصب، بضم الطاء: الخرمة منه.
(٣) الأغاني ج١٧ ص٢٠.
(٤) الطبري حوادث سنة ١١٩.
(٥) فجئوه: ضربوه.
(٦) الاغاني ج١٧ ص٢٠.

اليمنيين حراساً للوالي فانتهزوا فرصة تعرضه لخالد القسري فقاموا بتصفيته .

واني لأحسب الامرين معاً همـا اللذان أديا الى نهـاية حيـاة الكميت؛ فقد تلاقت الرغبات بقتله بين يوسف بن عمر وجنوده فنفذوا هذه الرغبات.

ولم ينس الكميت أبـداً أن يذكـر بني هاشم حتى في لحـظات حيـاتـه الأخيـرة. فقد قـال ابنه المستهـل: «حضرت أبي المـوت وهو يجـود بنفسه، ثم أفـاق ففتح عينيـه» ثم قال اللهم آل محمـد، اللهم آل محمـد، اللهم آل محمـد، ثلاثـاً، ثم قال: يـا بني؟ انه بلغني في الـروايات أنـه يحفـر بـظهـر الكوفة خنـدق يخرج فيـه الموتى من قبـورهم وينبشون منهـا، فيحولـون الى قبـور غير قبـورهم، فلا تـدفنني في الـظهـر، ولكن اذا مت فـامضي بي الى موضع يقال له مكران، فادفني فيه. فدفن في ذلـك الموضـع، وكان أول من دفن فيه، وهي مقبرة بني أسد الى الساعة[1].

و صـدقت الـروايـات التي بلغت الكميت حـول نبش القبـور ، فقـد نبشت بعـد موت الكميت قبـور الامويين قبـراً قبراً، ثم أحـرقـوا رفـاتهم ومـا ذلك كما يقول المسعودي «الا لقتـل هشام زيد بن عـلي وما نال هشـامـاً من المثلة بما فعل سلفه من الاحراق كفعله بيزيد بن علي[2] .

---

(١) الأغاني ج١٧ ص٤٠.

(٢) مروح الذهب ج٣ ص٢١٩ ـ ٢٢٠.

# الفصل الثالث
# الكميت بين العلويين والأمويين

الكُميت بن زيد شأنه شأن الكثيرين من الشعراء الذين لم يتسكعوا على أبواب الملوك والأمراء ، والذين تعرض شعرهم لكثير من الإهمال من قبل الدارسين .

فالشعر الذي قيض له الخلود والبقاء هو ذلك الشعر الذي نظمه الشعراء ليتكسبوا به، فكان مدحاً للخليفة أو للقائد، أو للأمير، وكان من الطبيعي أن يتسارع المؤرخون لتدوينه نزولاً عند رغبة الطبقة الحاكمة، لأنهم يعتبرون الشعر وثيقة تاريخية، أو سجلاً تاريخياً لكثير من أعمالهم في المجالات المختلفة الثقافية أو العمرانية أو الحربية ـ ، حتى بات ذلك الشعر شاهداً حياً يؤخذ به، كلما درس تاريخ أو حقبة تتعلق بحاكم ما، أو حادثة تاريخية ما، لأنه أهم مصدر قريب من الفترة المؤرخ لها.

والنوع الثاني من الشعر الذي قيض له البقاء والاستمرار أيضاً هو ذلك النوع الذي يتناول المناقضات الشعرية بين الشعراء أو شعر الهجاء بصفة عامة، فكان من الطبيعي أن تحاول كل قبيلة بداعي التعصب القبلي، أن تحفظ شعر شعرائها في هذا المجال، لأنه الشعر الذي يبرز شخصيتها بين سائر القبائل الأخرى، وهو أيضاً الذي يبين مثالب القبائل الأخرى التي قاتلتها.

كما ان النقاد والباحثين اهتموا أيضاً بهذا النوع من الشعر لايجاد مقارنة أدبية بلاغية بين الشعراء.

والنوع الثالث من الشعر الذي لا يقل شهرة عن النوعين السابقين والذي قيد له الخلود أيضاً هو ذلك النوع من الشعر الغنائي، بمعنى ذلك الشعر الذي وضع أهلاً للغناء، فكان الناس يتسارعون لحفظه لسهولة الفاظه وعذوبة معانيه.

ولا ننسَ أبداً العامل المادي الذي هو الاصل في كل ما خلد من الشعر، فهو كما قلنا وضع لمدح الحكام، أو للترفيه عنهم، أو لهجاء خصومهم، وفي جميع الحالات هو مكرس لخدمتهم، وبالتالي فهم يغدقون الاموال بلا حساب لمن قال الشعر، أو لمن حفظه.

أما سائر الاصناف الأخرى من الشعر، فإننا نجدها إما قليلة واما تاهت في عالم النسيان، ولم يبقَ منها الا ما ندر من الابيات المتفرقة هنا وهناك في بطون الكتب، وكان سبب بقائها ـ إما للاستشهاد بها من الناحية البلاغية، أو النحوية، أو التاريخية. وأكبر دليل على ما نقول تلك الآراء الكثيرة للمؤرخين حول شاعر ما. أن سبب ذهاب شعر شاعر ما لانتمائه العقائدي لمذهب ما أو عقيدة سياسية ما، أو لأنه تعصب ضد خليفة ما، أو حاكم ما، فكان يتهم بالتعصب، أو المغالاة، أو الخروج عن الدين، الى غير ذلك من الاتهامات أمر يؤسف له فالأمانة العلمية تقتضي أن يحفظ ذلك التراث مهما كان نوعه، أو الانتماء الذي ينتمي اليه، لأن السياسة أو الحكّام، أو العقائد تزول، ولكن ذلك التراث الانساني يبقى خالداً على مر العصور، لأنه يمثل تاريخ حقبة لحياة أمة، فاذا ما أزيلت تلك الحقبة كان تاريخ تلك الأمة مبتوراً ومشوشاً وناقصاً.

وهكذا كان الحال بالنسبة للكميت بن زيد الاسدي، فقد رأى كثير من المؤرخين أن شعر الكميت هو أكثر بكثير مما هو موجود بين أيدينا،

وان ما بين أيدينا ليس سوى جزءاً بسيطاً من ذلك التراث الضخم من الشعر الذي ضاع بعامل الاهمال والتعصب أو الحقد.

فقد ذكر محمد بن سلام الجمحي عن أبي عكرمة الضبي[1] قوله: لولا شعر الكميت لم يكن للغة ترجمان، ولا للبيان لسان، ويقال أن شعره بلغ أكثر من خمسة آلاف بيت وكذلك قال المرزباني في كتابه معجم الشعراء[2] وذكر أبو الفرج الأصفهاني في معرض حديثه عن مولد الكميت ووفاته أن شعره بلغ حين مات خمسة آلاف ومائتين وتسعة وثمانين بيتاً[3] وهذا المبلغ الضخم من الشعر كان لا بد أن ينظّم في ديوانه، وقد أشار الى ذلك حاجي خليفة في فهرست مكتبته الاسلامية[4].

واذا كانت قصائده الهاشميات التي هي من جيد شعره ومختاره يبلغ عدد أبياتها نحو ٥٣٦ بيتاً، فأين ما تبقى من شعر الكميت الذي هو أضعاف ما ذكرنا، وإذا كان هنالك من شعر يضاف الى هاشمياته، فما هو الا شعر مبعثر في قصائد هنا وهناك في المصادر الأدبية. ونحن أمام قلة شعر الكميت أمام أمرين:

إما ان القسم الاكبر من هذا الشعر قد ضاع نتيجة للعوامل السياسية، وإما أنه موجود ومحفوظ في كتب تتطلع الى من يبحث عنها ويعيد نشرها.

ونحن اذا ما وجدنا من أسباب يعود اليها أمر ضياع الجزء الكبير من تراث الكميت، فإننا نعيدها الى عدم اهتمام المعاصرين له في رواية

---

(١) عامر الضبي ( ٢٥٠ هـ = ٨٦٤ م ) عامر بن عمران بن زياد الضبي ( أبو عكرمة ) نحوي لغوي ، راوية من أهل سر من رأى ( معجم الأدباء ج ١٢ ، ص ٣٩) .

(٢) طبقات الشعراء لابن سلام ص ١٤٤ ومعجم الشعراء للمرزباني ص ٧٤٧ .

(٣) الاغاني ج١٧ ص ٤٠ .

(٤) كشف الظنون ج١ ص ٣٩٧ .

شعره، وذلك خوفاً من الامويين لأن أغلب شعره، كان مديحاً، أو رثاءً لآل البيت، فليس من المعقول أن يتجرأ أحد في جمع هذا الشعر وسيوف الامويين فوق الرقاب تترقب لتنزل العقاب بمن يخاصمهم ويناصر أعداءهم أشد العقاب، أقله السجن أو الحرمان من الجوائز التي كانت توزع بدون حساب على مناصريهم، وقد يصل العقاب أحياناً الى القتل بدون رحمة.

لهذا نجد في أغلب المصادر القديمة ذلك الشعر الذي نظمه الكميت في مدح الامويين وولاتهم وقادتهم.

هذا سبب، والسبب الثاني هو ان الهاشميين أنفسهم قد طرحوا من شعره كل ما يتعلق بمدح الامويين أو ولاتهم فجاءت السلبية تجاه شعر الكميت من هنا ومن هناك تجتزىء كل واحدة ما يتعلق بشؤن الأخرى.

ويجب أن لا يغرب عن البال أيضاً أن قوم الكميت وهم بنو أسد والكوفيين كانوا لا يشجعون الكميت في تردده على بلاط الامويين وانشاد زعمائهم، ولهذا لم يكترثوا هم أيضاً لما قاله الكميت بهذا الخصوص.

وأما القليل الباقي من شعر الكميت فهو الذي سيساعدنا على دراسة الكميت وتتبع مراحل تفكيره، وتطور انتمائه العقائدي.

واذا أردنا أن نضع ما تبقى من شعر الكميت تحت عنوانين فاننا نضع لهذا الشعر العناوين التالية: الهاشميات ـ المذهبة والملحمة.

وإذا كان شعر الكميت قد تغير أسلوبه بتغير موضوعاته، فإنه في النتيجة يؤدي الى غايتين اثنتين هما: الثناء على بني هاشم ومناصرة حقوقهم في زعامة المسلمين، والثانية هي التركيز على مثالب الامويين وتبيان تسلطهم، واغتصابهم حقوق غيرهم.

وحسبنا أن نبدأ الحديث عن هاشميات[1] الكميت التي يمكن تقسيمها حسب موضوعاتها الى ثمانية أقسام كل قسم يتخصص بناحية معينة حرص الكميت على إظهارها، والتحدث عنها. وهذه الاقسام تختلف في عدد الابيات تبعاً للاختلاف في أهمية الموضوعات التي تتحدث عنها وهذه الاقسام هي :

## الهاشمية الأولى

وتتكون من مئة وثلاثة أبيات. خصص الشاعر أبياتاً ثلاثة من القصيدة كمقدمة يتساءل فيها عمّا إذا كان شيء بمقدوره أن يجيء مساعداً قلبه المتيم ، ليس بحب النساء كما جرت العادة عند غيره من الشعراء ، بل بحب آخر. إنه حب الهاشميين ، الذين هم صفوة خلق الله إطلاقاً .

وأما ما بقي من القصيدة وهو من (البيت ٤ ـ ٩٤) فهو يتطرق الى الموضوعات التالية:

١ ـ الأئمة الهاشميين : وفي هذا الجزء يصف الشاعر الائمة من آل هاشم بطولتهم القتالية، وفنونهم الحربية، ثم قرابتهم من الرسول.

٢ ـ السياسة الهاشمية : وفيها يقابل الشاعر بين سياسة الأمويين (العاتية الظالمة) وسياسة الهاشميين (العادلة الرحيمة).

٣ ـ أفراد الاسرة الهاشمية : وفي هذا القسم الاخير يعدد الشاعر أفراد بني هاشم مبتدءاً بالنبي (ص) ، وعن عمه الحمزة، وابن عمه جعفر، ثم عن الحسن والحسين ولدي علي (ع) ، ثم عن محمد بن الحنفية[2] بن

(١) سميت الهاشميات بهذا الاسم نسبة الى بني هاشم ذرية الرسول (ص) من ولد علي (ع) ،وان كانت النسبة تعود في الاصل الى هاشم مؤسس هذه الاسرة والجد الأول لهم من بني عبد مناف.

(٢) الحنفية : لقب امرأة علي بن أبي طالب الثانية، وهي تنسب الى بني حنيفة عشيرة من عرب الجنوب.

علي بن أبي طالب ومنها يعود الى العباس عم الرسول (ص) فيذكره على أنه من نخبة بني هاشم ويختتم الكميت هاشميته الاولى بوصف لناقته التي تقلّه الى جوار الهاشميين.

بعد هذا التقسيم لهاشمية الكميت الاولى بات علينا أن نقوم بدراستها دراسة متمعنة من الناحية الأدبية وغير الادبية لنتبين الخصائص الفنية لهذه الهاشمية، وما انطوت عليه من أفكار تخدم دعوته المذهبية.

يقول الكميت في مقدمة هاشميته الاولى:

| | |
|---|---|
| من لقلب متيَّم مستهامِ | غير ما صبوة ولا أحلامِ (١) |
| طارقات ولا ادكار غوانٍ | واضحات الخُدُود كالأرامِ (٢) |
| بَلْ هواي الذي أَجُنُّ وأبدي | لبني هاشم فروع الانام (٣) |

يستفتح الشاعر مقدمته بأداة الاستفهام من بصفتي التبعيض والتعليل، وهو هائم بذلك الحب ولكن بمن؟ ولمن يهفو ذلك القلب ويحنو، أمن أجل غادة حسناء مليحة الوجه بيضاء كالرئم تذكرها فتذكر بتذكرها الليالي الحسان التي قضاها معها، كلا الامر ليس كذلك فالرجل مصاب بداء حب من نوع آخر، إنه الحب الروحي وليس الجسدي، إنه حب بني هاشم سادة الأنام والذين فيهم مهبط الوحي والالهام.

ينتقل الشاعر بعد هذه المقدمة للحديث عن هؤلاء القوم أعني بني هاشم ليصفهم ويبين خصالهم، وما امتازوا به عن سائر الناس، فيقول:

---

(١) تام يتيم: الحب أو الحبيب ذلله ووهب بعقله. المستهام: الهائم القلب، شديد الحب. الصبوة: الحنو.

(٢) طارقات: جمع طارقة وكل آت بالليل طارق، سمي النجم بالطارق لأنه يطلع بالليل، الادكار: التذكر بعد نسيان وأصله اذ تكر فأدغم: والأرام جمع رئم وهو الظبي الابيض.

(٣) الهوى: الميل، واجن: أضمر، وأبدي: أظهر، وفروع الأنام: أرفعهم وأسماهم.

للقـريبـين مِنْ نَـدَى والبعيـدين — مـن الجـوْرِ في عُـرى الاحكـام[1]

والمـصـيبـين بـاب مـا أخـطأ — النـاس ومرسي قـواعـد الاسـلام

والحُمـاة الكُفـاة في الحـرب ان كفَّ — ضـرامٌ وقُـوْدَة بـضـرام[2]

والـغـيـوث الـذي ان أمحـل — النـاس فمأوى حـواضِن الايتـام

والـولاة الكُفـاة لـلامـر ان طـرَّ — ق يـتـنـاً بمجـهض أو تمـام[3]

والاسُاة الشفـاة لِلدارذي الـريبـة — والـمـدركـين بـالأوغَـام[4]

إذن بنو هاشم أهل كرم، وأهل عدل وأرباب النظر في إحقاق الحق وهم يصيبون حيث يخطىء الناس وهم الذين أرسوا وثبتوا دعائم الاسلام بتنفيذ أحكامه والعمل بأوامره ونواهيه.

وهم الحُماة الذين يلتجىء اليهم الناس في أيام المحن والحروب، حين تستعر نارها، فتلهم بأُتونها أجسام الابطال والشجعان، فيكف بنو هاشم في هذه الساعات الحرجة الأذى عن من لاذَ بهم، وينجونهم من البلاء. هذا في الحرب. أما في السلم، فإنهم ينعمون على الناس بالعطاء فتنتعش الانفس بعطاياهم كما تنتعش الارض الجذباء الممحلة بالمطر الهاطل. وهم مأوى الايتام والأرامل، يتصدقون عليهم عملاً بأمر الله تعالى، وفي الحكم هم الولاة الصالحون، الذين يتداركون الامور السيئة قبل حدوثها، فيعالجونها بما تقتضيه الأمور.

وهم الاطباء الذين يداوون جراح الناس عندما تنزل بهم نازلة، ويؤاسونهم في أحزانهم فتطيب نفوسهم، وهم يستلون ما في القلوب من أحقاد وضغائن ورغبة في الانتقام والثأر، فتتطهر تلك القلوب من أدران الجاهلية.

---

(١) العري: جمع عروة، ما يعول عليه. الأحكام: جمع حكم وهو العلم والفقه والقضاء بالعدل.

(٢) الحماة: جمع حامي، والكفاة: جمع كاف، والضرام: الوقود، النار.

(٣) ليتن: الولاء المنكوس تخرج رجلًا المولود قبل رأسه، والطرق: صعوبة الولادة.

(٤) الاساة: جمع آسي وهو الطيب المعالج من الجرح، والاوغام: جمع وغم وهو الحقد والثأر.

ويقول:

والـرَّوايـا الـتي بهـا يحمـلُ الـنـا   س وتُسوق المطبعات والفِطام[1]
والبُحـورِ الـتي بهـا تكـشف الحِـرَّ   ةُ والـداءُ مـن غـليـل الأُوامِ[2]
لِـكـثـيـريـن طـيـبـين مـن الـنـا   س وَبَـريـنَ صـادقـين كـرامِ
واضـحـي أوجـه كـرام جـدوه   واسـطي نـسـبـة لهـام فـهـام[3]
للذُّرى فـالـذُّرى من الحسب الثا   قب بـين القمـاقم فـالقمـاقم[4]

الحديث عن بني هاشم ووصف خصالهم ومآثرهم مستمر عند الكُميت فهم السادة الذين يحملون الدِّيات ويطوفوا بها بين القبائل ليطفئوا بها نار الاحقاد والضغائن المتأججة في النفوس، والمتوثبة للانتقام، فتهدأ تلك النفوس، وتخمد تلك النيران ويسود السلام، وتحجب الدماء، واذا كان لا بد من تشبيه لهؤلاء فليس أحق من الابل الصبورة على تحمل مشاق السفر من هذا التشبيه، وليس الابل فحسب هي المشبه به، بل الماء الذي تحمله فوق ظهورها لتنقله عبر الصحراء الملتهبة الى نفوس عطشى أهلكها الظمأ، فتسقى تلك النفوس فيهدأ روعها، وتسكن أرواحها، وتنجوا من الموت والهلاك.

وبنو هاشم طيبون بررة صادقون في معاملتهم مع الناس كرماء لهم علامات يعرفون بها، فوجوههم تشع بالنور فتضيء ما حولها، كالنار المتأججة في أعلى الجبال تضيء الطريق للسالكين. وهم يتوارثون الشرف الرفيع أبًا عن جد.

---

(١) الروايا: الابل التي تحمل الماء جمع راوية. ويقال لسادة القوم الروايا وهم الذين يحملون الديات على الحي على سبيل التشبيه.
(٢) الحرة: العطش، والغلة والقليل شدة العطش أو حرارة الجوف، والاوام: حرارة العطش.
(٣) الهامة: أعلى الرأس.
(٤) الذرى: جمع ذروة وهي أعلا الشيء، الحسب: الشرف: الثاقب المضيء، والقمقام: السيد الشريف.

ويقول :

راجحي الوزن كاملي العدل ... في السيرة طيبين بالامور العظام

فضلوا الناس في الحديث حديثاً ... وقديماً في أول القدام[1]

مستفيدين متلفين مواهيب ... مطاعيم غير ما أبرام[2]

مسعفين مفضلين مساميح ... مراجيح في الخميس اللُّهام[3]

ومداريك للذحولِ متاريك ... وإن أحفظوا لعُور لكلام[4]

وبنو هاشم يمتازون برجاحة العقل، ولهذا كانت سيرتهم بين الناس العدل، والمهارة بحل المشاكل الطارئة مهما عظم أمرها. فحديثاً هم يتفاضلون على الناس بحسن المنطق. وقديماً كذلك كانوا في مقدمة الناس. فهم يجمعون المجد من طرفية غابره وحاضره.

إذا جاءهم الرزق سارعوا الى بذله بدرجة التلف على المعوزين والفقراء، وكأن هناك عداوة بينهم وبين المال لا يطيقون حفظه في خزائنهم، يهبونه عن طِيب نفس لا عن ضجر أو ملل كما يفعل غيرهم .

وفي اسعافهم للناس وتفضلهم عليهم لا يرجون منهم جزاءً ولا شكورا، بل يسامحونهم بما أعطونهم، هذا من زاوية الأخلاق المعيشية، أما من زاوية الاخلاق الجهادية، فهم يخوضون الحروب ضد من انحرف عن الدين، أو أراد به شراً، بجيش يلتهم أعداءهم التهاماً، واذا ما تمكنوا من أعدائهم فانهم يصفحون عن طالب العفو ويتركون له الفرصة لاعادة تكوينه النفسية من جديد.

---

(١) القدام: جمع قادم.

(٢) مطاعم: جمع مطعم: الكثير الاطعام، الابرام: الاضجار، وقد تكون جمعاً لبرم وهو الذي لا يدخل مع القوم في الميسر الدنيء البخيل.

(٣) مساميح، من سمح اذا جاد وأعطب ومراجيح: حلماء الخميس: الجيش اللهام: الذي يلتهم.

(٤) الذحول: الثأر كلمة عوراء: أي مبيحة.

ومن زاوية الاخلاق المسلكية فانهم اذا تحدثوا فلا ينطقون الا بالكلام الموزون المحتشم، وهم يجلّون عن لفظ الكلام القبيح، ويقول:

| | |
|---|---|
| لأحبَاهُم تُحَلُّ للمنطق الشَّغْبِ | ولا للطام يوم اللُّطامِ[1] |
| أبطحين أريحين كالأنجم | ذات الرُّجوع والاعلامِ[2] |
| غالبيين هاشميين في العلم | رَبَوا من عطية العلَّامِ[3] |
| ومصفين في المناصب محضين | خِضمين كالقروم السوامِ[4] |
| وإذا الحرب أومضت بسنا الحر | ب وسَارَ الهُمام نحو الهمام[5] |

وبنو هاشم أهل رزانة وحلم لا تطيش عقولهم عند المشاغبة فلا يحلون حباهم، ولا يتحركون لقتال ينقص من كرامتهم. فهم أهل البطحاء الذين سادوا عليها بكرمهم وسخائهم. ولهذا رأيتهم كالانجم يهتدي بهم كل ضال تائه. وهم أولاد غالب ابن فهر الهاشميين الذين أنعم الله عليهم بعلمه فتربوا عليه. اصطفاهم الله تعالى لنيل المراكز العالية، وطهّرهم تطهيراً تاماً من كل دنس، كل ذلك ليكونوا قادة الناس جميعاً وإذا ما أبرقت نار الحرب واضطرمت وسار كل ليث نحو ليث آخر.

| | |
|---|---|
| فهم الاسود في الوغى لا اللواتي | بين خيسِ العرين والآجام[6] |

---

(١) الحبي: جمع حبوة وهي الثياب التي يجتبي بها، والاجتباء الاشتمال اللطام: السباب.

(٢) الابطحين : نسبة الى الابطح والابطح والبطحاء: سيل الوادي، الاريحي: السخي.

(٣) غالبين : نسبة الى غالب بن فهد جد الهاشميين.

(٤) السواقي: جمع ساقي وهي الرفعة، والقروم: الفحول: الواحد: قرم، المحض: الخالص.

(٥) أومضت: أبرقت أراد اضطرام نيران الحرب. والسنا الضوء.

(٦) الخيس: الموضع الذي يكون فيه الاسد. والآجام: جمع أجمة وهي الغابة التي يسكنها الاسد.

| | |
|---|---|
| أسـد حـرب غُـيُـوث جَـذْب | بهاليل مقاويـل غـير مـا اقـدامِ [1] |
| لامهـا ذيـر في النـدى مكـاثـير | ولا مـصـمـتـين بـالافـحـامِ |
| سـادة ذادة عـن الخُـرَّدِ | البيض اذا اليـوم صـاركـالأيـامِ [2] |
| ومَغـايـيرُ عـنـدهـنَّ مغـاويـر | مـسـاعـيرُ لـيـلة الاجـامِ |
| لا معـازيـل في الحـروب تنـابيـل | ولا رائـمـين بـوٌّ اهـتـضـام [3] |

وبنـو هاشم أسـود في الحرب يقتحمـون غمارهـا دون خـوف أو وجـل كمـا يفعـل الآخـرون. وهم أيضـاً المـطر الـذي يعيـد الحيـاة لـكـل أرض أجدبت. وهم السادة الـذين يحق لهم الافتخار قبـل سواهم لأنهم الغيث في العطاء، والفعماء عنـد الكـلام دون غبـاوة، وإذا مـا حضـروا في النـادي لا يكثـرون الكلام، بـل يتكلمون حسب مـا تمليه المـواقف، ويصمتـون حيث يستدعي الصمت من غير إفحـام. وهم السادة الـذين يذودون عن الاعـراض ويسعرون نار الحـرب فيغيرون على أعـدائهم اذا ما شعـروا أن أعراضهم في خطر.

يحملون أسلحتهم في حـروبهم، ويتفـاخـرون على النـاس بصفـات النبـل في أخـلاقهم، وهم لا يحنـون حنـو النـاقـة عنـد وضـع جلد فصيلهـا أمامها.

ويقول:

| | |
|---|---|
| وهـم الآخـذون مـن ثـقـة الأمـر | بـتـقـواهـم عُـرىً لا انـفـصـام |

---

(١) البهلول: السيد الجامع لصفات الخير. المقاويل: جمع مقول: وهو الظريف اللسان والأقدام: جمع قدم: وهو الثقيل الغبي.

(٢) الخرد: جمع خريدة: الفتاة الحسناء.

(٣) تنابل القوم: تفاخروا بالنبـل. رتمت الناقـة: حنت. البو: جلد الفصيـل. والهضم: الذل.

والمصيبـون والمجيبـون لـلدعـوة والمحـرزون خَصْلَ التـرامي[1]

ومُحلُّون محـرمـون مـقـرو ن لحـلٍّ قـراره وحَـرَامِ[2]

سـاسـة لا كـمـن يـرعـى النـا س سـواءً وَرِعْـيـة الانـعـامِ

لا كـعبـد الـمـليـك أو كـولـيـد أو كـسليمـان بعـد أو كـهشـامِ

رايـة فـيـهـم كـرأي ذوي الثَّلة في الثـائجات جنح الـظلام[3]

والناس يمنحون الثقة لبني هاشم والـولاء، لأنهم أدوات ربط وتلاحم بينهم، لا أدوات تفريق وانفصام.

واذا دعـوا لأمر مـا رأيتهم ملبِّين النداء دون تـردد أو وجـل ومن أراد أن يراهنهم في السباق فعليه أن ينتظر الفشل والخسران.

في مجـال الدين تـراهم عابـدين لله تعالى مؤدِّين لمنـاسك العبـادة في الحـج فيحلون للناس مـا هو حـلال، ويحرِّمـون عليهم مـا هـو حـرام. وفي مجـال الحكم تراهم يتعهـدون الناس بحسن السيـاسة، ولا يـدعونهم همـلاً كـالأنعام كمـا يفعل بنـو أمية أمثـال عبد الملك والـوليـد وسليمـان وهشـام، هؤلاءِ الـذين يمتلك الـواحـد منهم رأيـاً لا يختلف عن رأي صـاحب قـطيـع الغنم وهو يقود قطيعة تحت جنح الظلام، ويقول:

جَـزُّ ذي الـصـوف وانـتـقـاء لـذ ي المُخَّـة نعقاً ودعـدعاً بـالبهـامِ[4]

مـن يمتْ لا يُمـتْ فـقـيـداً وإنْ يَحْـيَ فـلا ذو إلٍّ ولا ذو ذِمـام[5]

فـهـم الأقـربـون من كـل خـير وهُـمُ الأبـعـدون مـن كـلِّ ذام

وهـم الأوفـون بـالـنـاس في الـا فـة والأحـلمـون في الاحـلامِ

---

(١) يقال: رمي فأخصل وأصاب خصله وأحرز خصله أي غلب على الرهان.

(٢) محلون ويحرمون: أي في الحج.

(٣) الثلة: الكثير من الضأن. الثائجات: الصائحات. جنح الظلام: أي وقت الظلام اذا جنح على الارض.

(٤) ذي المخة: السمينة من الغنم. ونعق نعقاً: أي صاح، والدعوة: زجر البهائم.

(٥) الذام والذيم والذم: العيب.

بســطوا أيــدي الـنــوال وكــفــوا    أيــدي الـبـغـي عنهـمُ والـعُــرامِ [1]
أخـذوا القصْـدَ فــاستقـامــوا عليـه    حــين مــالــتْ زوامــلُ الآثــام [2]
عِيــراتُ الفَـعَــالِ والحسـب العـو    دِ اليـهـمْ محـطُوطـة الاعْـكـامِ [3]

وبنـو أمية كـالرعـاة الذين لا يهتمـون بقطعـانهم الا من أجل أصـوافها ولحـومها، ومن يمت منهم لا يشعـر بموتـه أحد، وان عـاش فلا هـو يـراعي العـدل أو الحق، أما بنـو هاشم فهم أقـرب النـاس الى الخيـر وأبعـدهم عن الـذم أو العيب، وهم أوفى النـاس في الـرأفـة وأكثــرهم حلمـاً. يبســطون أيديهم بالعطاء، ويكفونهـا في البغي والجهل. اختـاروا التوسط من الامـور، فـاستقـامت أمـورهم، وولت عنهم الآثـام. ينقلون العـون والمسـاعــدة بين الناس وينقلون فعل الخيـر. فهم أصحاب الحسب المـوغل في القـدم الذي اليهم تحط الرحال. ، ويقول:

أســرة الصـادق الحـديث أبي القــا    سم فــرعِ القــدامسِ الـقُــدَّامِ [4]
خَــيْرُ حــي ومَــيِّــتٍ مــن بــني آ    دم طُــرَّاً مــأمــومــهــمْ والإمــام
كــان ميـتــاً جنــازة خــير ميت    غَــيَّبَــتْــهُ مــقــابــرُ الاقــوامِ [5]
وجنينـاً ومــرضعــاً ســاكن المَهْــدِ    وبعــد الــرضــاع عنــد الـفـطامِ
خــير مُـسْتــرضــع وخــير فـطيمٍ    وجــنــين أقــرَّ في الارحــامِ
وغُــلامــاً ونــاشئـاً ثــم كــهـلاً    خــير كــهــلٍ ونــاشيء وغــلامِ
انــقــذ الله شـلونــا مــن شــفــى    النــار بــه نعـمــة من المنعــامِ [6]

---

(١) العرام: الجهل.
(٢) القصد: الاعتدال والتوسط في الامور. والزوامل: الإبل التي تحمل الحمولة.
(٣) العيـرات: جمع عيـر: الجمل. والعُـود: الجمل المسن. والاعكـام: جمـع عكم: العِدل.
(٤) القدامس والقدموس: السيد الشريف، وقبل الشداد، والقدام: المتقدم.
(٥) الجنازة: الميت.
(٦) الشلو: الجلد والجسد من كل شيء، والجمع أشلاء. والشـفى: حـزف كل شيء، والمنعام: كثير النعم.

لــو فــدى الحيُّ ميتــاً قلت نـفسي ويــني الـفــدا لــتــلك الــعــظامِ
طــيــبُ الاصــل طــيــبُ الــعــودِ في البنيــة والفـرع يــثر بي تهــام[1]

إن كـل مـا تحـدث عنـه الكميت يتعلق بـأسـرة النبي (ص) الصـادق الحـديث الذي لا ينـطق عن الهـوى ان هـو إلا وحي يـوحى فـرعـه شـريف متقدم في المرتبة على جميع الخُلق.

وهـو خير من خلق الله من ولـد آدم قاطبـة من ولد سيـدة أو أمـة. وإذا مـا مـات فـإنـه أيضـاً خيـر من احتضنت الأرض من الاجسـاد وإذا مـا كـان جنينـاً، أو مرضعـاً في المهد أو فـطيماً، فهـو خير مستـرضع، وخيـر فـطيم، وخير جنين أُقرَّ في الارحام.

وإذا ما غدا غلاماً، أو نـاشئاً، ثم كهـلاً؛ فهو خيـر كهل وخيـر ناشىء وخير غلام.

بفضله أُنقـذت جلودنـا من نـار حـر جهنم التي كنـا منهـا على شفى حفـرة من الهلاك. ولمـا جاءنـا أنعم الله علينا بفضله النعم. ولـو فدى الحي ميتاً من أبنائه، فانني أقدم نفسي فداءً له ولتلك العظام الطاهرة منه.

النبي (ص) طيب الاصـل، والعود في البنيـة والفرع الـذي ينتمي اليـه وهو يثرب وتهامة. ، ويقول:

ابــطحي بمـكــة اسـتـشـقـب الله ضـيــاء الــعــما بــه والــظلامِ[2]
وإلى يــثــرب الــتــحــول عــنـهــا لمــقــام مــن غــير دار مِــقــامِ
هِــجْــرة حــولتْ الى الأوس والخــز رج أهــل الــفــســيــل والآطامِ[3]

---

(١) يثربي: نسبة الى يثرب، وهي المدينة المنورة.

(٢) أبطحي: نسبة الى أبطح مكة. واستثقب الله (ص) بالنبي أي أضاء به وكشف حجب العمى والجهالة عن أمته.

(٣) الفسيل: جمع فسيلة وهي صغار النخل. والآطام: جمع اطم: الحصون المبنية من حجر.

غَـيْرُ دنيـا مخـالفـاً واسم صـدق  بـاقـيـاً مجـدُهُ بـقـاء الـسـلامِ
ذو الجنـاحـين وابن هـالـة منهمْ  أسـدُ الله والـكـمـي المحامـي[1]
لا ابـنُ عـم يُـرى كـهـذا ولا  عـمٌّ كـهـذا سـيـد الأعـمـامِ

بمـولد النبي الهـادي أضاءت أبـطح مكة فـانجلت عنهـا حجب العمـا وزالت منها الجهالة.

تحول النبي (ص) من مكة مهاجراً الى يثرب ليقيم فيها إقـامة محـدودة يعـود بعـدهـا الى بلده، وهنـاك آخا بين قبيلتي الأوس والخـزرج وأصبحـوا أنصـاره الى نشر الـدين الجديـد، وهؤلاء هم أصحـاب النخيـل المعـطاءة، والقلاع المحصنة.

وهنـاك لم يغتر بـالدنيـا وزخارفهـا ولم يحالف الا كـل صدّيق شـريف موف بالعهد، وهناك خلّد ذكره بخلود حصون المدينة التي احتضنته.

ومن أسرة النبي (ص) جاء جعفر الطيّار شهيد مؤته الذي قدم يـديه ثم روحـه فداءً لـلاسلام، ثم الحمـزة بن عبد المـطلب شهيد أُحُـد الـذي قتـل غـدراً وهو ينـاصر الاسـلام ويذود عنـه هذان همـا ابن عم النبي (ص) وعمه فهـل يوجـد في الخَلق من هم أحسن منهما وفـاءً وشرفـاً وتضحية في سبيـل محمد ورسالته، ويقول:

والـوصيُّ الـذي أمـال الـتجـوبيُّ  بـه عـرش أمـة لا نهدامِ[2]
كـان أهـل العفـاف والمجـد والخـير  ونـقض الأمـور والابـرامِ[3]

---

(١) ذو الجناحين: جعفر بن أبي طالب. فقد يداه وقتل في غزوته مؤتـه. وابن هالـة: هو حمـزة بن عبد المـطلب عم الرسـول (ص) استشهد في غـزوة أُحـد أمـه هـالـة بنت أهيب، الكمي الشجاع.

(٢) الوصي: هنا الـذي يوصى لـه. التجوبي: نسبة الى تجوب وهي من قبـائل اليمن، وقيل: من حمير، والعرش: سرير الملك.

(٣) لمجد: الشرف. نقضي الامور: نكثها، والابرام: أحكام القتل.

والـوصيُّ الـوليُّ والفـارس المُعـلمِ    تحـت العـجـاج غـير الكـهـامِ [١]

وللنبي المصطفى وصي هو ابن عمه علي بن أبي طالب (ع) الذي اغتاله الشرّير عبد الرحمن بن ملجم فهزّ بقتله عرش ملك المسلمين وآماله بلا تهدام. وهذا الوصي عُرف بالعفة عن الرغبات، وبالشوق الى طلب المجد وصنع الخير، ونقض الأمور مع الناقضين، وإبرامها مع الصادقين. فهو الوحي، وهو الولي، وهو الفارس الذي يعرفه الناس جميعاً وكأنه قد وضع علامة يعرف بها وهو يصول ويجول في غمرات الوغى دون ايصاب هو أو سيفه بالكلل. . ويقول:

كـم لَـهُ ثـم كـم لـه مـن قـتـيـل    وصـريـع تحـت السنـابـك دامي [٢]
وخمـيسٍ يـلُفّـه بـخـمـيس    وفِئـام حـواهُ بـعـد فئـامِ [٣]
وعميـد متـوَّجٍ حـل عنـه عِقْـدَ    التـاج بـالصَّنيـع الحُسـامِ [٤]
قـتـلوا يـوم ذاك اذ قـتـلوه    حَـكَـماً لا كـغـابـر الحُـكّـامِ
داعيـاً كـان مُسْجحـاً فـفقـدنـا    هُ وفقْـدُ المُسيم هـلك السُّوامِ [٥]
نـالـنـا فَـقْـدَه ونـالَ سـوانـا    بـاجتـداع من الانـوف اصطلام [٦]
واشـتـتْ بـنـا مـصـادر شـتى    بـعـد نهج السـبيـل ذي الآرام [٧]

---

(١) المعلم: الذي وضع له علاقة يعرف بها. واللجاج: الغبار، والكهام: الكليل من الرجال والسوف.

(٢) السنابك: جمع سنبك وهي أطراف الحوافر. ودامي: أي قد دُمي من الدم.

(٣) الخميس: الجيش الكثير ولا واحد له من لفظه، والفئام الجماعة من الناس.

(٤) العميد: السيد الذي يعتمد عليه في الملمات. والصنيع: السيف الجيد، والحسام: القاطع.

(٥) المسجح: الرقيق، ومنه فلان ذو خلف سجيح أي سهل، المسيم: الذي يسيم ابله أو غنمه ترعى.

(٦) خدع الانف: قطعه.

(٧) الأرام: جمع ارم وهي الاعلام من الحجارة، واشتت فرقق.

يستكمل الكميت حديثه عن الإمام علي (ع) فيتساءل بصيغة التعجب والتكثير عن المعارك التي خاضها الامام دفاعاً عن الدين. وكم صُرع في سبيل ذلك من أبطال الشرك وشجعانهم وكيف كان يضرب الجيش بالجيش، والناس بالناس يهلك من أراد وينتصر في النهاية جيشه بفضله هو.

وكم من سيد غرّه تاجه أراد مقارعة علي (ع) فما كان من علي الا أن حلَّ عنه عقد تاجه بسيفه القاطع البتّار ثم صرعه. هذا الرجل العظيم تآمر عليه حاسدوه ومكرهوه فقتلوه، وبقتلهم إياه قتلوا الحاكم العادل الذي لم يرَ له مثيلاً غير الرسول (ص) منذ غابر الحكام.

إنه الراعي الذي يسهر على شعبه ويحرص على عدم المساس به بسوء، فلما قتل تفرق القطيع وأصبح عرضة لفتك كل طامع لئيم، وهكذا ترى آثار فقده بادية على كل مسلم اجتذع أنفه، وتفرق شمل الناس، وضاعوا بعد أن كان الإمام قد أرسى لهم دعائم الدين، وجعل لهم علامات لا تدلهم على الصحيح من الدين لا يضلُّون بعدها أبداً.

ويقول:

| | |
|---|---|
| جرد السيف تارتين من الدهر | على حينَ دِرَّة من صَرَامِ [1] |
| في مريدين مخطئين هدى الله | ومستقسمين بالأزلامِ [2] |
| ووصي الوصي ذي الخُطَّةِ الفضل | ومردى الخصوم يوم الخِصامِ [3] |
| وقتيل بالطف غودِرَ منه | بين غوغاءِ أمة وطَغامَ [4] |

---

(١) والدرة: كثرة اللبن وسيلانه. وحرام من أسماء الحرب مثل فطام وحذام.

(٢) مريدين: يعني الخوارج. والأزلام: سهام كانت لأهل الجاهلية.

(٣) ووصي الوحي هو الحسن بن علي.

(٤) القتيل هو الحسين بن علي، والطف موضع قرب الكوفة، والطغام: أراذل الناس، والغوغاء الناس الكثير.

تـركبُ الطيْـوُ كـالمجـاسـد منـه مـع هـابٍ من التُّـراب هُيـامِ[1]
وتـطيـل المُـرَزَّاتُ المـقـاتـيـتُ عـليـه القـعـود بـعـد الـقيـامِ

وعلي (ع) هو الذي قاتل المشركين تارة، وقاتل الخوارج تارة أخرى أرادوا طريق الهداية فأخطأها بجهلهم لمعاداة علي (ع) ومقاتلته ثم استسقاهم اليمين بالأزلام الجاهلية، مخالفين لأوامر الله تعالى، وبعد علي (ع) جاء وصيه الحسن (ع) الذي جمع الله به بين فئتين من المسلمين مختلفتين، وهو الذي لا يقل شجاعة عن أبيه أمير المؤمنين في مقاتلة أعداء الدين والناكثين، ثم سيد الشهداء الحسين بن علي (ع) شهيد الطغاة الذي غدر به غوغاء الناس وسفلتهم بعد أن بعثوا اليه يستحدثونه المجيء اليهم، ولما جاء قتلوه وجميع أفراد أسرته، وأهل بيته وأنصاره.

وقد حزن الناس كثيراً لمقتله حتى الطير رأيتها تحط على التراب الذي تخضب بدمه فتتمرغ به ليتخضب ريشها بذلك الدم الطاهر، وتقيم النساء اللواتي خسرن أولادهن وأزواجهن النحيب عليهم، ويقول:

يـتـعـرفـن حُـرَّ وجـه عـليـه عُقْبة الشرْ وظاهـراً والـوسـامِ[2]
قـتـل الادعـيـاء إذ قـتـلوه أكـرم الشـاربـين صـوب الغمـامِ[3]
وسـمـي الـنـبـي بـالـشِّـعْـبِ ذي الخيف، طـريدُ المُحـلِّ بالاحـرامِ[4]
وأبـو الـفـضـل ان ذكـرهُـمُ الحلوَ بغـيٌّ الشـفـاء لـلأسـقـامِ
فـبـهـمْ كـنـتُ لـلبـعـيـديـن عـمّا واتهـمـت الـقـريـب بي اتهـامِ[5]

---

(١) المجاسد الثياب المصبوغة بالزعفران، والهابي: التراب.
(٢) السرور: المروءة والشرف.
(٣) لأدعياء: جمع دعي من يدعي شيئاً ليس له كادعاء الولد غير أبيه والمقصود هنا عبيد الله بن زياد بن سمية.
(٤) سمي النبي هو محمد بن علي بن أبي طالب.
(٥) لقريب: يعني علقمة الخضرمي.

صدق الناس في حُنين بضرب شاب منه مفارقُ القمقامِ [1]

وتناولت من تناول بالغيبة أعراضهم وقلَّ اكتتامي ويستمر الكميت في حديثه عن أولائك النسوة اللائي يتعرفن على الحسين (ع) من سمات وجهه الشريف الكريم الحسن.

لقد قتله أولاد الزنا عطشاً، ولم يعرفوا أنهم بقتله قد قتلوا أكرم الشاربين حتى ماء الغمام.

وأما سمي النبي محمد بن الحنفية بن علي فهو مطارد على أيدي من حلل القتال في المحرم، وهو عبد الله بن الزبير، وأبو الفضل العباس بن عبد المطلب عم النبي هؤلاء بذكرهم تنتعش الشفاه الظمأى فترتوي.

هؤلاء من واليت واتهمت بحبهم إتهاماً حقاً، ولمَ لا وفيهم الخصال الحميدة، فهذا أبو الفضل كان ممن غزا وثبت في وقعة حُنين حيث كانت الحرب تشيب من هولها مقدمات الرؤوس. دافعت عن هؤلاء وتناولت بالذم والتعرض لأعراض من عاداهم. ، ويقول:

ورأيت الشريف في أعين الناس وضيعاً وقل منه احتشامي

معلناً للمعالنين مُسِراً للمُسَّرين غير دحض المقامِ [2]

مبدياً صفحتي على المرْقب المعلِمِ بالله عزتي واعتصامي [3]

ما أبالي اذا حفظت أبا القاسم فيهمْ ملامة اللوامِ

لا أبالي ولن أبالي فيهم أبداً رغم ساخطين رغامِ [4]

فهم شيعتي وقسمي من الأمة حسبي من سائر الاقسامِ [5]

---

(١) صدق الناس: يعني أبا الفضل وكان ممن غزا وثبت في وقعة حنين.

(٢) دحض حجته: أبطلها.

(٣) المعلم: الظاهر: المعروف، وصفحة الوجه: جانبه، وأبدى: أظهر.

(٤) رغماً عنه: أي قسراً، الرغام: التراب.

(٥) القسيم: الحظ والنصيب جمعها: أقسام.

ان أمتُ لا أمتْ ونفسي نفسا ... ن من الشك في عمى أو تعامي

والرجل الذي يراه الناس شريفاً، هو في نظر الكميت وضيعاً حقيراً، لا يلقى منه أي احترام، لأنه يخاصم أهل بيت النبي.

والكُميت يعلن حبه فيمن يعلن حبه لأهل البيت، ويميل اليهم، ويكتمه فيمن يكتم هذا الحب ويحاول دحض حججهم الباطلة. وهو يظهر على صفحة وجهه ما ينطوي عليه قلبه لا يخاف من رقيب أو عدو لأنه يعتصم بالله، ويعتز به.

وهو أيضاً لا يبالي في حبه لابي القاسم محمد (ص) ملامة أي لوام، مهما سخط هذا اللوام، وسيبقى محباً له ولاهل بيته رغم أنف الساخطين، لأنهم شيعته، وقسمته من الأمة وحسبه من سائر الاقسام. وهو يفعل ذلك حتى اذا مات مات قرير العين، لا يدخل الشك الى نفسه أو يتعامى عن الحق، ويقول:

عَادِلاً غَيْرُهُمْ من النَّاس طُراً ... بِهِمُ لاهمام بي لاهمامِ
لم أبعْ ديني المُساومَ بالوَ ... كْسِ ولا مُغْلياً من السُّوامِ[1]
أخلصَ اللهُ لي هَوَاي فما ... أُغرق نَزْعاً ولا تطيش سهامي[2]
وَلَهتْ نفسي الطروبَ اليهم ... ولَهاً حالَ دُونَ طعْمِ الطعامِ[3]
ليت شِعري هَلْ ثم هَلْ آتينهم ... أم يحولن دُون ذاك حِمامي[4]
ان تشيعْ بي المذكرة الوَجْنا ... ءُ تنفي لُغامها بُلغامِ[5]
عنتريس شِمِلَّة ذات لَوْثٍ ... هَوْجل فَيْلَغٌ كَتُومُ البُغامِ[6]

---

(١) الوكس: النقص.

(٢) أغرق في النزع: أي بالغ في مد القوس وجذب وترها.

(٣) ولهت: اشتاقت.

(٤) الحجام: الموت.

(٥) تشنيع: تسرع في السير، والمذكرة: الناقة الشديدة التي تشبه الذكور.

(٦) العنتريس: الناقة الشديدة، والشملة: الخفيفة السريعة، واللوث: القوة.

والكُميت لا يجد لبني هاشم معادلاً، ولا يتخذ سواهم ولياً، وهو لم يفعل ذلك، ولن يفعله أبداً. وهل يعقل أن يبيع دينه وحبه لأهل البيت، ويساوم عليهم بالثمن مهما علاَ ذلك الثمن، وأي شيء يعادلهم ثمناً. وما موقف الكُميت المبدئي هذا إلاّ نتيجة لحب الله له ورضاه عليه، ولهذا فهو لن يخضع لنزوات الطيش بالتخلّي عن مبدأه. وكيف السبيل الى ذلك ونفسه ولهة بحبهم، تطرب لسماع أصواتهم، ولم يعد يتلذذ حتى بالطعام إذا منعه عن حبهم.

والكميت يتساءل بينه وبين نفسه هل يا تُرى يستطيع أن ينفذ كل ما يضمره نحوهم، ويحققه قبل مجيء منيته، بل أن ناقته هي الأخرى تشاركه حبه لآل النبي (ص) فهي تعرف بالغريزة متى يتوجه اليهم، فتراها تسرع جادة في سعيها، تحمله اليهم بنشاط وقوة، وهي ان تعبت فانها تخفي تعبها وجهدها محبة لهم.

ويقول:

| | |
|---|---|
| تصب السهب بالسهب اليهمْ | وَصْلَ خرقاء رِمَّة في رِمامِ(١) |
| في حراجيج كالخي مما هيض | يخدن الوجيف وخد النعامِ(٢) |
| ردهن الكلال حُذْباً | حدابير وَجَدُّ الاكام بعد الاكام(٣) |
| يكتنفن الجهيض ذا الرَّمق | المَعَجَّل بعد الحنين بالازرامِ(٤) |
| مُنْكراتِ بأنفس عارفات | بعيون هوامع السَّجام(٥) |

---

(١) السهب: الغلاة الواسعة، والخرقاء: الناقة التي لا تتعهد مواضع قوائمها لتسرعها، والرمة: القطعة من الحبل.

(٢) الحراجيج: جمع حرجوج، وهي الابل الطوال من الصخور.

(٣) الكلال: التعب، والاكام: جمع أكمة وهي التلال.

(٤) يكتنفن: أي يعطفن، الارزام: صوت الناقة.

(٥) هوامع التجام: هملت: أي فاضت بالدموع.

مــا أبــالي اذا تحــن الــيــهــم نـقب الخُـفِّ واعتــراف السنامِ[1]
يـقضـي زور هنــاك حـق مــزورين ويحــي الـســلام أهــل الــســلامِ

يستمـر الكميت في حديثـه عن ناقتـه فاذا هي تقـطع الفـلاة الـواسعـة مسرعة للوصولِ الى الحبيب وهم بنو هاشم.

والنـاقـة ليست وحيـدة في سيرهــا الى الحبيب، بـل هي تسيــر مـع جماعات من الإبل الضامـرة البطون التي أشبـه ما تكـون بالقسي المنحنيـة، ونتيجة لجهدهـا القاسي تجهض حملهـا أثناء المسيـر ، وهذه الإبـل أضعفها السفر المتواصل فبدت عظام أظهرها بارزة ، والتصق ظهر الناقة بصدرها .

وهذه الإبل أيضـاً تحزن لإجهـاض جنينها فتعـطفنَّ عليه، وتحـطنَّ به وتتلمسنَّ مـا بقي فيه من روح، وهي تعبـر عن حزنهـا بالـدمـوع التي تفيض من أعينها، وتنسكب على خدودها.

وبـالسير المتـواصل، والعنـاء، والجهد المبـذولين فقد فقـدت ا°ءلابل إخفـافهـا، وأذابت لحم سنـامهـا، كـل ذلـك يهــون عنـدمــا يتحقق الحلم بالوصول الى الزوار، والقاء التحية بالسلام عليهم.

بعــد دراســة الهــاشميـة الأولى لا بــد لنـا من أن نتســاءل؟ مـا هي المميزات التي تمتاز بها هذه الهـاشمية، وكيف استـطاع الشاعـر أن يعبر عن مشـاعـره في هـذه الهـاشميـة، ومـا هي الأمـاكن التي أجـاد فيهـا، ومـا هي الأماكن التي أخفق فيها.

وهل ما أتى به الكُميت في هذه الهـاشمية هـو عام في شعـره كما هـو في الهـاشمية الثـانية والثـالثة أم نقـطة انطلاق لنـواحي أخـرى لم يـأتِ على ذكـرها هنـا. فنحن نستطيـع أن نُبدي رأينـا في الهاشميـة الأولى أما الثـانيـة

---

(١) نقب خف البصير نقباً بالتحريك اذا خفي حتى يتخرق، واعترفت: واترقتـه اذا أكلت ما عليه من اللحم.

والثالثة فنحن لا نستطيع ذلك الا بعد دراستها دراسة جيدة. أما بالنسبة للهاشمية الأولى فإن لها مميزات يمكن أن نلخصها بما يلي :

أولاً: تركيز الكُميت في حديثه على حبه لآل البيت وولهه في ذلك الحب. ولكن مفهوم الكُميت لبني هاشم وآل البيت اختلف عن مفهومنا، فقد كنا نعتقد أنه سيحصر حديثه عن محمد (ص) وعلي (ع) والحسن والحسين، فإذا به يدخل جعفر الطيّار بن أبي طالب، والحمزة بن عبد المطلب والعبّاس بن عبد المطلب، ومحمد بن الحنفية بن علي بن أبي طالب.

ثانياً: حديثه عن بعض صفات بني هاشم: كالشجاعة، فإذا هم الحماة الكُفاة في الحروب، وهم الأُسد في الوغى، سادة، ذادة عن الخُرد البيض، مغاوير، مساعير ليلة الإلجام.

وبعد أن يتحدث عن الشجاعة عند بني هاشم عامةً، يتحدث عنهم بصفة إفرادية. فأبو القاسم محمد (ص) فرع القدامس المقدام خير حي، وخير ميت، خير مسترضع، وخير فطيم، ثم غلاماً ناشئاً فكهلاً. طيب الأصل، طيب العُود في البنية والفرع. إستقب الله ضياء العمى به والظلام، وهو لم يألف الدنيا فيميل اليها، ولم يحالف غير الصدق والشرف.

ثم يتحدث عن جعفر الطيّار ذو الجناحين ابن عم النبي (ص) والحمزة بن عبد المطلب أسد الله الكمي المحامي. ثم وصي النبي (ص)علي بن أبي طالب (ع) الفارس المعلم تحت العجاج الذي صرع الأبطال تحت السنابك، ولفَّ الخميس بالخميس. حكماً لا كغابر الحكام، داعياً دقيقاً، قاتل المشركين والخوارج الذين أرادوا هدم الدين ثم الحسن بن علي (ع) وصي الوصي ذي الخطة الفصل، ومردي الخصوم يوم الخصام، ثم الحسين بن علي (ع) قتيل ألطف المغدور من أهل أمة غوغاء

أراذلة، ثم سمي النبي محمد بن الحنفية بن علي الطريد بين الشعب من قبل أعدائه، وعلى رأسهم عبد الله بن الزبير ثم أبو الفضل العباس بن عبد المطلب الذي غزا وثبت في وقعة وقتل الابطال.

هؤلاء الذين يعلن الكميت حبه لهم فيمن يعلم، ويكتمه فيمن يكتم. وهو غير مستعد لأن يبيع دينه بترك موالاتهم أو يستبدل بهم من هم دونهم قيمة. وهو عندما يفعل ذلك فإنما يفعل إرضاءً لله تعالى، وإخلاصاً له.

**ثالثاً**: حديثه عن كرم بني هاشم، فهم قريبون من الناس بعيدون عن الجور في عُرى الأحكام، وهم الغيوث ان امحل الناس ومأوى حواضن الايتام. والروايا الذين يحملون الى الناس ما يحتاجونه من طعام وشراب. وهم البحور الذين بهم تكثف الحرة والداء من غليل العطش. وهم كرام الجدود، مستفيدين متلقين، مواهيب مطاعيم غير ما إبرام، مسعفين مفضلين مساميح مراجيح.

رابعاً: مسلكهم السياسي في الحكم. فهم بعيدون عن الجور، يصيبون في أفعالهم، لا يضلُّون عن محجة الصواب، مثبتون دعائم الاسلام، والوُلاة الكُفاة للأمر، واساة الشفاة للداء ذي الريبة، راجحي الوزن، كاملي العدل في السيرة، طبين بالامر العظام، فضلوا الناس، في الحديث حديثاً وقديماً، لامها ذير في الندى، ولا مصمتين بالافحام، وهم الآخذون من ثقة الأمر بتقواهم، ساسة عادلون لا كبني أمية لا يُراعون العدل والانصاف في رعيتهم.

خامساً: فهم في العلم ربوا من عطية العّلام، وهم الآخذون من ثقة الامر بتقواهم عُرى لا انفصام. محلُّون محرِّمون، مقرُّون محل قراره، وحرامه. وهم الأقربون من كل خير، والأبعدون عن كل عيب، وهم الأوفون بالناس في الرأفة، والأمحلون في الاحلام، وهم الذين أخذوا التوسط في الأمور، واستقاموا عليه.

وأخيراً ينتقل الكُميت الى الحديث عن معاناته في السفر اليهم يحدوه في ذلك رضا الله تعالى عليه، وحبه المتلهف اليهم، وهو ليس الوحيد الذي يعاني المشاق في هذا السبيل بل نجد ناقته هي الاخرى تشاركه هذا المشاق، وذلك الحب.

وهذه الميزة يجب أن نتوقف عندها قليلاً لأنها من الاهمية بمكان، إذ انها تذكرنا بالشاعر الجاهلي الذي كان يتحدث ويسترسل في حديثه في أبيات كثيرة من قصيدته ليصف معاناته للوصول الى حبيبته، وأنت لو وضعت الأوصاف التي جاء بها الكُميت لوصف ناقته، وما تُعانيه من آلام السفر، لوجدت نفسك تعيش في عالم الشعر الجاهلي. وليس في عالم الكُميت الاسلامي. والشيء الذي يتغير فقط هو المحبوب، فبدلاً من أن يكون فتاة جميلة أولع الشاعر بحبها، ولم يعد يتيق صبراً على البعاد عنها، ولهذا شد الرحال اليها على ناقته، وراح يقطع الفيافي الموحشة للوصول اليها، كذلك تماماً فعل الكُميت، ولكن حبه روحي وليس جسماني فالمحبوب هم قوم لا فتاة، والحب روحاني ديني إيماني لا جسدي مادّي.

وإنني لأسجل للكُميت هنا تقصيراً في هذا المجال، فهو لم يستطع رغم ما أظهره لنا من حبه لبني هاشم، وصدقه لذلك الحب، أن يرقى لوصف معاناته النفسية للوصول اليهم، والأمل المرجو من وراء ذلك، كالتثقف الديني، أو العلمي أو المشاركة في حرب معهم، أو لرد مكيدة أو عداوة عنهم، ان مثل هذا لا نعثر عليه عنده.

فنحن نجد مثلاً في كتب التاريخ أو الأدب الكثير من الروايات التي تتحدث عمّا كان يعانيه طلبة المعرفة من مشاق السفر، فكم من محدث مثلاً قطع المسافات البعيدة على دابته ليصل الى محدث آخر أوسع منه علماً ليأخذ عنه حديثاً، أو ليتأكد من صحة حديث، وكم من شاعر لاقى المعاناة وتعرض للهلاك ليصل الى شاعر آخر أكثر منه شاعرية ليعرض عليه قصائده فينقدها له، أو يصحح ما فيها من التواء أو تعثر. وكم من عالم في

اللغـة تحمل وهـج الصحراء وعـطشها ليصـل الى أهلها فيـأخـذ عنهم لغتهم الصحيحـة، وإلا كيف جمعت العلوم التي ننعم بلذة ثمارهـا ـ كعلم اللغـة، أو النحو، أو الحديث، أو البلاغة، أو غير ذلك.

تقصيـر آخر نجـده عند الكُميت في معـاني شعـره التي جـاءت تصف أهل البيت من الخارج، ولكنها لم تحاول ان تختـرق نفوسهم الى الـداخل، فتتحـدث عن معرفتهم وعلومهم المكتنزة في صدورهم. فهم أسـاتذة العلم والمعـرفة في الـزمن الذي عـاشوا فيـه، فهذا محمـد الـطوسي نصيـر الـدين العالم الرياضي والفلكي وذاك جابر بن حيَّان الفيلسوف الكيميائي ثم سفيـان الثوري عالم الحديث وغيرهم كلهم تتلمذوا على أيدي أهل بيت الرسول.

سـادساً: لغـة الكميت في هذه الهـاشمية جـاءت ألفـاظهـا منتقـاة من معـاجم اللغة العـربية البـدوية التي يحتـاج الانسان لفهمهـا الى جهد، انـظر الى هــذه الالفـاظ المستخـدمـة على سبيـل المثـال: التنن وهي الــولادة المنكوسة، والادغام، وهو الحقـد، والآدام: لشدة العـطش والقماقم للسيـد الشريف، ومراجيح: أي حلماء، والذحول: وهو الثأر وغيرها من ألفاظ.

سابعاً: استخدامه المقـدمات الغـزلية شـأنه شـأن الجاهليين للحـديث عن حب بني هاشم.

## الهاشمية الثانية

وتتألف من مئة وأربعين بيتـاً، ويمكن تقسيمها الى عنـاوين بارزة هي: ١) حـالة الشـاعر النفسيـة نحو بني هـاشم، ٢) حديثـه عن بني هـاشم، ٣) شخوص الشاعر الى من يحب وهم بنو هاشم.

**١) حالة الشاعر النفسية نحو بني هاشـم:**

وهذه الحالـة جاءت في مقـدمة القصيـدة والمكونـة من أربعة أبيـات،

وفيها يظهر انفعاله، وانجذابه الى اولئك القوم دون أن يدري ما السبب الذي يحدوه الى ذلك.

**٢) حديثه عن بني هاشم:**

وهذا الحديث يأخذ الجزء الاكبر من القصيدة، وهو يبدأ بالبيت (٥ ـ الى ١١٥)، وفي هذا الجزء يستعرض الكُميت بعض القضايا. كقضية انتقاد الناس له من أقارب، وأمويين وخوارج، ونعته بالترابي[١] لحبه لعلي بن أبي طالب (ع) إزدراءً منه، بينما هو العلوي المخلص بالولاء.

قضية الخلافة، وكيف نظر الناس اليها بخلاف ما كانت يجب أن تكون عليه. فالأمويون اغتصبوها من أصحابها الشرعيين، وجعلوها أموية بينما في الحقيقة يجب أن تكون هاشمية علوية.

القضية الثالثة والأخيرة هي تعداده لأفراد بني هاشم وقد ذكرهم في الهاشمية الأولى الا انه زاد في هذه الهاشمية أسماء الفضل وعبد الله ولدا العباس بن عبد المطلب.

تحدثنا عن الهاشمية الأولى وأبدينا رأينا فيها، وبات علينا أن ننتقل الى الهاشمية الثانية لنرى ما يقول فيها: يقول الكميت في مقدمة الهاشمية الثانية واصفاً حالته النفسية نحوهم:

طربت وما شوقاً الى البيضِ أطـ ـرب ولا لعبا مني وذو الشوق يلعبُ[٢]
ولم يلهني دار ولا رسم منزلٍ ولم يتطربني بنان مخضبُ[٣]

---

(١) أبو تراب: لقب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع) وقد أطلق عليه رسول الله (ص) تحبباً. فقد حدث أن وضع الرسول بعض التراب على منكب علي (ع) وقال له مازحاً: قم يا أبا تراب، ثم صارت هذه الكلمة تعني التشيع لعلي (ع)

(٢) البيض: المراد بها النساء الحسان.

(٣) رسم المنزل: ما بقي من آثاره، والبنان: الأصابع، واحدها بنانه.

ولا أنـا ممن يـزجـر الطير همـه أصاحَ غراب أم تعـرض ثعلبُ[1]
ولا السـانحـات البـارحـات عشيـة أمرَّ سليم القرنِ أم مـرَّ أعضبُ[2]

يبدأ الشاعر هاشميته الثانية بمثل ما بدأ به هاشميته الأولى وهي التطرب، والتشوق، والتغزل، ولكن ليس من أجل ملاقاة من يحب من الفتيات الحِسان ليلعب ويلهو معهن، أو من أجل الوقوف على أطلال المنازل الخربة. كما كان يفعل الشاعر الجاهلي ليبكي وينتحب على الاحبة الذين تركوا هذه الديار، وغادروها الى أماكن أخرى.

أو من أجل التلهي بزجر الطير ليتفاءل أو يتشاءم بها. مثل ما كان يفعل الجاهليون، أو لسماع أصوات الغربان وهي تصيح متقاتلة على خرب البيوت، أو لمشاهدة ثعلب يتعرج في مشيه، أو لرؤية الطيور والظباء وهي تفر يميناً ويساراً خوفاً من اصطيادها، وهذه الحيوانات منها ما هو سليم القرن ومنها ما هو مكسورة.

ويقول الكميت بعد مقدمته متحدثاً عن بني هاشم معالجاً قضيتهم مع من ظلموهم:

ولكن الى أهـل الفضـائـل والنهى وخـير بـني حـواء والخـيرُ يـطلبُ
الى الـنفـر الـبيض الـذين بحبـهم الى الله فـيـما نـالـني أتـقـرب[3]
بـني هـاشـم رهط الـنبـي فـإنـي بهـم ولهم أرضى مـراراً وأغـضب[4]

---

(١) الزجر: المنع والنهي وهي عادة جاهلية، الصياح: الصوت الشديد وتعرض الثعلب في طريقه: إذا لم يستقم في ميره.

(٢) السانح من الطير أو الظباء: الذي يجيء من اليسار فيولي اليمين والبارح: ما يجيء من اليمين فيولي اليسار. والاعضب: المكسور أحد القرنين وهو ما يتشاءم به.

(٣) النفر البيض: هم بنو هاشم، والبيض: جمع أبيض يريد نقاء العرض والاصل من الدنس.

(٤) الرهط: الجماعة: العشيرة.

خفضت لهم مني جناحي مودة الى كنف عطفاه أهل ومرحب[1]
وكنت لهم من هؤلاء وهؤلاء مِجَناً على اني آذم وأُقْصَبُ[2]

بعد المقدمة ينتقل الكميت الى الحديث عن بني هاشم. هؤلاء القوم هم أهل الفضل والشرف، وخير من ولد من نسل حواء، انهم هم الذين يطلبهم الناس، وليس البيض الحسان المخضبي البنان والشاعر يتقرب من النفر البيض الكريمي الحسب، المطهري الاصلاب، طهرهم الله تطهيراً، فيرضى لرضاهم، ويغضب لغضبهم، وبهم الآن جانبي المودة والتعطف، وقابلهم على الرحب والسعة، وأصبح لهم مجناً يدافع عنهم ضد اولئك، وهؤلاء: أي الخوارج والمرجئة الذين وقفوا موقف العداء من أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع) يدافع عنهم بلسانه ان لم يكن بسيفه يقول:

وآرمي وآرمي بالعداوة أهلها واني لأوذى فيهم وأؤنبُ
فما ساءني قول امرىء ذي عداوة بعوراء فيهم يجتديني فأحزب

والشاعر في معركة حقيقية ضد أعداء بني هاشم، يقاتلهم فيرمي ويُرمى بالعداوة، ويؤذى من أجلهم ويؤنب، كل هذا لم يؤثر في نفسيته، لأنه يرى كل هذه الأقاويل صادرة عن قلوب تحمل الكره والغضب ضد بني هاشم ويقول:

فَقُلْ للذين في ظل عمياء جَوْنة ترى الجور عدلاً اين لا أين تذهب[3]
بأي كتاب أم بأية سُنَّة ترى حبهم عاراً علي وتحسب

---

(١) خفضت جناحي: أي لينت جانبي، والكنف: الناحية.
(٢) هؤلاك وهؤلاء: إشارة الى الخوارج والمرجئة الذين ناصبوا علياً (ع) العداء. والمجن: الترس.
(٣) العمياء: تأنيث الاعمى يريد بها الجهالة واللجاجة في الباطل والجونة هنا: السوداء مؤنث الجون.

أأسْلَمُ ما تأتي به من عداوة وبغض لهم لا جَيْر بل هو أشجب[1]
ستقرعُ منها سِنَّ خزيان نادمٍ اذا اليومُ ضَمَّ الناكثين العصبصب[2]

يخاطب الكميت أعداء بني هاشم متسائلاً؟ الى متى سيبقون يركبون الفتنة العمياء التي تصبغهم بالجور، وتبعدهم عن العدل، ويقول لهؤلاء: على ماذا تعتمدون في كرهكم لهؤلاء، وتجعلون حبهم عاراً علي، هل هذا منصوص عليه في كتاب، أم مروي في حديث، وهل بغضهم وعداوتهم أسلم مغبة علي، أم محبتهم لا: حقاً ان عداوتهم أشجب وأسوأ مغبة. وان من يعادي هؤلاء سيقرع سنه ندماً يوم لا ينفع الندم.

ويقول:

فما لي إلا آل أحمد شيعة وما لي إلا مشعب الحق مشعب[3]
ومن غيرهم أرض لنفسي شيعة ومن بعدهم لا من أجلَّ وأرحب[4]
أريبُ رجالاً منهم وتريبني خلائق مما أحدثوهن أريب[5]
إليكم ذوي آل النبي تطلعت نوازع من قلبي ظماءُ والبَبُّ[6]
فإني عن الامر الذي تكرهونه بقولي وفعلي ما استطعت لاجنبُ[7]

---

(١) لا جير: أي لاحقاً.
(٢) قرع فلان سنه ندماً: إذا ضرب عليه ندماً. ، والعصبصب: الشديد. الناكث: المتراجع عن عهده.
(٣) الشيعة: أي أولياء وأنصار، والمشعب: الطريق.
(٤) أرجب: أهاب وأعظم.
(٥) أراب الرجل يريب: إذا رأيت منه منكراً.
(٦) ذوي آل النبي: أصحابهم، والعلماء وأهل الرأي فيهم. ونوازع: جمع نازع وهو الشوق والحنين.
(٧) أجنب: أي أبعد.

فالشاعر ليس له من يناصره ويؤيده الا بنو هاشم وآل أحمد وهو بموالاته لهؤلاء ومناصرتهم يكون قد سلك طريق الحق وفرق بينه وبين الباطل. وهو يتساءل؟ وهل هناك من هم أحق بهذا التأييد وأن يهاب ويعظم. ومسألة الريبة متبادلة بينه وبين أعداء آل محمد فهو محب لهؤلاء متشيع لهم، قلبه ظمآن للارتواء بحبهم، وعقله مشغول بالسماع اليهم وسماع ذكر فضائلهم.

والكميت مطيع لآل أحمد يأتمر بأمرهم، فهو يتجنب ما يكرهونه بقوله وفعله، وبكل ما يمتلك من استطاعة.

ويقول الكميت غضباً على من ينتقده ويلقبونه بالترابي ازدراء.

يشيرون بالأيدي الي وقولُهُمْ ... ألا خاب هذا والمشيرون أخيب[1]
فطائفة قد كفرتني بحبكم ... وطائفة قالوا مسيء ومذنب[2]
فما ساءني تكفير هاتيك منهم ... ولا عيب هاتيك التي هي أغيب
يعيبونني من حبهم وضلالهمْ ... على حبكم بل يسخرون واعجبُ[3]
وقالوا ترابي هواه ورأيه ... بذلك أدعى فيهمُ والقبُ[4]
علي ذاك إجرياي فيكم ضربتي ... ولو جمعوا طرأ علي وأحلبوا[5]
واحمل أحقاد الاقارب فيكمُ ... وينْصب لي في الابعدين فانصب

أصبح الكميت مشهوراً بين الناس في حبه لبني هاشم ولهذا ترى أعداءهم يشيرون اليه بالبنان يسفهونه، ويجيبونه وهم في الواقع الذين

---

(١) يشيرون: أي أعداؤه الذين يعيبون عليه محبته بني هاشم.

(٢) الطائفة الاولى المشار إليها: هم الخوارج الذين يكفرون من يحب علياً والطائفة الثانية هم الذين يخطئون علياً (ع) لقبوله بالتحكيم.

(٣) الخب: الخبث الخداع.

(٤) ترابي: نسبة الى أبي تراب وهو علي (ع).

(٥) الأجريا: العادة. وأجلبوا: أي تجمعوا. وأحلب: أعان.

يستحقون هذا القول، وقد انقسم الاعـداء نحوه قسمين: قسم متـطرف يصل به الكره الى تكفيـر الكميت لأنهم يكفرون من يحب الكميت، وقسم يتهمـه بـالمسيء والمذنب. والشـاعر غيـر مهتم بما يقـوله هؤلاء ولا أولئـك، لانهم قـوم ضد الـدين ومنحرفين عنـه، ولا عيب يعابـه هـو بـل العيب كله يلتصق بهؤلاء المنحـرفين. ويتهم الكميت أعـداءه بـالخبث والضـلال نحـوه، لا لشيء إلا لأنـه يحب بني هـاشم ولا يكفي خبثهم وضـلالهم نـحـوه بـل يجـدهم يسخرون منـه، وهـم في الواقـع أحق الناس بـالسخـريـة، والتعجب من تصرفاتهم.

ولم يجد هؤلاء الاعداء من نعتـا ينعتونـه به سـوى بالتـرابي لأنه يحب علي بن أبي طالب (ع).

إنهـا عـادة اعتـاد عليهـا الكميت هي حب بني هـاشم، حتى أصبحت طبيعة من طبائعه، ولا يهمه اجتماع الناس عليه وتألبوا.

وهو يحتمل أحقاد الأقارب عليـه من آل بني هاشم، ويناصب العداوة لمن يظهر له العداوة من الابعدين.

ويقول:

| | |
|---|---|
| بخـاتمكم غصبـاً تجـوز أمـورهم | فـلم أرَ غصبـاً مثله يتـغـصـب[١] |
| وجـدنـا لكم في آل حـاميم آيـة | تـأولهـا مـنـا تقـي ومُـعـربَ[٢] |
| وفي غيـرهـا آيـا وآيـا تتـابـعت | لكم نصب فيها لذي الشك منصبُ[٣] |
| بحقـكم أمستْ قـريش تـقـودنـا | وبـالفذ منها والـرد يفـين نـركب[٤] |
| إذا اتضعـونـا كـارهـين لـبيعـة | أنـاخـوا لأخـرى والأزمـة تُجْـذبُ |

(١) الخاتم: يعني هنا الخلافة.
(٢) يقال آل حاميم للسور التي أولها (حم). والمعرب: المبين.
(٣) النصب بالسكون: العلم المنصوب.
(٤) الفذ: الفرد. والرديفين الاثنين أحدهما خلف الآخر.

رِدافاً علينا لم يسيموا رعية　　وهمهموا أن يمتروها فيحلبوا
لينتجوها فتنة بعد فتنة　　فيفتصلوا أفلاءها ثم يركبوا[1]
أقاربنا الادنون منكم لعَّلةٍ　　وساستنا منهم ضباع وأذؤب
لنا قائد منهم عنيف وسائق　　يقحمنا تلك الجرائيم متعبُ

يتحدث الكميت هنا عن عن خلافة بني أمية المغتصبة من بني هاشم، وهذه الخلافة هي التي أوجدت للأمويين الكرامة والعزة وإلا فهم منبوذين لا ذكر لهم. ثم ينتقل للحديث عن بني هاشم فاذا هم قوم نزلت بحقهم الآيات الكثيرة لتدل على حب الله تعالى لهم، وتفضيله إياهم على سائر الخلق. ومن الآيات التي نزلت بهم كل سورة تبدأ بـ (حم) وفيها يقول تعالى: «قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى»، وفي غير آل حاميم آيات كثيرة في حق آل البيت، منها: قوله تعالى وآت ذا القُربى حقه، ومنها: إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس آل البيت ويطهركم تطهيراً، ومنها: واعلموا إنما غنمتم من شيء فان لله خمسه وللرسول ولذي القربى.

وبحق بني هاشم الذين كانت لهم الخلافة واغتصبت، حكم بنو أمية رقاب الناس، وصارت قريش أي بنو أمية تحكم وترعى أمور الناس. وهم اذا أخضعونا لسلطتهم، وأكرهونا على البيعة أولاً فسيكرهوننا على بيعة أخرى ثانية.

وهؤلاء يتوالون على الحكم واحداً بعد آخر دون أن يحكموا بالعدل بين الناس، بل على العكس من ذلك استغلوا خيراتهم وحلبوها كما تُحلب الناقة. وكل خليفة جاء بعد سابقه هو فتنة تؤجج فتنة سابقة، ويتولد عنها فتن متواصلة كما تتوالى الولادات من الخيول، وكل وليد يستغلونه للركوب وسياسة الامويين في الناس كسياسة الذئاب والضباع لا يُراعون إلا ولاذمة

---

(١) الفلو جمعها أفلاء وهو المهر، جعل المهر يولد كما تولد الفتنة بعضها من بعض.

ويعبثون فينا كما تعبث الوحوش في الغنم والخليفة الذي هو القائد للأمة يحملنا ما لا طاقة لنا عليه من غير إشفاق ولا رحمة .

ويقول الكُميت طارحاً مسألة الخلافة مذكراً من اغتصبوها بأنها حق الهاشميين ليس إلاّ .

وقالوا ورثناها أبانا وأمنا ... وما ورَثَتْهم ذاك أمٌّ ولا أبُ[1]
يرون لهم حقاً على الناس واجباً ... سَفَاهاً وحقُّ الهاشميين أوجبُ[2]
ولكن مواريث ابن آمنة الذي ... به دان شرقيٌّ لكُمْ وَمغرِّبُ[3]
فيرى لك موروثاً أبي وأبو أبي ... ونفسي ونفسي بَعْدُ بالناس أطيبُ
بك اجتمعت أنسابنا بعد فُرقةٍ ... فنحن بنو الاسلام ندعى وَنُنْسَبُ
حياتك كانتْ مَجْدنا وسنائنا ... وموتك جدعٌ للعرانين مُرْعِبُ[4]
وأنت أمين الله في الناس كلهم ... وَنُعْتبُ لو كنّا على الحق نعتبُ
فَبُوركتَ مولوداً وبوركت ناشئاً ... وبوركتَ عند الشيب اذ انت أشيبُ
وبورك قبر أنت فيه وَبوركت ... به وَلَهُ أهلُ لذلك يَثْربُ[5]

يقول الكُميت أن بني أمية يزعمون أنهم ورثوا الخلافة عن أم وأب، وهم في الواقع لم يرثوها لا عن أم ولا عن أب. ولا يكتفون بذلك، بل يزعمون عن قلة عقل وطيش أن لهم على الناس واجبات وحقوق، والحقيقة هي أن ما يزعمونه هو لبني هاشم أوجب وأحق، ووراثة بني هاشم مستمدة من وراثة النبي (ص) الذي دانت له الارض في شرقيها

---

(١) ورثناها: يعني الخلافة.
(٢) السفهُ: الجهل في العقل، أو الطيش.
(٣) ابن آمنة: رسول الله (ص) ومواريث جمع ميراث، ودان: خضع.
(٤) الجدع: قطع الانف. عرنين الانف: أول الانف حيث يكون الشم وعرابين القوم: أشرافهم وسادتهم. وموعب: أي مستأهل.
(٥) به: يعني القبر.

ومغربيها والكميت يفدي النبي بنفسه وآبائه دفاعاً عن حقـه الموروث، لمـاذا لأن الفضـل يعود اليـه في وحدة العـرب، ومجيء الاسلام، ففي حيـاة النبي كان المجد والعز للعرب والاسلام، وبعد موته جدعت أنوف العرب والمسلمين، واعتراهم الذل والمسكنة.

لقـد كنت يا رسـول الله أميناً على النـاس من قبـل الله تعـالى، وبعـد موتك كـان لا بد من رجـل تستخلفه في النـاس، فالاستخـلاف موجـود عند كـل الشعـوب، ومـا من خليفـة إلا ووصى بخليفـة من بعـده، وجعله وليـاً لعهده، فلماذا لا ينطبق ذلك عليك.

بـوركت يا رسـول الله في كل مـرحلة من مـراحـل حيـاتـك، مـولـوداً ونـاشئاً، ثم كهـلاً قد اعتـراك الشيب، ثم بوركتَ بعـد موتـك وبـورك القبـر الذي حوى جسدك الشريف، وبوركت يثرب التي كان قبرك فيها

ويقول:

| | |
|---|---|
| لقـد غيبـوا بـرّاً وصـدقـاً ونـائـلاً | عشيـة واراك الصفيـح المنـصَّبُ[1] |
| يقـولـون لم يـورث ولـولا تـراثُـهُ | لقـد شـركت فيـه بكيْـلٌ وأرحبُ |
| دَعَـكَ ولخـم والسـكـون وحمـيرُ | وكنـدة والحيـان بـكـرٌ وتغـلبُ[2] |
| ولا نشلتْ غـصـوني منهـا يحـابـرُ | وكـان لعبـد القيس عضـو مؤرَّبُ[3] |
| ولا نتقلت من خِـنْـدف في سـواهُمُ | ولاقتـدحت قيـس بهـا ثم اثقبوا[4] |
| ولا كـانـت الأنصـار فـيهـا أذلّـة | ولا غيبـاً عـنهـا اذا النـاس غُـيَّبُ |
| ثم شهـدوا بـدراً وخيبـر بعـدنـا | ويـوم حُنـين والـدِّمـاء تصبب |

(١) الصفيح: جمع صفيحة: وهي الحجارة العريضة.
(٢) بكيل وأوحب وعك ولخم: أسماء قبائل.
(٣) يحابر وعبد القيس: قبيلتان. مؤدب: تام. وتآويت الشيء: توفيره.
(٤) خندف: اسم قبيلة. وقدح بالزند: أورى النار به.

وعندما وريت في القبر يا رسول الله، ورووا وغيبوا رجلاً باراً وصادقاً ومعطاءً.

ويزعم بنو أمية وغيرهم أن النبي (ص) لم يورث، فلو كان ذلك صدقاً لكان من حق جميع القبائل أن تدعي حقها بالخلافة، ولما كان آل بيته الذين ثبتوا الدين ودعموه إلا مثل هذه القبائل سواء بسواء.

ولولا ما تركه النبي (ص) من تراث لنالت يحابر وعبد القيس منه أيضاً ولكانت الخلافة في خندف ثم راحت تنتقل فيها من شخص الى آخر وهذا يجعل قيساً تثور وتطلب الأمر لنفسها.

كل هذه التجاوزات كانت كفيلة بأن تهضم حق الانصار وتبعدهم عن أمر الخلافة، وهم الذين قاتلوا في بدر وخيبر، ويوم حُنين حيث كانت الدماء تتصبب من الاعداء ومنهم كل ذلك دفاعاً عن رسول الله ونصراً للاسلام.

ويقول:

| | |
|---|---|
| وهم رائموها غير ظئر وأشبلوا | عليها بأطراف القنا وتحدبوا[1] |
| فإن هي لم تصلح لقوم سواهمُ | فإن ذوي القُربى أحق وأقربُ |
| وإلا فقولوا غيرها تتعرفوا | نواصيها تردي بنا وهي شزب[2] |
| على مَ إذا زرنا الزبير ونافعاً | بغارتنا بعد المقانب مقنب[3] |

---

(١) رائموها: أي دعوة رسول الله (ص) الى الاسلام قبلوها بالاحترام. والظئر: العاطفة على غير الولد، وأشبل عليه: عطف عليه، وتحدبوا: تآزروا.

(٢) النواصي: جمع ناصية مقدمة الرأس. وتردى: تسرع. وشرب: جمع شارب. الضامر.

(٣) المقانب: جمع مقنب: وهو جماعة الفرسان. ونافع: هو نافع بن الازرق الخارجي خرج مع أصحابه أيام عبد الله بن الزبير وقتل سنة ٦٥ هـ والزبير: هو الزبير بن الماقور الشاري من تميم إدعى الخلافة وقتل سنة ٦٨ هـ.

وشاط على أرماحنا بادعائها وتحويلها عنكم شبيب وقعنب[1]

يتحدث الشاعر هنا عن الدعوة الاسلامية التي قادها محمد (ص) وناصرها شلّة من المهاجرين والأنصار، وأخلصوا لها كل الإخلاص من غير أن يظأروا عليها ويكرهوا على قبولها بحرب أو قتال.

وهذه الدعوة لم تتم الا بنصرة بني هاشم، ولهذا فهم أحق الناس بأن يكونوا الأمناء عليها.

ولهذا ينصح الشاعر من أراد اغتصابها بغير حق أن يتركوا مقالتهم، ويغيروا دعواهم بأن محمداً (ص) لم يورث، فتهدي لهم الأمور، ويتعرفوا على الحقائق التي تظهر واضحة، كما يظهر الشيب في مقدمة الرأس.

ثم يتحدث الشاعر عن جهاد المسلمين ضد الخارجين على الاسلام وكيف قاتلوهم قتالاً لا رأفة فيه، ومن الذين قتلوا في هذا السبيل نافع بن الأزرق الحنفي الذي خرج وقتل سنة ٦٥ هـ والزبير بن الماقور الشاري من تميم الذي قتل سنة ٦٨ هـ وهذين إدعا الخلافة فقتلا لهذا السبب، وقتل غيرهما كثير وكان الناكثون يريدون أن يخرجوا الخلافة عن أصلها القرشي الى غيرها من القبائل، ومن الذين سعوا في هذا السبيل شبيب بن يزيد بن نعيم الشيباني الخارجي الذي قاتله الحجاج حتى مات غرقاً سنة ٧٦ هـ، وقعنب أيضاً، ويقول:

نقتلهم جيلاً فجيلاً نراهم شعائر قربان بهم يتقربُ[2]
لعلّ عزيزاً آمناً سوف يبتلى وذا سَلب منهم أنيق سيسلبُ[3]

---

(١) شاط الرجل: هلك. وشبيب: هو شبيب الشيباني خارجي مات غرقاً أيام الحجاج سنة ٧٦ هـ.
(٢) الشعائر والقربان: الذبائح التي تهدى الى البيت الحرام تقرباً الى الله تعالى.
(٣) الانيق: المتأنق المعجب بنفسه.

اذا انتجوا الحرب العوان حوارها وحنَّ شريج بالمنايا وتنصبُ[1]

يتساءل الكميت عن السبب الذي من أجله يقاتل المسلمون الخوارج ويقدمونهم قرابين فداءً للاسلام أليس من أجل إدعائهم الخلافة وقولهم بأنهم أمراء المؤمنين. وقد ابتُلي المسلمون بهؤلاء، وسوف يبتلون بغيرهم ممن يريد سلب الخلافة من أصحابها الشرعيين وهم بنو هاشم وهؤلاء يضرمون نار الحرب ضد آل النبي لقهرهم وإذلالهم ليتخلوا عن المطالبة بحقوقهم.

ويقول:

حِيالك أمراً قد اشتتْ أمورُهُ ودنيا أرى أسبابها تتقضَّبُ[2]
يرضون دين الحق صعباً مخرماً بأفواههم والرائض الدين أصعبُ[3]
إذا شرعوا يوماً على الفي فتنة طريقهم فيها عنِ الحقَّ أنكبُ[4]
رضوُا بخلافِ المهتدين وفيهمُ مخَّبأة أخرى تُصانُ وتحجبُ[5]
وإن زوَّجوا أمرين جوراً وبدعة أناخوا لأخرى ذات ودقين تخطُبُ[6]

يتحسر الكُميت على ما آل إليه أمر المسلمين من تفرق وتشتت بعد موته وارتضائهم للدنيا الزائلة بدلاً للآخرة الدائمة وذلك بإنكارهم لميراث الرسول، وتصرفهم في معاني كتاب الله، يفسرونه على ما يهوون. وهم بهذا التصرف قد ركبوا المركب الصعب، وتجشموا من الامر ما لا بد منه على مشقة منه اضطراراً إليه. وهم في إتباع أهوائهم إذا ساروا في أمر

---

(١) أنتجوا الحرب: أي أضرموا نارها، العوان البكر: الحرب الشديدة.
(٢) أشتتْ: تفرقت. وتتقضب: تتقطع.
(٣) يروضون: أي يذللون. والمخرم من الابل: الصعب الذي يذمل بالركوب.
(٤) إنكب: اي مائل.
(٥) مخبأة: ضلالة.
(٦) زوجوا: جمعوا. والجور: الظلم.

يـرغبونـه أظهـروه على خـلاف الحق حسب مـا تهـواه أنفسهم، وتميـل اليـه رغائبهم.

والمخالفون رضوا بمخالفـة المهتدين وهم النبي (ص) وأهـل بيته ومن إتبعهم، لضلالة قد خبأوها في نفوسهم لا يظهرونها.

وهم ان جمعـوا بين ما يُخفـونه من ضـلالة، ومـا يظهـرون من حرص على الاسلام جوراً وبِـدعة، لأنهم لا يستطيعـون إخفاء البِـدع الأخرى التي يروجون لها، ويجعلون لها وجهان سيء وحسن.

ويقول:

| | |
|---|---|
| ألحُّـوا ولجُّـوا في بِـعـادٍ وبـغـضَـةٍ | فقـد نشبوا في حبـل غي وأنشبـوا[1] |
| تفـرقت الـدنيـا بهم وتـعـرضت | لهم بـالنِّطاف الآجنـات فأُشـربـوا[2] |
| حنـانيك ربَّ النـاس من أن يغـرَّ بي | كـما غرَّهـم شـربُ الحيـاة المنضبُ[3] |
| إذا قيـلَ هـذا الحق لا ميـلَ دونـه | فأنقاضُهم في الحي حِسرى ولغبُ[4] |
| وإن عـرضت دون الضلالـة حـومـةٌ | أخـاضـوا اليهـا طـائعـين وأوثبـوا |
| وقـد درسـوا القـرآن وأفتلجـوا بـه | فـكلهُـمُ راضـي بـه متـحـزُّبُ[5] |

يرى الكُميت أن الكارهين لبني هـاشم الحُّوا على غيـرهم في كراهيـة آل البيت، وتنفيـر النـاس منهم. وهؤلاء تعـرضت الـدنيـا لهم فمـالـوا اليهـا وآثروها، وخالط قلوبُهُم حبُّها، ومزجوا الحلال بالحرام.

---

(١) نشبوا: علقوا. لجوا: تمادوا.

(٢) النطاف: جمع نطفة. والأجنات: جمع آجن وهو الماء المتطير.

(٣) المنضب: الذاهب.

(٤) أنقـاض: جمع نقض بـالكسر. وهـو البعير المهـزول. وحسرى جمـع حاسـر. وهو الاعياء. ولغب: جمع لاغب وهو التعب.

(٥) افتلجوا: ظفروا من الفلج وهو الظفر.

ويسأل الكُميت الله تعالى مخلصاً أن لا يجعله من هؤلاء الناس وأن لا يحيد عن طريق الحق وهو طريق آل النبي (ص) الذي حاد عنه الناكثون، وكرهوا السير فيه، بينما نراهم إذا شاهدوا ضلالة في مكان ما، خفوا مسرعين إليها، طائعين لها.

ويزعم هؤلاء الناس أنهم قرأوا القرآن، وظفروا بأحكام آياته يتظاهرون بأنهم راضون به متحزبون له، ويقول:

| | |
|---|---|
| فمن أين أو أنى وكيف ضلالُهُمُ | هدى والهدى شتَّ بهم متشعِّبُ |
| فيا موقداً ناراً لغرك ضوءها | ويا حاطباً في حبلك تحطبْ |
| ألم ترني من حب آل محمد | أروح وأغدو خائفاً أترقب |
| كأني جان محدثٌ وكأنما | بهم أتقي من خشية الغار أَجْرَبُ |
| على أي جرم أم بأية سيرة | أعنفُ في تقريظهم وأؤنب[١] |
| أناس بهم عزت قريش فأصبحوا | وفيهم خباء المكرمات المطنبُ[٢] |
| مُصَفُّون في الاحساب محضونَ نَجْرهمْ | هم المَحْض منا والصريح المهذبُ[٣] |
| خصمُّون أشراف لهاميم سادة | مطاعيم أيسار اذا الناس أجدبوا[٤] |
| إذا ما المراضيع الخماص تأوهتْ | من البرد إذ مِثلان سعدُ وعقربُ[٥] |

ويتساءل الكميت عن الوسيلة التي يستطيع بها أن يرشد الكارهين لآل محمد ويبعدهم عن ضلالهم، فلا يجد الا التحذير لهؤلاء بأن ما

(١) التقريظ: مدح الرجل حياً. وأؤنب منه التأنيب وهو التوبيخ.

(٢) المطنب: الممدود بالطنب وهي حبال الخيمة.

(٣) والنجر والنجار: الاصل والمحض الخالص مثل الصريح والاحساب: شرف الآباء ومجدهم.

(٤) الخضم الكريم: ولها ميم جمع الهموم السيد. وأيسار: أي كرام جمع يسر وهو الذي يضرب بالقدح.

(٥) المراضيع: جمع مرضع. والخماص: الجياع. وسعد وعقرب نجمان الاول طالعه سعد والآخر نحس.

يفعلونه ليس إلا لمنفعة غيرهم، أما هم فسيجازون الجزاء الأكبر على ما يصنعونه ثم يتحدث عن نفسه وعمّا يعانيه لمجرد أنه محب لآل محمد موالٍ لهم فاذا هو طريد شريد كالاجرب، أو كالذي ارتكب إثماً كبيراً ولهذا فهو خائف يترقب. ويتعجب الكُميت من تصرف الناس نحوه بهذه القسوة، وهو لم يرتكب أي جرم حتى يصنف ويوبخ. ويصف الذين يعتز بهم بأن قريش قد اعتزت بهم وأصبحوا هم الأطناب والحبال التي تقوم عليها خيم عند العرب. وهم المصفون في أحسابهم الصفاء المحض الكامل أبّاً عن جد، كرام، أشراف، سادة، يجودون على الناس في أيام العسر واليسر، يوم يجف الضرع من الامهات من شدة الجوع، وتتأوه النساء من قسوة البرد، عندها لا يجد الناس مطلقاً حسناً لهم غير بني هاشم لينقذوهم مما هم فيه، ويقول:

وحاردت النكل الجلاد ولم يكن لِعُقبة قِدْر المستعيرين مُعْقبُ[1]

وبات وليدُ الحي طيان ساغباً وكَاعبتهم ذاتُ العفاوة أسغب[2]

إذا نشأت منهم بأرض سحابة فلا النبتُ محضور ولا البرق خُلَّبُ[3]

وإن هاج نبت العلم في الناس لم نزل لهم تلعة خضراء منه ومذنبُ[4]

يكاد يموت من ألم الجوع، والمرأة قد تكعب ثدياها وهي التي كانت منعمة في عيشها، والأرض يمر بها السحاب الخالي من المطر الذي ينتفع به الزرع، وإذا أبرقت السماء كان برقها أيضاً دون نفع لأنه لا يحمل معه الغيث النافع للناس.

---

(١) حاردت: قلت البانها من شدة الزمان. والنكد: النوق الغزيرات اللبن، الجلاد: جمع جلدة وهي أدسم الابل لبناً. والعقبة: مرقة ترد في القدر المستعار.

(٢) الطيان: الجائع. وساغب: جائع. الكاعب: المرأة. العفاوة: الشيء يرفع من الطعام للجارية.

(٣) البرق الخلب: الذي لا غيث فيه.

(٤) هاج النبت: هلك.

وإذا فقد العلم في الناس ورايتهم في جهالة جهلاء نظرت الى بني هاشم فوجدتهم التلعة الخضراء التي يجد كل محتاج فيها غايته كرمهم عظيم، واذا وعدوا انجزوا، وأما العلم فلا أحد يباديهم في ذلك لأن علمهم علم النبوة.

ويقولالكميت معدداً الايمة من بني هاشم كما فعل في الهاشمية الأول مضيفاً الفضل وعبد الله ولدي العباس.

إذا ادلمست ظلماءُ أمرين جنْدس فبدر لهُمْ فيها مضيء وكوكب[1]

لهم رتب فضل على الناس كلهمْ فضائل يستعلي بها المترتب[2]

مساميحُ منهمْ قائلون مفاعل وسُّباقُ غايات الى الخير مهب[3]

أولاك نبي الله منهم وجعفر وحمزة ليث الفيلقين المجرَّبُ[4]

هُمُ ما هم وِتْراً وشفعاً لقومهمْ لفقدانهم ما يعذرُ المتحوبُ[5]

قتيل التجوبيٌ الذي استوأرت به يساق به سوقاً عنيفاً ويجنبُ[6]

يقول الكُميت: اذا اختلف الناس في أمرين كانوا هم الهُداة عند ظلام الرأي، وتحير الفكر، وما فضل على رتبتهم عند الله رتبة وإنما بفضل منزلتهم يستعلي ويشرف من يتقرب اليهم.

وهم كرام قولاً وفعلاً، ومتسابقون الى فعل الخير بكل ما يملكون من قوة وجهد.

---

(١) ادلمس الليل: اذا اشتد في ظلمته. الحندس: الظلمة.

(٢) الرتب: جمع رتبة وهي المنزلة والمكانة.

(٣) مساميح: كرام. والمسهب: الشديد الجري.

(٤) الفيلق: الجيش.

(٥) الوتر: المفرد والوتر هنا يعني النبي (ص) والشفع جعفر وحمزة. المتحدب: المتوجع.

(٦) قتيل التجوبي: يعني علي بن أبي طالب (ع) وتجوب قبيلة وهم في مراد.

ومن آل النبي الذين يذكرهم الكُميت جعفر بن أبي طالب، وحمزة بن عبد المطلب أسد الله الغالب المجرب، فالنبي (ص) هو الوتر وهؤلاء الشفعاء له، إذا ما فقدوا، فقد فقدت بفقدانهم عراة النبي (ص) وقوته، وأما قتيل التجوبي علي بن أبي طالب (ع) وهو الذي تفرع منه الأبطال، نراه يساق الى ما لا يريد، سوقاً عنيفاً ليتخلى عن حقه الشرعي الذي أعطي له من النبي (ص) بوصية من الله تعالى، ويقول:

| | |
|---|---|
| محاسن من دنيا ودينٌ كأنما | بها حلقتْ بالاسى عنقاءُ مغرب[1] |
| فنعم طبيبُ الداء من اكرامة | تواكلها ذو الطبِّ والتطبب[2] |
| ونعم وليُّ الامر بعد وليه | ومنتجع التقوى ونعم المؤدِّبُ[3] |
| سقى جرع الموت ابن عثمان بعد | ما تعاورها منه وليد ومرحب[4] |
| وشيبة قد أثوى ببدر نيوشُهُ | غُدافٌ من الشهبِ القشاعم أهدب[5] |

وآل النبي (ص) لهم محاسن من الدنيا والدين قد حلقت بها عنقاء المغرب، وهم نعم الأطباء الذين يداوون الناس من أمراضهم الدينية والدنيوية، ونعم من يسعى اليهم طلباً للتعلم والاستشفاء مما هم فيه.

ثم يثني الكميت على الامام علي (ع) ويهنئه بالولاية التي أُختيرَ إليها من الله ورسوله، ويهنىء رسول الله (ص) على عمله بتولية علي (ع) على المسلمين، وعلي هو المنتجع الذي تأوي اليه الأنفس التي أتعبتها أمور

---

(١) عنقاء المغرب: طائر خرافي عظيم.

(٢) تواكلها: يريد وكلها بعضهم الى بعض. المتطبب: الذي يطلب علم الطب.

(٣) ولي الامر: هو علي ووليه أي رسول الله (ص). الانتجاع: طلب الكلاء والغيث.

(٤) ابن عثمان: هو طلحة بن أبي طلحة بن العزي بن عثمان قتله علي (ع) يوم أحد ومعه لواء المشركين. ووليد بن عتبة بن ربيعة قتله علي (ع) أيضاً في غزوة بدر، ومرحب: اليهودي. تعاورها: تداولها.

(٥) شيبة بن ربيعة بن عبد شمس قتله علي وحمزة. وأثوى: أي أقام. القشعم: الكبير من السود والبيض، والغداف: النسر الاسود.

الدنيا فتستريح فيه، وتستمد منه القوة والعزيمة في مجابهة الأحداث، وتتسلح بالتقوى والصبر، فعلي نِعم المؤدب الذي يستحق دور التأديب والتهذيب. ولعلي مآثر أخرى تُضاف الى تقواه تتمثل بشجاعته النادرة في قتال المشركين من قريش وغيرهم، فهو الذي صرع أبطالهم وحملة أعلامهم كابن عثمان طلحة بن أبي طلحة الذي قتله الامام يوم أُحد، وكان يحمل لواء المشركين، ثم وليد بن عتبة الذي قتله الامام أيضاً يوم بدر، ثم مرحب صاحب حصن خيبر اليهودي وشيبة بن ربيعة الذي إرتمت جثته فوق الارض تنوشها الطيور من نسر أبيض الى أسود، ويقول:

له عُودٌ لا رأفة يكتنفنه     ولا شفقاً منها خوامِعُ تَعْتِبُ[1]
له سترنا بسط فكف بهذه     يُكفُّ وبالاخرى العوالي تخضَّبُ[2]
وفي حسن كانت مصادق لاسمه     رِئاب لِصدعَيْه المهيمن يَرأبُ
وحزمٌ وجود في عفافٍ ونائل     الى منصب ما مثلهُ كان مَنْصِبُ
ومن أكبر الاحداث كانت مصيبة     علينا قتيل الادعياء الملحَّبُ[3]
قتيل بجنب الطف من آل هاشم     فيا لك لحماً ليس عنه مذبَّبُ[4]
ومنعفر الخدين من آل هاشم     ألا حبذا ذاك الجبين المتَّربُ[5]

يستمر الكميت في وصف موت شيبة وكيف تتقاتل الطيور والحيوانات على جثته كل يريد أن يفتك به، ويأخذه لنفسه، فبالاضافة الى النسور التي تنهش لحمه، نجد الضِّباع أيضاً تأخذ نصيبها من تلك الجثة.

وعلي الذي قتل شيبة يحمي نفسه بسترة يلتقطها بيد، وباليد الأخرى

---

(١) العود جمع يعتدنه: يأكلن لحمه.
(٢) العوالي: جمع عالية من الرماح دون السنان.
(٣) الادعياء: جمع دعي وهو الذي ينسب الى غير أبيه.
(٤) ألطف: موضع بشط الفرات. ومذيب: مدافع.
(٥) منعفر الخدين من العفر وهو التراب.

يقاتل أعداء الدين فيضرب بالسيف، أو يطعن بالرمح. وأما الحسن بن علي فاسمه مشتق من الاحسان، فهو الذي يفعل الأعمال الحسنة من جهة، ويرأب صدع الامة بتوحيد كلمتها من جهة ثانية، وهو ذو حزم وجود وعفّة في طلب المنصب الذي هو أعلى المناصب وهي الخلافة.

وأما الحسين بن علي فكانت مصيبة قتله من أعظم المصائب التي ابتلى بها المسلمون، والذي زاد في المصيبة مقتله على يد من أبوه ابن زانية لا يعرف له أب حتى جاء معاوية فنسبه الى أبيه، قتل الحسين في ألطف بعد أن قتل معه أنصاره من بني هاشم وغيرهم حتى بقي وحيداً دون نصير، فنال الاعداء منه وقتلوه وأبقوا جثته متعفرة بالتراب، وجبينه ملطّخ بالدماء، فيا أشرف جبين لاشرف إنسان تطهرت الارض بدمائه الزكية.

قتيل كأن الولّة العُفْرَ حوله ... يطفن به ثُمَّ العرانينْ وَبْرَبُ[1]
ولن اعزُلَ العباس صنَونبينا ... وصنوانُهُ ممن أعُدَّ وأندُبُ[2]
ولا إبنية عبَد الله والفضل أنني ... حَبيبُ يُحبّ الهاشمين مصْحَبُ[3]
ولا صاحطب الخيف الطريد محمداً ... ولو أكثَر الا يعادُ بي والتَّرهُبُ[4]
مضوا سلفاً لا بُّد أنَّ مصيرنا ... اليهمْ فغاد نحوُهم متأوِّبُ[5]
كذاك المنايا لا وضيعاً رأيتها ... تخطّى ولا ذا هيبة تتهَّيبُ[6]

---

(١) الوله: جمع واله وهو الحزين. والعفر: جمع أعفر، وشم العرنين الذين في انوفهم شمم. والربرب: القطيع من البقر الوحشي.

(٢) الصنو: الأخ، المثل. الشبيه.

(٣) جنبب: أي منقاد. جنبته فهو جنيب.

(٤) محمداً: يريد محمد بن الحنفية بن علي. والحنيف ناحيته من منى. الايعاد: التهديد والاسم: الوعيد.

(٥) غاد: من الغدو وهو الذهاب صباحاً.

(٦) منايا: جمع منية الموت.

وقد غادروا فينا مصابيح أنجما     لنا ثقة أيان نخشى ونرهبُ[1]

ويصف الكميت محبي آل محمد كيف اجتمعوا حول جثة الحسين يبكينه ويندبنه، فكانت النساء وهي تطوف حوله نادبة كالأبقار الوحشية التي فقدت واحداً منها فراحت تشمه وتدور حوله حزينة عليه. ولا يبكي الكميت على الحسين المفجوع به فحسب بل يبكي أيضاً مجموعة كبيرة من بني هاشم غدر بهم فقتلوا، أو شردوا حتى لا يبقى من آل محمد أحد. ومن الذين يبكيهم : العباس بن عبد المطلب عم النبي وأبيه، وإبني العباس عبدالله والفضل هما ممن يبكيهما الكميت أيضاً لأنهما من بني هاشم.

وأما محمد بن الحنفية بن علي فهو من الذين يبكيهم الكميت أيضاً، وإن كان محمداً لم يقتل فقد كان شريداً طريداً في نواحي منى على يد عبدالله بن الزبير، فكان في ظلم طرده كالقتيل؛ فالقتيل يقتل في جسده، والطريد يقتل في روحه. هؤلاء من بني هاشم قد مضوا الى جوار ربهم يتنعمون بجنة الخلد، والشاعر يتوسل الى الله أن يلحقه بهم، ويجمعه معهم. فالموت لا بد منه فهو غير تارك لا وضيعاً لحقارته، ولا عزيزاً لهيبته.

وبذهاب الهاشميين فقدت كواكب مضيئة كانت منائر يهتدي بها الضالون عن طريق الحقيقة والدين. ولكنهم تركوا في المسلمين ذرية صالحة هي الأمل والمرتجى.

ويستمر الكميت في حديثه عن بني هاشم فيقول :

أولئك إن شطت بهم غربة النَّوى     أمانيُّ نفسي والهوى حيث يسقبُ[2]

---

(١) مصابيح : يعني ذريتهم عليهم السلام. أيان : أي حسن تخشى.
(٢) شطت : بعدت. والنوى : النية في السفر. للسقب يسقب سقوباً الشيء : قرب.

فهـل تبلغيهم عـلى بـعـد دار همْ نَعَمْ بـبـلاغ اللهِ وجنـاءُ ذِعْـلِبُ[1]
مُـذَكَّـرَةَ لا يحمـلُ السـوطَ رَبُّهـا ولْأياً من الإشفـاقِ مـا يتحصَّبُ[2]
كـأنَّ ابن آوى مـوثقٌ تحت زَوْرِهـا يـظفـرهـا طوراً وطـوراً يُنَيِّبُ[3]
إذا مـا احـزأَلَّـتْ في المنـاخ لتفتتْ بمـرعوبتيْ هـوجاء والقلبِ ارْعَبُ[4]
إذا انبعثتْ منَ قَبْـرَكِ غـادرتْ بـه ذوابـلَ صُهْبـاً لَمْ يـدِ نُهُيٌ مشْـرَبُ[5]

أولئك بنو هـاشم وإن بعدت بهم الغربـة الأبـدية في السفـر الى الله تعـالى، فإن الكميت يجعلهم في ضميـره، وأماني نفسـه في الإجتماع بهم، والمـرء مجمـوع مـع من يحب. فهـل من مبلغ لهم على بعـد المسـافـة بين الشـاعـر وبينهم بـأنـه يتـوق للسفـر إليهم، وإذا لم يكن السفـر الى الآخـرة بممكن إلا بمشيئـة الله تعـالى، فلمـاذا لا يكـون المسيـر الى من هم من ذريتهم ونسلهم، ولهـذا نرى الشـاعـر بعـد للسفـر أنشط راحلة عنـده، وهي من القـوة والنشاط بحيث لا تحيـج صاحبهـا إلى استعمال السـوط ليكـرههـا على المسيـر. بل على العكس من ذلـك نرى النـاقة تكـاد تحاول أن تـطيـر للوصـول الى من يحب، حتى أنـه كـان يخشى على نفسـه من أن يسقط من على ظهـرها. وهـذه النـاقـة تسرع في مشيهـا وكأن ابن آوى يكلمهـا بنابـه أو يخلبهـا بظفـره. وعنـدمـا تقفـز فـوق الأرض تـرعب من هـو فـوق ظهـرهـا، ويخـاف على نفسه السقـوط فالهـلاك. وهذه النـاقة قـد أجهدت في المسيـر

---

(١) الوجناء : العظمة الوجنات من التوق. والذعلب : السريعة.

(٢) مذكرة : أي شديدة تشبه الذور في خلقها وليس فيها ضعف الأنوثة.

(٣) ابن آوى : حيـوان صغير دون الكلب حجمـاً، طويـل المخالب والأظفـار. والزور. اللبان وهو الصدر.

(٤) احزألت : ارتفعت وتجافت عن الأرض. بمرعوبتي : أي بـأذني. والهوج : اتسـرع والطيش.

(٥) المبرك : مكان بروكها. وانبعثت : أي اقيمت منه. والذوابل : جمع ذبلة وهي البعر وصهب : أي شعر.

بحيث أنها لم تتمكن من الحصول على الطعام والشراب لطول المسافة التي عليها أن تقطعها للوصول الى من تحب.

ويقول:

| | |
|---|---|
| إذا اعصوصبتْ في أُنيق فكأنها | بزجْرَةِ أخرى في سواهُنَّ تُضْرَبُ[1] |
| ترى المرور والكذَّ انَ يُرفضُّ تحتها | كما ارفضَّ قيضُ الأفرخ المَتَقَوَّبُ[2] |
| تردّدُ بالنابين بعد حنينها | صريفاً كما رَدَّ الأغاني اخْطَبُ[3] |
| إذا قطعت أجواز بيد كأنما | بأعلامها نوْحُ المآلي المُسَلِّبُ[4] |
| تعرضّ قُفٌّ بعد قُفٍّ يَقُودُهَا | إلى سَبْسَب منها دياميمُ سَبْسَبُ[5] |
| إذا أنفذتْ أحضان نجد رمي بها | أخاشب شمّاً من تهامة أخشبُ[6] |

يستمر الكميت في وصف ناقته فإذا هي تتجاوب بسرعة مع كل ما يجري حولها، ولهذا تراها تنفر وتسرع لمجرد أن تسمع ناقة أخرى تضرب أو تزجر، فتحسب نفسها أنها هي التي تضرب وتزجر. وعندما تسرع تتطاير الحصى والحجارة من تحت أقدامها. كما تطير قشرة البيض عند ولادة الفرخ وخروجه منها، وهي أي الناقة تصرف فيتصاعد منها صوت أشبه ما

---

(١) اعصوصبت الإبل: اجتمعت. والأنيق: جمع ناقة.

(٢) المرو: حجارة بيض خشنة. والكذان حجارة رضوة كالدر، يرفض: يتكسر، ويتطاير. القيض: قشرة البيض. والمثقوب: المتقشر.

(٣) الصريف: صوت أنياب الناقة. واخطب طير صغير.

(٤) الأجواز: جمع جوز. المآلي: جمع مئلاة وهي الخرقة التي تشير بها النائحة إذا ناحت.

(٥) السلاب: ثياب المآتم السود.

(٥) القف: ما غلظ من الأرض وجمعه قفاق. والدياميم. جمع ديمومة الفلوات. والسبسب: ما استوى من الأرض.

(٦) أحضان: جمع حضن وهو أسفل الجبل، وأخشاب: جمع أخشب وهو ما غلظ وتحجر وخشن من الجبال. وشما: أي مرتفعة.

يكـون بصوت الـطير وهـو يغني. وعندمـا تجتاز النـاقـة البيـداء تخـرج منهـا وكـأنها أشبـه ما تكـون بالمـرأة النائمـة على فقيدهـا اللابسـة لثيـاب المـآتم السود. وفي مسيرهـا تتعرض لأنـواع مختلفة من الأرض ممـا يزيـد من تعبها ومشقـة سيرهـا. فهي تارة تجتـاز أرضاً غليـظة غيـر مستـويـة، وتـارة أخـرى القيافي القاحلة التي لا ماء فيها ولا كلأ.

وهذه الناقـة إذا ما قـدر لها أن تجتـاز أسفل جبـال نجد، رأيتهـا يرمى بها في أرض أخرى خشنة المسلك من الجبال المرتفعة.

ويقول:

كـتـومٌ إذا ضـجَّ المـطيُّ كـأنمـا ... تكـرَّمُ عَنْ أخـلاقِهِنَّ وتـرغـبُ[1]

مـن الأرحبيـات الـعـتـاق كـأنها ... شبوب صوار فـوق علياء مَرْهبُ[2]

لَيَـاحٌ كـأن بـالأَ تحميـة مسْبُـغٌ ... إزاراً وفي قـبـطيـةٍ تـتـجـلبـبُ[3]

وتحسُـبـهُ ذا بـرقُـعٍ وكـأنـه ... بـأشَمـالِ جِيْشـانيَّـةِ متنقبُ[4]

تَـضَيَّـفـهُ تحت الألاءة مُـوهـنـاً ... بظلماءَ فيها الـرَّعْدُ والبـرق صَيّبُ[5]

مَـلِثٌ مُـرِثٌّ يخـفشِ الأكم وَدْقَهَ ... شـآبيب منهـا وادِقـاتٌ وَهَيْـدَبُ[6]

---

(١) تكرم: أي تتكرم.

(٢) الأرحبيات: النجـائب من الإبـل. العنـاق جمـع عنيق وهـو الكريم من كل شيء، والشبوب والشبب هو الشاب من الثيران. والصوار: القطيع من البقر. والقـرهب: الكبير الضخم من الثيران.

(٣) لياح بالفتح والكسر: الثور الأبيض. والأتحمية: ضـرب من برود اليمن. ومسبـغ. أي قد أسبغ عليه إزاراً. والقبطية: ثوب أبيض تتخـذ من كتان بمصـر. ومتجلبب: لابس الجلباب وهو القميص.

(٤) الأسمال: جمع سمل وهي الثياب الخلقة. وجيشانية: أي ثياب حمر في بياض.

(٥) الألاة: شجرة. والموهن: من الـوهن وهو التعب. والصيب: السحـاب الذي فيـه مطر.

(٦) الملث: المطر الغزيـر. ويخفش: يسيل. والـودق: المطر. والأكم: جمـع أكمة

يتحدث الكميت عن ناقته وكأنه لا يشبع من الحديث عن أوصافها كل ذلك يبين مقدار ما يبذله من جهد هو وهي للوصول الى بني هاشم. فيقول عنها : أنها لقوتها وسرعتها لا تضجر فلا ترغي ولا تزبد، وهي تتكرم بهذا العمل كأنها تترفع عن أن تكون مثل المطايا.

وهذه الناقة أصيلة من الإبل النجائب الكرام، وهي إذا ما شبهت فخير ما تشبه به لسرعتها وقوتها بالثور الشاب من الأبقار الوحشية وهو يعدو في المرتفع من الأرض.

وهذا الثور أبيض اللون وكأنه قد ارتدى ثوباً يمنياً قد أسبغ عليه إزاراً، أو تجلبب بثوب صنع من كتان مصر. أو إذا نظرت إليه حسبته ذا برقع أو ملتف في ثياب بيضاء خلقه لأنها مزيج من االأبيض والأحمر. وهذا الثور التجأ إلى شجرة يحتمي بها بعد أن أوهنه المسير وليتقي المطر الغزير والبرق والرعد الهاطل من السحاب الأسود المظلم.

ويقول :

| | |
|---|---|
| كأن المطافيلَ المواليه وسطه | يجاوُبُهن الخيزرانُ المثقَّبُ(١) |
| يكاليءُ من ظلماء ديجُور حِنْدِسٍ | إذا سار فيها غيهبُ حَلّ غيهبُ(٢) |
| فباكرة والشمس لم يبدُ قرنها | بأخوانه المستولفات المُكِّلبُ(٣) |

---

وهي التلال. وشآبيب جمع شؤبوب الدفعة من المطر. والهيدب : المتداني من السحاب.

(١) المطافيل : الإبل التي معها أولادها جمع مطفل. والمواليه : جمع ميلاه وهي التي من عادتها أن يشتد وجدها على ولدها. الخيزران : نبات لين القضبان . والمثقب : المجوف.

(٢) يكاليء : يراقب. والديجور : الظلمة. والحندس : شدة الظلمة. والغيهب : شدة سواد الليل.

(٣) المكلب : الذي يعلم الكلاب الصيد. الأخدان : جمع خدن القرين. والمستولغات : الكلاب التي تلغ في الدماء.

مجـازيـع في فقـر مسـاريف في غنىً سـوابح تـطفـوا تـارة ثم تـرسـبُ[1]
فكـأن أدراكـاً واعتـراكـاً كـأنـه عـلى دُبُـر يحميـه غيـرانُ مـوأَبُ[2]

ويصف الكميت حالة المطر المتساقط والرعد وسطه بالإبـل التي تحن إلى صغـارها وضجيجهـا كأنـه أصوات المـزامير، تحت الشجـرة راح يراقب ثور البقر الوحشي في الظلمة التي اشتدت من تكاثف الغيـوم ، وكـلمـا ازداد تكـاثفها كلمـا ازدادت الظلمـة، فكـانت ظلمـة الليـل تشتـد سـواداً بـظلمـة المطر، فتتداخل ظلمة في ظلمة، مما يضاعف من انعدام الرؤية.

وما أن جاء النهار وطلعت الشمس حتى وجد نفسـه في بلاء أعـظم من بلائه الأول، فقد داهمه المكلب بكـلابه التي دربهـا على الصيد. وأصبحت ماهرة فيه شرسة. راحت الكلاب تعـدو خلف الثور الـوحشي بسرعـة وكأنهـا تسبح في الفضاء، ثم تنخفض لتلامس الأرض، تحاول إدراكـه وعندا تصـل إليه ينشب بينهما الصراع، الكلاب تحـاول أن تنهشه من دبـره، فيلتفت إليها لينطحها بقرنيه وكـأنه أشبـه ما يكـون بمن أصابـه العار أو الغيـرة في عرضـه فراح يدافع عنه.

ويقول :

يـذودُ بسحمـاويـه من ضـاريـاتهـا مـداقيعَ لم يغثْ عليهن مكَسبُ[3]

---

(١) مجازيع : أي تجـزع عند شـدة الفقر. ومسـاريف : أي تسرف في الـطعام من غيـر تدبير عند كثرة الخير. وسوابح : من السبح وهو الجري. تطفو : أي ترتفع كأنها لا تعدو على الأرض. وترسب : تثبت.

(٢) إدراكـاً : أي يـدرك بعضهـا بعضـاً. والإعتـراك : الإزدحـام. مـوأب : أي غضبـان منقبض من الوأب وهو الإستحياء.

(٣) يذود : يدافع عن نفسه. سمحاوية من السمحة وهي السواد. والضاربات : الكلاب المدربة.

فـرابٍ فكـابٍ خـرٌّ للوجـه فـوقَـهُ جَـدِّية أوداج عـلى النحـر تشْخُبُ[1]
أذلـكَ لابـلْ تلْكَ غِبٌّ وَجيفـهـا إذا ما أكلَّ الصَّارِخـونَ وانقبـوا[2]
كـأنَّ حصى المعزاء بـين فروجهـا نـو ى الرضخ يلقى المَصْعِدَ المُتَصَوِّبُ[3]
إذا ما قضت من أهل يثـرب موعـداً فمكَّـةُ مـن أوطـانها والمُحَـصَّبُ[4]

يستمـر الكميت في وصف الصـراع بين ثـور البقـر الـوحشي وبين الكـلاب المدربـة على الصعيـد، وكيف راح ذلـك الثـور يـدافـع عن نفسـه بقـرنيه السـوداوين، ولكنه أخيـراً ينهار أمـام القوة التي تقـاتله فيقـع فـريسـة للصـائدين ولكـلابهم وبعد أن يكب على وجهـه وتوثق يـداه ورجلاه ويـذبح فتسيـل دماؤه، وتشخب أوداجـه. والفرق بين ذلـك الثور القـوي والسـريـع، وبين ناقة الكميت شاسع وبعيد؛ فأما هو فقـد انهارت مقـاومته، ولم يتحمـل عناء العدو أمام صائديه فوقع أرضاً وبوقوعه انتهت حيـاته، أمـا الناقـة، فإنهـا تتحمل ما لا يتحمله سواها من الآبـل، ففي الوقت الـذي تعلو فيه صيحـات السـائقين على النوق تحثهـا على المسير، نجـد ناقـة الكميت تثب وثباً دون حاجة إلى الضرب بالسيـاط. أو التحذيـر بالصراخ. ومن شدة سـرعة النـاقة راحت الحصى تتطاير من بين قوائمها. وهذه الحصى لو أصـابت قوائم غيـرها من الإبل لكسرتها. أما هي فلا يصيبها أي مكروه.

كل هذه الجهد، وذلك العناء من الناقـة وصاحبهـا له هـدف واحد هـو الوصول الى أهل يثرب للإلتقاء معهم، وكـأن موعـداً قد ضـرب بين الكميت

---

(١) راب : من ربا يربـو والربـو : البهر وانتفـاخ الجوف من التهيـج. وكاب : أي سقط على وجهه. والجدية : الدم السائل. والأوداج : عروق تكتنف الحلقوم.
(٢) الغِبُّ : ج. أغباب مصد عبٌّ. العاقبة : الأمور انتهت الى أواخرها. وجف بجف : القلب اضطرب.
(٣) المضرار : أرض فيها حصى صغار. الرضخ : الدق والكسر.
(٤) المحصب : موضع رمي الحجار.

وبينهم، وإذا ما قضى من يثرب موعداً فله مع أهل مكة والمحصب موعداً آخر.

يمكن تلخيص هاشمية الكميت الثانية تحت النقاط التالية :

**أولاً** : التوجه الكامل من قبل الكميت إلى آل الرسول (ص) الذين شغل بهم عمن سواهم ، فهو موالٍ لهم موالاة العقائدي الذي يصرف كل وقته وفكره لنصرة عقيدته .

**ثانياً** : التركيز على صفات آل البيت وتعداد بعض هذه الصفات التي تؤهلهم هم وحدهم لقيادة المسلمين وليس سواهم .

**ثالثاً** : الحديث عن مشكلة الخلافة وإلاجتهادات التي دارت حول هذه القضية ، وكيف يقف الكميت من هذه القضية موقف المحامي البارع المدافع عن حقوق الهاشميين ، وذم من اغتصب الخلافة وتأليب الناس عليهم لانتزاعها منهم .

**رابعاً** : حديثه عن التضحيات التي قام بها بنو هاشم لنصرة الدين ، وكيف أنهم تساقطوا واحداً بعد آخر قتلى وشهداء للدفاع عن الدين الجديد ، ومع هذا فقد هضمت حقوقهم واغتصبت مكاسبهم من أناس لم يدخلوا الإسلام إلَّا حباً بالسيطرة والجاه ، لا إيماناً بالعقيدة الجديدة .

**خامساً** : حديثه عن ناقته وعن سفره المضني الشاق للوصول إلى آل النبي والتبرك بمصافحتهم والحديث إليهم .

هذا ما أتى به الكميت في هاشميته الثانية فهل هناك أشياء استحدثها على الهاشمية الأولى سنرى ذلك بالرجوع الى الهاشمية الأولى، ومقارنتها بالهاشمية الثانية.

إن معظم ما ذكره الكميت في هاشميته الأولى قد أتى على ذكرها

في الهاشمية الثانية اللهم إلا قضية الخلافة، فهو وإن ذكر بعض الخلفاء الأمويين في الهاشمية الأولى يبين طغيانهم وجورهم على الرعية كعبد الملك، والوليد، وسليمان، وهشام، فإنه لم يعالج قضية الخلافة معالجة مستفيضة ووافية، ذاكراً الأدلة والبراهين على أحقية بني هاشم فيها إلا في الهاشمية الثانية، ومعنى هذا ان الكميت قد استحدث أشياء جديدة في هاشميته الثانية وهي مناقشته لقضية الخلافة، ثم نراه يذكر بعض أقرباء الرسول ممن لم يأتِ على ذكرهم في الهاشمية الأولى أعني بهم عبد الله والفضل ابنا العباس بن عبد المطلب.

أما من حيث الصياغة البنوية للهاشمية الثانية، فإننا نرى الكميت وكأنه قد لبس جلد الشاعر الجاهلي، وراح يسبح في خياله، وينطق بلغته، ويصف ما يقع تحت عينه.

خذ مثلاً تلك اللوحة التي يصف لنا فيها الثور الوحشي كيف أدركته الامطار العاصفة والرياح العاتية فلم يجد إلا شجرة يلتجىء اليها لتقيه من البرد، وعندما أدركه الصباح كانت كلاب الصائدين في انتظاره فدارت معركة دامية بينه وبينها انتهت بانهيار الثور ثم ذبحه على يد الصيادين، كما نجد لوحة أخرى يصف فيها الشاعر ناقته وهي تضرب في الصحراء وكيف تتطاير الحصى من تحت أقدامها فتلتطم ببطنها لسرعة سيرها، ووصفه للمطر الذي لحقَ بهم عند المسير، وكيف ناموا على مطيهم بعض آناء الليل ليرتاحوا، ثم أكملوا سيرهم.

## ميزات الهاشمية الثانية :

الشاعر يبدأ هاشميته بوصف حالته التي ينتابها الطرب ليس لملاقاة البيض الحِسان ليلعب معهنَّ ويلهو، ولا لرؤية دار قد هجره ثم عاد إليه. ولا هو ممن يتفاءلون أو يتشاءمون بزجر الطير كما فعل الجاهليون، ولا إلى

السانحات البارحات عشية، ولكن الى أهل الفضائل والنهي، وخير بني حواء. الى النفر البيض الذين يحبهم الله، ويتقرب اليه تعالى بفضلهم. من هم هؤلاء الذين يتحدث عنهم الشاعر؟! إنهم بنو هاشم رهط النبي الذين بهم ولهم يرضى مراراً ويغضب، وهو يخفض لهم جناح الذل، والمودة، والعطف. ويقابلهم على الرحب والسعة، ويدافع عنهم بلسانه، ويجعله كالمجن والترس ليردّ عنهم شر الأعداء من الخوارج وغيرهم، ويعادي من يعاديهم، فيتعرض من أجل ذلك للأذى من أخصامهم، وكارهيهم، ومع ذلك فهو لا يبالي بما يحدث له.

ثم يخاطب الشاعر الذين أصابهم العمى، فتركوا الحق بمعاداة أهل البيت، واتّبعوا الباطل بمناصرة خصومهم، ويسأل المضللين، كيف يحق لهم أن يروا الجور سائداً ولا يحاربوه، والعدل مهضوماً فلا يناصروه، ويتساءل عن الكتاب أو السنة التي نصّت على أن حبهم عار. ويبشّر الذين تخلوا عنهم، وناصبوهم العداوة، بأنهم سيقرعون أسنانهم ندماً لمخاصمتهم لأهل البيت يوم لا ينفع الندم.

ويقر الشاعر صراحة بأنه شخصياً ليس له إلا آل أحمد شيعة، وما له إلا طريق الحق متبعاً. ويتعجب من نفسه؟ وهل هناك في الأرض من هو أحق منهم بالموالاة. ويعترف الشاعر أن قلبه ظمآن عطشاً لرؤيتهم، وأنه يتجنب كل أمر يكرهونه قولاً وفعلاً. ثم ينتقل الشاعر الى الحديث عن نفسه وأعدائه، وكيف يشيرون اليه بالأيدي كرهاً وبغضاً، وينعتونه بالمسيء والمذنب، وأحياناً بالتكفير. ويصفونه بالترابي لأنه يحب أبا تراب (علي بن أبي طالب) وهو يفتخر بتلك الصفة، ويتمسك بها ولو اجتمعوا عليه وتآلبوا كما يتحمل أحقاد الأقارب.

وينتقل الشاعر الى الحديث عن الخلافة، وأن أهل البيت هم أحق الناس بها وأنها اغْتُصبت منهم جوراً وعدواناً، وتولاها الأمويون من قريش، وهؤلاء ان خضع الناس اليهم في البيعة الاولى، فإنهم سيخضعون لهم في

البيعة الثانيةوغيرها بحيث أنها تصبح ملكاً لهم يتوارثونهـا واحداً بعـد الآخر. وهؤلاء النـاس لهم سياسـة معروفـة هي: أن يسوسـوا رعيتهم بالـظلم والقهر دون اعتبـار للعدل، أو المسـاواة، ويزعم هؤلاء أن الخـلافة ورثـوها أبّـاً عن أمّاً وهذا كذب وافتراء. والناس تعرف جميعـاً ان الحق هو حق بني هـاشم: فهم أولاً من نســل النبي، أو من عشيـرتـه، النبي الـذي دان لـه الشــرق والغـرب. والشـاعـر يفـدي هؤلاء بـأهله وبنفسـه، لمـاذا لأنـه بهم اجتمعت الأمـة بعـد تشتت وضيـاع تحت رايـة الاســلام الـذي بنى للعـرب المجـد والسنـاء والـرفعـة، فبُـورِكَ النبي الــذي بفضله تحقق هـذا كله. ويتسـاءل الكميت متعجبـاً؟ لمـاذا يحق لبني أميـة وغيـرهـم أن يـورثـوا، ولا يحق لآل النبي أن يورثوه من بعـده، وهل كـان لبني أمية وغيـرهـم من قيمة ووجود لولا النبي وتـراثـه الـذي تـركـه، ولمـاذا يحق لهم هم الخـلافـة، ولا تحق في غيرهم من القبائـل كبكيل، وأرحب، وعـك ولخم وغيرهـا، ولماذا لا تكـون للأنصار الذين قاتلوا مـع النبي في بدر وخيْبـر ويوم حنين، حيثـوا أبلوا البلاء الحسن في دحـر المشركين وقتلهم. وإذا كـان الأمـويـون وغيـرهـم اغتصبـوا الحق من بني هـاشم، فلماذا يقـاتـل المسلمـون الخـوارج الـذين يـطالبـون بـالحكم كغيرهم، أفليس هم في طلبهم وخـروجهم كخـروج الأمـويين على الحق المغتصب.

إن الـذين ينكرون ميـراث الرسـول ينصـرفـون في معـاني كتـاب الله، ويفسـرون نصوصـه على حسب مـا يهـوون ويـرغبـون، فهم أصحـاب بـدع ينتـقلون مـن بـدعــة الى أخــرى، والـشــاعــر يــأول على نـفســه أمــام الرسول (ص) بأنه لن يقـع في الضلالـة كما وقـع فيها غيـره، وسيبقى مواليـاً لآل النبي مـا دام حيّـاً، وهـو يعلم مـا سيكلفــه ذلـك من إيــذاء أعـدائــه، وبغضهم وعـزلهم لـه، حتى كـأنـه أجـرب. ويتسـاءل عن السبب الـذي من أجله يصنـع بـه هكـذا، اللهم إلا لأنـه محب لآل محمـد الـذين بهم عـزت قـريش، وجعل الحكم فيهـا، وهؤلاء سادة، كـرام، أشراف، يعـطفون على

الناس عند الحاجة، فهم أشبه ما يكونون بـالمطر الـذي يتساقط على الأرض فتنتعش بـه، وهم أيضـاً يتنفس بفضلهم النـاس. أمـا في الـذود عن الـدين فشجعان يتقدمـون الجيوش دون خـوف من موت، أو وجـل من طعان. منهم جعفـر الـطيـار ذو الجنـاحين والحمـزة أسـد الله وعلي بن أبي طـالب. قُتـل هؤلاء دفـاعاً عن الـدين، ومنهم قبل أن يُقتـل أُهينت كرامتـه واغتُصب حقه. خـاض هؤلاء حربـاً ضد المشـركين والناكثين ولهم مـع هؤلاء مـواقـع كثيـرة قتلوا خلالها سادة القبائـل وزعمائهـا وأبطالهـا منهم: طلحة بن عثمـان الذي قتله علي بن أبي طالب ووليد بن عتبـة قتله علي أيضاً، وشيبـة بن ربيعة قتله علي والحمـزة، ومرحب اليهـودي قتله علي. ثم يتحدث الشـاعر عن سلسلة المـآسي التي نـزلت على بني هـاشم حتى أهلكت منهم الكثيـر من الأبـطال الشجعان الأتقياء، كمقتل علي (ع) وتسميم ولده الحسن وفضل ومقتل ولـده الحسين في كربلاء، كذلك مقتل جعفر الطيار، والحمـزة بن عبد المـطلب، ومـوت العباس بن عبـد المـطلب، وإبنيـه عبـد الله والفضـل، ثم محمـد بن الحنفيـة بن علي الـطريـد الشـريـد المهـروق دمـه. هؤلاء وغيـرهم عـاشـوا مظلومين من أناس لا يعرف الايمان قلوبهم.

وأمـا اللغة فـإنه عجيب في اختيـار ألفاظهـا، فالألفـاظ جـاءت بـدويـة صعبة الفهم ملائمـة للمعنى. والصور البيـانية جـاءت في معظمهـا تشبيهات اللهم إلا بعض الاستعارات كما في قوله:

حنـانيك ربُّ النـاس من أن يغـرَّ بي     كـما غـرَّهُمْ شـرب الحيـاة المنضب

فقد شخص الحياة واستعار لها الماء لتشرب، وقوله:

خِضمُّـونَ أشـراف لهـا ميمُ سـادة     مـطاعيم أيساراً إذا النـاس أجـدبـوا

استعار الجدب للناس للدل على أفعالهم، وقوله:

وإن هاج نبت العلم في الناس لم تزل     لهم تلعـة خضـراء منـه ومـذنب

استعار للعلم النبت وهو هنا بمعنى الكلام.

وفي البيت الأول تجد التصريح. حيث جانس الشاعر بين شطري البيت الواحد

ويلون الشاعر هاشميته بألوان الجِناس كقوله:

نقتلهم جيلاً فجيلاً نراهم     شعائر قربان بهم يتقرب

ففي البيت جِناس بين قربان ويتقرب، وقوله:

محاسن من دنيا ودين كأنما     بها حلقت بالأمسِ عنقاءُ مُغْرِبُ

جِناس بين دنيا ودين، وقوله:

فراب فكاب خر للوجه فوقه     جدية أو داج على النحر تشخب

جانس بين راب وكاب

والطِّباق بين واضح في الأبيات وعلى سبيل المثال قوله:

فقل للذي في ظل عمياء جونة     ترى الجور عدلاً أين لا أين تذهب

طابق بين الجور والعدل، وقوله:

وقالوا ورثناها أبانا وأمنا     وما ورثتهم ذاك أم ولا أب

طابق بين ورثناها وما ورثتهم، وقوله:

ولكن مواريث ابن آمنة الذي     به دان شرقي لكم ومغرب

بين شرقي ومغرب طباق.

وهكذا، غير أن ما يلفت النظر في الهاشمية الثانية، وما لم نجده في الهاشمية الأولى هو حديثه عن الاسلام وانتمائه الى هذا الدين، وان حبه لآل محمد جاء ليس مستقلاً، بل كجزء من حب الاسلام اذ لولا الاسلام لما كان ذلك الحب بينه وبينهم.

بقي سؤال لا بد أن نسأله لأنفسنا ونجد جواباً عليه، والسؤال هو هل ارتقى الكميت في هذه الهاشمية الثانية من مستوى المدح المتعارف عليه في وصف خصال الممدوح الى ما هو أعمق من ذلك في وصف

خصوصيات آل البيت، من زهد وتُقى وتنسك وقيام الليل للصلاة والتهجد، ووعظ الناس ومناظرتهم، وطرق العيش عندهم، ومسلكهم التربوي. إن من كل هذا لا نجد الا استخدامه لكلمة آمين الله في مدحه للنبي وكلمة المهتدين ومنتجع التقوى في وصف علي (ع) ونعم المؤدب وأنهم مصابيح الدجى أيان نخشى ونرهب.

وينهي الشاعر هاشميته الثانية بالوصول الى يثرب ثم انتقاله الى مكة فقد عرفنا الغاية من ذهابه الى مكة وهي الحج والعُمرة أما ماذا فعل في يثرب ومن زار هناك وكيف كانت تلك الزيارة فهذا سر لم يبحْ به الكميت ولم نعرف عنه شيئاً.

وهذا عمل نسجله على الكميت ونجعله تقصيراً كان عليه أن يتلافاه لأنه جوهر القضية وهدفها الأول والأخير، فماذا يهمنا أن نعرف معاناته هو وناقته للوصول الى المدينة. وما يهمنا أن يصف لنا الثور الوحشي وصراعه مع الصائدين، ان كل ما يهمنا هو النتيجة التي وصل اليها الكميت بعد تلك الرحلة الطويلة، وهل كانت تلك النتيجة على مستوى الجهد والعناء المبذولينْ. فهنا كان من وصف لذة النصر التي حققها الشاعر بالوصول الى من يحب بعد تلك المعاناة الشاقة التي عاناها من برد وقلة زاد، وطول مسافة، وأرض موحشة ووعرة سلكها. إن وصف المعاناة كان جيداً، ولكن وصف النتيجة كان معدوماً، لا يليق ولا يتساوى مع المعاناة.

## الهاشمية الثالثة

تتناول هذه الهاشمية موضوعين بارزين هما:

١) اهتمام الشاعر ببني هاشم

٢) الحديث عن نفسه وعن ناقته، وما عاناه هو وهي من مشاق السفر للوصول الى من يحب

يقول الكميت في معالجته للموضوع الأول:

أنى ومن أين آبك الطربُ ... من حيث لا صبوةٌ ولا ريبُ[1]
لا من طلّاب المحجباتِ إذا ... أُلقيَ دون المعاصر الحُجُبُ[2]
ولا حمول غدتْ ولا دِمَنٍ ... مرَّ لها بعد حقبة حِقَبُ[3]
ولم تهجني الظوائر في المنزل القفـ ... ـر بُروكاً ومالها رَكَبُ[4]
جُرْدٌ جلالٌ معطفات على الـ ... أوْرَق لا رجعةٌ ولا جَلَبُ[5]
ولا مخاض ولا عِشَارٌ مطا ... فيلُ ولا قُرح ولا تسُّلبُ[6]

يتساءل الشاعر مستعجباً من مصدر السرور الذي يشعر به وهو الذي لم يعشق ولم يصب من الدهر لما يسر. فطربه اذن لا من الفتيات اللواتي أدركن الحيض، أو من النساء المخدرات في الهوادج، أو الحبيبات الضاعنات اللآئي لم يتركن من آثارهن الا الدمن. ولم يهيج شعوره أيضاً أثافي القدر التي ليس لها أرجل. لا الأثافي الجرد ولا الرماد الذي هو أثر

---

(١) آبك الطرب: أي رجع اليك. والطرب: خفة تلحق الانسان من حزن أو فرح. والصبوة: جهل الفتوة واللهو من الغزل. والريب: صروف الدهر.
(٢) المعاصر والمعاصير: جمع معصر التي أدركت وقاربت الحيض.
(٣) الحمول: الهوادج كانت فيها النساء أو لم تكن. والدمن: جمع دمنة وهي آثار الناس.
(٤) الظوائر: جمع ظئر. العاطفة من المرضعة على غير ولدها. والظوائر هنا بمعنى أثافي القدر شبهت بالابل لتعطفها حول الرمال. ومالها ركب: أي أرجل.
(٥) جرد: أي الأثافي. أجمع أجرد، لا وبر عليها ولا شعر. والجلّاد الواحد جلد والواحدة جلدة. أي أشداء أقوياء على التشبيه بالابل. والأورق الذي لونه بين السواد والغبرة يريد بها الرمال. والرجعة بالفتح والكسر، إبل تشتريها الاعراب ليست من نتاجهم.
(٦) المخاض: الحوامل من الابل وأحدثها خلفة على خير قياس ولا واحد لها من لفظها. مطافيل: جمع مطفال ذوات الاطفال. والقروح جمع قارح وهي التي استبان حملها، والسلب: جمع سالب التي تلقي ولدها لغير تمام.

من آثار الأحبة، ولا الإبل التي تُباع وتشترى. ولا الحوامل من الإبل، أو ذات العشار، أو ذات الأطفال، أو ذات الحمل، أو من وضعت حملها قبل أوانه.

ويقول:

| | |
|---|---|
| ما لي في الدار بعد ساكنها | ولو تذكرت أهلها آرب[١] |
| لا الدار ردت جواب سائلها | ولا بكت أهْلِها إذا اغتربوا |
| يا باكي التلعة القفار وَلَمْ | تبْك عليه التلاعُ والرُّحَبُ[٢] |
| أبْرِحْ بمن كَلَّفَ الديار وما | تَزْعُمُ فيه الشواحجُ النُّعُبُ[٣] |
| هذا ثَنائي على الديار وقَدْ | تأخُذُ مني الديَارُ والنَّسبُ[٤] |
| وَاطلب الشأوَ من نوازِعِ الـ | لَّهْوِ والقى الصِّبا فنصطحبُ[٥] |
| واشغُلُ الفارغات من أعين الـ | بيضِ ويسلبنني واسْتلِبُ[٦] |

يقول: أنه لا حاجة له ولا قصد في الدار التي يحدث عنها، والتي فقدت ساكنيها بالضغون عنها فهذه الديار عندما سألتها عن أهلها وأين ذهبوا، لم تردّ جواباً، ولم يظهر عليها التأثر من ذلك الفراق. فيا أيها الذي تبكي تلك الديار، ولمَ تبكِ عليك، أليس أمرك هذا يثير العجب عندما تزعم أنها حزينة عليك. فالديار لا تحزن على من يهجرها، وتحب من يعمرها، بالسكن فيها، ولهذا يثني الشاعر على الديار وعلى من يسكن فيها من الأحبة، وهؤلاء سلبوا منه نفسه في هواه اليهم، وهو يطلب السباق الى

---

(١) الأرب: الحاجة.

(٢) التلعة: ما ارتفع من مجاري الماء. والتلاع: جمع تلعة وهي الربوة من الارض. والرحب: جمع رحبة وهي ما اتسع من الأرض مثل قرية وقرى.

(٣) أبرح: أي أعظم به وأعجب به.

(٤) النسيب: وهو رقيق الشعر في النساء ولهذا يقال نسب بها.

(٥) الشأو: السبق. نوازع اللهو، أي التي تميل الى اللهو وتنزع اليه.

(٦) الفارغات: اللواتي لا أزواج لهن. وأبيض جمع بيضاء وهي النساء الحِسان،

نـوازع اللهو واللقـاء بالصبـا فيصطحبـا، وينشغل بـاللواتي لا أزواج لهن من البيضِ الحسان اللواتي هنَّ من خيرة النساء.

ويقول :

| | |
|---|---|
| إذْ لـمتـي جثـلة أكـفثـهـا | يضحك مني الغواني العجبُ[1] |
| وصـرت عمَّ الفتـاة تنثب الـ | ـكـاعب من رؤيـتي وأتئـب[2] |
| فـاعـتتب الشـوق عـن فؤادي | والشعـر إلى من إليـه معتتبُ[3] |

يقـول الشـاعـر: اذا رأين الغـواني تسـريـح شعـري الى مـا وراء أذني أعجبهن شبـابي، وقابلنني بـالضحـك. ورحن ينـادينني بـالعم، وصـرت اذا نـظرت الى إحداهن راحت تستحي مني لكبـر سني، واستحي منها. ورحت أعتتب الشـوق، وانصـرف الى غيـره، لأن زمن الحب والنسيب قد فـاتني وانصرف عني.

ويقول:

| | |
|---|---|
| الى الـسـراج المـنـير أحمـد لا | يَـعْـدِلُـني رْغـبَـةٌ ولا رَهَـبُ[4] |
| عـنـه الى غـيـره ولـو رفـع الـنـ | ـاسِ الى الـعـيـون وارتـقـبـوا[5] |
| وقيـل أفـرطت بَـلْ قصـدت وَلَـوْ | عـنـفـني الـقـائـلون أو ثَـلَبـوا[6] |

---

(١) اللمـة: الشعر يجـاوز شحمة الأذن. وجثله أي كثيـرة الشعـر، وأكفثهـا: أي أقلبهـا وأسرحها.

(٢) تنثب: تستحي.

(٣) اعتتب الشوق: انصرف.

(٤) لا يعدلني: أي يحولني ولا يصرفني.

(٥) رفع الناس الي العيون: أي وعدوني. وارتقبوا: أي ارتقبوا لي الشر.

(٦) أفرطت: غاليت في محبتهم، وقصدت: أي اعتدلت في محبتهم، عنّفني: أي أكثر من لومي، ثلبوا: أي عابوا.

اليـــك يـــا خـيْرَ من تـضـمـنـت الـ أرض وان عـــاب قـــولي الـعَيْـبُ[1]
لـــج بـتـفـضـيـلك الـلـســـان ولـــو أكـــثر منـــك الضَّجـــاجُ واللجبُ[2]
أنت المصـــطفى المهـذّب المحض فـ ـي النسْبة ان نصَّ قومـك النسبُ[3]
أكـــرم عـــيـــدانـــنـــا وأطـــيـــبـــهـــا عُـــودُك عـودُ النُّضـــارِ لا الغَـــرَبُ[4]

يقول الشاعر أن شوقه وحبه مـوجّه كله الى السـراج المنير أحمـد النبي المصطفى، ولا يحوله ولا يصرفه عن ذلك الشـوق رغبة في مـال، أو رهبـة أو خوف الى غيره، ولو أوعده النـاس الشر بـه، ينتقده النـاس بأنـه قد غـالى في حب محمـد وآلـه، وأنـه لـو اعتـدل في ذلـك الحب لكـان خيـراً لـه، ويصمم الشـاعر رغم إكثـار الناس في لـومه ومعـابـاتـه على أن يـرفـع ثنـاءه وولاءه، وإخلاصه لآل النبي، وان عيب على ذلك حسداً وغيظاً.

واللســان دائمـاً يعبـر عمـا في القلب، ولهـذا تـراه يلجّ بتفضيـل النبي وآلـه رغم الضجيج والصيـاح استنكـاراً لـذلـك. بمحمد المصطفى المهذب النقي من العيـوب والى ذلـك نصت الاحـاديث عن نسبـه وقـومـه. وهـو من الشجرة المباركة وأسرته من أكرم عيدانها وأطيبها عود النبي (ص).

ويقول:

مـــا بـــين حـــوائـــر ان نُـسِبـتْ الى آمِـنــة أعْـتـم بـنـتـك الهَـدَبُ[5]

---

(١) يعني النبي (ص) اليه يرفع ثناءه، وولاءه، واخلاصه.

(٢) الضجاج والضجيج واحد. لج: أي تمادى.

(٣) المصفّى: المهذب النقي من العيوب.

(٤) الغرب والنضار: ضربان من الشجر تعمل منهما الاقداح والنضار من أجود الأخشاب التي تتخذ منها الاقداح.

(٥) آمنة: والدة النبي (ص). واعتم البنت: اذا طـال وكثُف. والهدب: الكثير الـورق والغصون.

قـرن فقـرن تنـاسخـوك لـك الـ قضيـة منهـا بيضـاء والـذهب[1]
حـتى عـلا بيتُـك المهـذَّب مِنْ خِنْدف علياء تحتهـا الـعـرب[2]
والـسـابق الـصـادق المـوفـق والـ خـاتـم لـلأنـبـيـاء اذْ ذهـبـوا
والحـاشِرُ الآخِـرُ المـصـدقُ لـلـ أول فـيـها تـنـاسَـخَ الـكُـتُـبُ[3]
مـبـشِّـراً مـنـذراً ضـيـاء بـه أنـكـر فيـنـا الـدوارُ والنُّصبُ[4]
من بعـدِ اذ نحن عـاكـفـون لهـا بـالعِـتْرِ تلك المناسِـكُ الخيب[5]

يقول الشاعر: أن بنت الرسول (ص) قد أعتم ما بين حواء الى آمنة، وصار متصلاً حائلاً ما بينهما.

والنبي تنقـل في الارحـام الـطاهـرة من حـواء الى ان ولـدتـه آمنـة (رض) ، دون أن يختلط بشيء يفسـده. والنبي (ص) فـوق العـرب جميعاً وهو في الـذروة العُليا من الشـرف، وهو يصـدق من سبقه من الانبياء لأن رسالته مكمّلة لـرسائلهم، وهـو خاتمهم، وهـو الذي يحشـر النـاس من خلفه وعلى ملته. بشَّر بالحق فأضاءت رسالته الهُـدى وأطفأت مـا كان قبلهـا من عبـادات كالاصنـام يـدورون حـولهـا، كضم العتـر وغيـره من المنـاسـك المخيبة لأصحابها.

---

(١) قرن فقرن: أي جيل بعد جيل. تناسخوك: أي تداولوك، وتناقلوك.
(٢) العليـاء: الارتفاع. وخنـدف: اسم قبيلة، وهي اسم امـرأة اليـاس بن مضـر بن نـزار غلبت على نسب أولادها منه.
(٣) الحـاشر من اسمـائـه (ص) أي الـذي يحشـر النـاس من خلفـه وعلى ملتـه. والأول موسى (ع) .
(٤) يـروى بشر منـذر. والدوار: اسم صنـم وحجـر يـدورون حـولـه. والنصب: حجـارة تنصب ليطوفوا حولها.
(٥) العتر: صنم كان يعتريه. أي كمنصب ذلك الصنم لو الحجر الـذي يدمي رأسـه بدم العنيـز، والمناسـك: جمع نسـك. وهو المـوضـع الـذي تـذبـح فيـه النسيكـة وهي الذبيحة. والخيب: أي الخائبة التي لا منفعة فيها.

ويقول:

| | |
|---|---|
| ومِلَّة الزاعمين عيسى بنَمَ | الله وما صَوَّروا وما صلبوا |
| مهاجراً سائلاً وقد شالت الـ | ـحرب لقاحاً لغيرها الكثب |
| في طلق ميحَ للاوس والخز | رجِ ما لا تضمن القلب |
| مجدُ حياة ومجد أخرة | سجلان لا ينزحان ما شربوا |
| لا مِنْ تِلالٍ ولا تراث أب | إلا عطاءُ الذي له غضبوا |

يقول الكميت: انكرت فينا ملة الزاعمين بأن عيسى ابن الله وما صوروا من الافكار بأنه صلب. هاجر النبي (ص) ليخوض الحرب مع الكافرين، حرباً لقاحاً لا هوادة فيها، ولا تبقى من الكافرين أحداً. قصد في هجرته الرسول المدينة ليجد في انتظاره الأنصار الذين سينال منهم التأييد والعون، وسينالون منه الفضل الكثير. وقد نال هؤلاء الانصار المجد في الدارين الدنيا والآخرة. سجلان يشربون منهما ولا ينضحان. وما اكتسبه الأنصار من عزة ومجد لم يأتهم إرث من قديم لأب أو جد، بل هو حصيلة الذي من أجله غضبوا له.

(١) لقاحاً: تشبيه اعتادت العرب أن تطلقه على الحرب عندما تكون شديدة. والغبرة: بقية كل شيء والكثب: الجرعة التي تبقى في الاناء.

(٢) في طلق: أي في قصد ووجهة. والطلق في الأصل: سير الابل. والميح: أن ينزل الرجل الى قرار البئر اذا قلّ ماؤها فيملأ الدلو بيده. والميح: يجري مجرى المنفعة، فكل من أعطى معروفاً فقد ماح. والقلب: جمع قليب: وهو البئر.

ويقول:

| | |
|---|---|
| يا صاحب الحوض يوم لا شرب للـ | ـوارد إلاَّ ما كان يضطرب |
| نفسي فدتْ أعظماً تضمنها | تبرك فيه العفاف والحسب |

أجــرك عـــنــدي مــن الأود لِــقُــرْ بــاك سـجيــات نـفسي الــوظبُ[1]
في عُــقــدٍ مــن هــواك محــكــمــةٍ ظَـواهِـرَ منهــا العِناجُ والكَــرَبُ[2]

يخـاطب الشاعـر الرسـول (ص) بصاحب الحـوض الذي سيسقي منـه أمتـه يوم القيـامـة. ولا يـرد الحـوض إلا من كـان محبـاً لمحمـد وآل بيتـه. ويطلب الشاعر الفدار بنفسه للرسول الـذي مات وتـزل في اشرف قبـر واطهر تربة. وهو أي الشاعر لا يطلب أجـراً من حبه لآل محمـد إلا مودتهم وتقـربه منهم، وأن يبقى ذلـك الحب سجية فيـه دائمة مـا دام هو على قيـد الحيـاة. وتلك النفس التي تقيم في داخله وقــد قيـدت بحبـال حب النبي وآلــه ولا تستطيع قوة غير قوة الله فكاكها.

ويقول :

واصــلـة آخـــراً بــأوّلهــا تَنَحَّلوُا صفـوهـا ومـا خشبـوا[3]
قــوم إذا املولـح الــرجــال عــلى أفــواه مـن ذاق طعـمِهُـمْ عَــذُبُــوا
إن نــزلــوا فــالـغيــوث بــاكــرةٌ والأُسـدُ أسـدُ العـرين إن ركبـوا
لا هـم مفـاريـحُ عـنـد نـوبتهـمْ ولا مجـازيـعُ إنْ هُـمُ نَـكـبُـوا
هــيـنــون لــيـنــون في بـيــوتِهِـمُ سنخ التقى والفضـائـلِ الـرُّتَبُ[4]
والـطيـبـون المـبَّـرؤون مِــنَ الـ آفــة والمـنـجـيـونَ والــنـجـبُ
والــســالمــون المــطهــرون مـن الـ ـعيب ورأس الــرؤوس لا الــذنـبُ
زهــرُ أصَّــحــاء لا حــديــثــهُــمُ واهٍ ولا في قــديمــهــمْ عَــطَبُ
والــعــارفــو الحــق لــلُمــدِلّ بــهِ والمـتـلفـون كـثـير مـا وهـبـوا

---

(١) الأود: الـذين يتـوددون من المـودة. والسجيـات: جمـع سجيـة وهي الـطبـائـع. والوظب: الدائمة على الشيء.

(٢) العناج: حبل يشد في أسفل الدلو. والكرب حبل يشد على عراقي الـدلو وهـو الذي يلي الماء.

(٣) تنخلوا : أي تخيروا، وما خشبوا : أي لم يخلطوا. من الخشب وهو الاختلاط.

(٤) نسخ كل شيء : أصله. والرتب : أي الثابتة. راتباً : أي مقيماً.

كل يوم يمضي يتولد منه حب جديد لمحمد وآله، فهؤلاء القوم هم الصورة الأخرى الحسنة للناس فأنت إذا ما وجدت إلا الطعم المالح من أقوال الناس، لا تجد إلا الكلام العذب عند هؤلاء. فالخير يلاحقهم حيثما حلوا ونزلوا، وهم أسود عندما تسعر الحرب نارها، ومن عجيب أمرهم انك تجدهم لا يفرحون كل الفرح عندما يحل بهم شيء حسن، ولا يجزعون كل الجزع عندما يحل بهم مكروه . فالسلطة والحكم أو انتفائهما سيان عندهم ، لأن عملهم كله لله تعالى . حنيون لينون في أخلاقهم ، أصيلون في التقى والفضائل ثابتون عليها .

ويقول :

| | |
|---|---|
| والمحرز والسبق في مواطن لا | تجعل غايات أهلها القصب[1]، |
| فهُمْ هناكَ الأُساة للداء ذي | الريبة والراثبون ما شعَبوا[2] |
| لا شُهُدٌ للخَنَا ومنطقِهِ | ولا عنِ الحِلمِ والنُّهى غَيَبُ[3] |
| لم يأخُذُ الأمْرَ مِنْ مجَاهِلِهِ | ولا انتحالاً من حيثُ يُجْتَلَبُ |
| وَلَمْ يُعَلْ بَعْدَ زَلَّة لَهُمُ | كُرُّوا المعاذير إنَّما حَسِبُوا[4] |
| والوازعون المقربون من الـ | أمر وأهلُ الشّغَابِ إنْ شَغَبُوا[5] |
| لا يُصدِرُونَ الأُمُورَ مُبْهَمَة | ولا يضيعُون دَرَّ ما حَلَبُوا |
| إنْ أصدروا الأمر اصدروه ما | أو أورَدوا ابلغُوهُ ما قربوا |

---

(١) يقال للمراهن إذا سبق أحرز قصبْ السبق لأن الغاية التي يسبق اليها تذرع بالقصب وتركز تلك القصبة عند منتهى الغاية، فمن سبق اليها حازها.

(٢) الاساة : جمع آسي : وهو الطبيب، والراتبون : المصلحون. وما شعبوا : أي ما أصلحوا.

(٣) النهى : العقل. والخنا من الكلام أفحشه.

(٤) الزلة : الهفوة من الزلل. والمعاذير : جمع معذرة الاعتذار.

(٥) الوازعون : أي الناهون عن المنكر. والشغاب والشغب الخصام والفتنة.

وآل النبي أحرزوا السبق في مواطن الحق، وفي مواقف الدفاع عن الدين، لا فيما لا يجد نفعاً من سباق الخير، وما يثير الحرب والقتال، بل يتسابقون لمداواة الناس فيما هم فيه من أمراض الشرك والاختلاف، والإصلاح فيما بينهم. وهم منزهون عن كل قول فيه فحش بعيدون عنه، قريبون من الحلم والنهي. وهم في تصرفهم لا يستمدون ذلك من الجهالة في الأمور، أو الانتحال لما هم ليسوا فيه. فعقولهم سليمة تمنعهم من الوقوع في الخطأ، أو الزلل في أمر لأنهم يفطنون للأمور قبل وقوعها، ويحسبون لكل شيء حسابه. ينهون عن المنكر، ويقربونهم من الطاعة للدين، ويبعدونهم عن المشاغبة. وهم أيضاً أولو نظر ثاقب لا يضعون الأمور إلا في مواطنها ولا يفشلون في تحقيق ذلك. ومن حكمتهم وسمو أفكارهم أنهم لا يصدر عنهم شيء إلا ويغلب فيه الصواب والكمال.

ويقول : الكميت في معالجته للموضوع الثاني وهو وصف معاناته هو وناقته في المسير إلى آل النبي (ص) .

| | |
|---|---|
| يا خير من ذلت المطيُّ لهُمْ | أنتم فروع العِضَاهِ لا الشَّذَبُ[١] |
| أنتمْ من الحرب في كرائمها | بحيثُ يُلقى من الرَّحى القُطُبُ[٢] |
| وفي السنين الغيوثُ باكرةٍ | إذ لا يُدِرُّ العَصُوبَ مُعْتَصِبُ[٣] |
| أبْرَقَ للمسنتين عِنْدَكُمُ | بالجودِ فيها النَّهارُ والعُشُبُ[٤] |

---

(١) العضاة : أعظم الشجر الواحدة عضاهة وعضهة. والشذب قشر الشجر وفرع كل شيء أعلاه.

(٢) كرائم : جمع كريم وكريمة وهو الشريف الحسيب في قومه.

(٣) السنين : أي في السنين الجدبة كأنهم الغيوث. والعصوبة : الناقة التي لا ترد حتى يعصب فخذاها أي يشدان بحبل.

(٤) المسنتين : الذين أصابتهم السنة وهي القحط والجدب. والنهار : جمع نهى وهو الغذير. والعشب الكلأ الرطب.

هَـلْ تـبـلـغـنـيـكـم المـذكَّـرَةِ الـ   وجـنَـاءُ والـسَّـيْرُ مـنّي الـدَّأبُ[1]
لم يـقـتـعْـدَهـا المُـعَـجِّـلونَ وَلَمْ   يَمْسَحْ مطاها الوُسُوقَ والقَتَبُ[2]

يخاطب الشاعر محمداً وآله قائلاً : إنهم خير من ذلت لهم المطي رحالها، وإنهم أيضاً فروع تلك الشجرة الطيبة التي جذعها في الأرض، وفرعها في السماء. إذا انزلوا للقتال فهم أول من يريدون رحى الحرب، فمنزلتهم من الحرب منزلة القطب من الرحى لا تدور إلا بهم، إشارة الى أقدامهم وشجاعتهم. وأما في السخاء والكرم، فتجدهم يجودون كأنهم الغيوث المبكرة كرماً وفضلاً، لا يمنعهم من الكرم جفاف الضروع، وقلة اللبن، وعدم وجود النبت والزرع. وهم أشبه ما يكونون بالغيث الهاطل على الأرض المجدبة، فتنعشى، وتتحرك بالعشب والكلأ مما ينتج عنها الخير.

والشاعر متشوق للمسير الى بني هاشم ولا يدري إذا ما كانت ناقته تتحمل مشاق السفر في الوصول اليهم، فهي من النوق الكريمة التي لم تركب..

ويقول :

كـأنها الـنـاشط المُـوَلَّـعَ ذو الـ   ـعينـة من وحش لينـة الشَّبَبُ[3]

---

(١) المذكرة : الناقة الشديدة تشبه الفحل في الخلف والعظم. والوجناء : العظيمة الوجنات وقيل : معناها الصلبة من وجين الأرض أي الصلب منها. والدأب : السير السريع.

(٢) لم يقتعدها : أي لم يتخذها المعجلون قصوداً. والمعجلون : الذين معهم الاعجالة والعجالة. المطا : الظهر. والدسوق : جمع دسق وهو الحمل للبعير. والوقر : حمل البغال والحمير : والقتب : الرمل.

(٣) الناشط : الثور الوحشي. الولع : البرص. ذو العينة : أي أنه ضخم العين واسعها ولينة : موضع في بلاد نجد. والشبب الذي تمت اسنانه.

إن قيـل قيـلوا ففوق أرحلها أو عَـرَّسوا فـالـذميـلُ والخببُ[1]
شعث مـواليـجُ قـد تغـولـت الـ أرض بهمْ فـالقفـافُ فـالكـثبُ[2]
تـرفـعُـهُـمْ تـارةً وتخـفِـضُـهُـمْ إذا طـفـوا فـوق آلِهَـا رَسَـبـوا[3]
إلى مـزوريـن في زيـاراتهـمْ نَيْـلُ التُّـقى واسـتتـمتِ الحِسَبُ[4]

والناقة التي اختارها الشاعر لرحلته الطويلة قاصداً بني هاشم تشبه الثور الوحشي الذي يخرج من بلد الى بلد، ومن أرض إلى أرض، أبرص اللون، عظيم سواد العنين نشيط. وهو ينام القيلولة فوق مطيها مع من ينامون، فإذا ما جاء الليل نزل مع من نزل عن مطيها للإستراحة، ثم يثورون مع انفجار الصبح سائرين سير الذميل والخبب.

وإذا نظرت إليه وإلى سواه من المسافرين رأيتهم مغبري الرؤوس من مشقة السفر، فهم يقطعون المسافات الطويلة عبر الأراضي المرتفعة والمنخفضة، تارة ترتفع بهم الأرض، وتارة أخرى تنخفض، ومع هذا فهم غير مبالين بما يحدث لهم، لأنهم سيكسبون الأجر من الزيارة التي هم ذاهبون إليها إلى قوم في زيارتهم احراز التقوى، والرضى من الله تعالى.

يمكن تلخيص هاشمية الكميت الثالثة تحت النقاط التالية.

**أولاً** : التساؤل عن مصدر الطرب الذي ينتاب الشاعر ـ فهو لم يأت

---

(١) قيلوا : من القيلولة. وهي النوم في الظهر. وعرس المسافر. نزل في وجه السحر. الذميل والخبب. ضربان من السير.
(٢) شعث : جمع أشعث وهم المقبرات الرؤوس من مشقة السفر. ومداليج : جمع مدلج من الدلج وهو السير من أول الليل. تفولت الأرض من التفول. وهو التلون. والقفاق : جمع قف وهو ما ارتفع من الأرض. والكثب : جمع كثيب. التل من الرمل.
(٣) الآل : السراب. وطغوا : أي علوا، ورسبوا : أي هبطوا.
(٤) مزورين : من الزيارة. والحب جمع حسبة الأجر.

من حب غانية بيضاء يريد التصبب بها، أو من أمرأة متحجبة فاز بالوصال بها، ولا من ديار عاد إليها بعد هجرها. كما لم تهيجه تلك الآثار التي بقيت من رسم الديار المقفرة المهجورة.

**ثانياً** : التحدث عن الديار بصيغة المخاطب، والتذكر لأيام مضت كان فيها قد بلغ سن الشيخوخة وقد انتزع منه الشباب أو الفتوة. حتى غدا لا يجرؤ على مغازلة الصبايا، لأنهن يتحدثن إليه بصيغة العم، ورحن يستحين منه وهو يستحي منهن ولهذا نراه يزهد في الدنيا، ويقرر التوجه الى من هم البديل لما خسره، إلى السراج المنير أحمد المصطفى، وهو في توجهه إلى رسول الله لا يبغي رغبة، ولا يتوقى رهبة فقد اختار حبه وحب آله عن قناعة وعقيدة. وبات لا يأبه بما يوجه إليه من أقوال وتهديدات.

**ثالثاً** : حديث الشاعر عن النبي (ص) ووصف، اختصه الله تعالى به من صفات : فهو المصطفى، والمهذب المحض، قومه اكرم الناس حسباً، وخيرة من أنجبت حواء من ولد، وقد تنقل في النسب الطاهر من صلب الى صلب حتى خرج من آمنة، وهو الصادق السابق الموفق، خاتم الأنبياء، المبشر المنذر الذي قضى على أصنام الجاهلية التي كانوا يعبدونها. ووجههم نحو الله تعالى المعبود الحقيقي. ثم هاجر يدعو الى الدين الجديد، فناصره الأوس والخزرج في المدينة (يثرب).

رابعاً : يخاطب الشاعر النبي (ص) مباشرة بصاحب الحوض، ويرثيه، ويتمنى لو كانت نفسه فداء له. ثم يتحدث عن بني هاشم وصفاتهم وأخلاقهم، فإذا هم خلاف الناس لأنهم صفوتهم كرام لينون طيبون، أهل فضائل وتقى، مبرون من الآفات، مطهرون من العيب، وهم رأس الرؤوس لا الذنب. يعرفون الخف. يتلقون ما وهبهم الله تكرماً ويحرزون قصب السبق في إدراك الغايات الحقة، لم يأخذوا الأمر من

مجـاهله. ولا انتحلوه من حيث يجتلب، يكـفـون النـاس عـن المـنكـر- كالخصام والفتنة، وأما في الحرب فهم قطب رحاها.

خامساً: حديثه عن نـاقته، وسيـرها إلى بني هـاشم، فإذا هي نشيـطة قـوية كـالثور الـوحشي تتحمل مشـاق السفر. وأمـا المسافرون: فكانـوا من طـول المسـافـة، ومشقـة الـطريق شعب مـداليـج تـرفعهم الأرض تـارة، وتخفضهم أخـرى إلى أن وصلوا إلى المـزورين في زيـارتهم لنيـل التقى والأجر.

## لغة الهاشمية الثالثة.

كعادته يستخدم الكميت في هذه الهاشمية ألفـاظاً وتعـابير مستمـدة من الصحراء، فأنت ترى المقدمة جاءت لـوحة تعكس واقع الصحراء ومـا يجري فيهـا. من نسـاء محجبـات، وجمـال، وهــوادج ومنـازل، وقفــر، ودمــن، ومخـاض، وعشار. عبـارات استخدمهـا الشـاعـر الجـاهلي لأنهـا من صميم بيئتـه، أما أن يستخـدمها الكميت الإسـلامي فجاءت تقليـداً، وهـذا التقليـد بقي سـائراً إلى أن قـامت الثورة عليـه واستبدل بغيـره. وخـاصـة في الحقبـة التي جاءت بعد العصر الأموي.

والمرء عندمـا يقرأ هـذه الهاشميـة يشعر بـالنبرات القـوية، لتـدل على الموقف الذي يقفه الشاعر، والناس الـذين توجهـه اليهم هذه الخـطب. فإذا أنت تحسب نفسـك بين ضجيـج وجلبـة. احـراز لقصب السبق في مـواطن الحق، مهاجـرة لنصرة الدين. غيـوث عند النـزال ليوث عنـد القتـال. منـطق صدق لا يعرف الفحش. ناهون عن منكر آمرون بمعرف الخ.

هذه الحركة التي يحدثها الشاعر عند حـديثه عن بني هـاشم تدل على التفجـر الداخلي عنـده والمسخر كله لمحبتهم. وهـو ينتقي الألفاظ المـلائمة للمعنى. فقد أحسن التعبير عنـدما اختـار الملوحة لكـلام أعداء بني هـاشم،

والعذوبة لكلامهم، وإن كان ذلك للدلالة على الطعم على سبيل المجاز.

فالكلام الطيب يدخل على النفس فينعشها، كما ينعشها الطعام الطيب، وكذلك الكلام السيء يسيء للنفس كما يسيء إليها الطعام الرديء. ثم استخدامه للفظي النزول والركوب لتدل كل منهما على معنىً يتلاءم مع معناها، فالنزول للمطر الغيث يحيي به الأنفس بعد موتها. والركوب الى الجهاد لتحيى أنفساً ماتت على الكفر باجبارها على الإيمان، واستخدامه لفظة هين، ولفظة لين للمعاشرة، وهذا في منتهى الرقة، لأن المعاملة الهينة اللينة تدل على حسن السياسة والتدبير.

وأما من حيث الدلالة البلاغية والبيانية فنجد عند الشاعر أسلوب الحوار والقصة. عندما يتحدث عن نفسه وعن الغواني وعن الديار والنازحين عنها. ونجد التشابيه عندما يشبه الرسول (ص) بالسراج المنير وتشبيه كرم أعداء بني هاشم بالملح وكلام بني هاشم بالعذب وتشبيه بني هاشم بالغيث عطاءً، وبالاسود حرباً، ونجد جناساً بين لج ولجب بين رغبة ورهبة وهين ولين، وطباق بين صادر ووارد، وترفعهم وتخفضهم، وطفاو رسب.

## خصائص الهاشمية الثالثة:

إن من يقرأ الهاشمية الثالثة يلحظ نقطة متطورة عما قبلها من حيث التطرق مباشرة إلى بعض خصائص بني هاشم لم يتطرق إليها من قبل. فالنبي (ص) صاحب الحوض وبنوهاشم ومن أحبهم هم الذين سيردون هذا الحوض، وبنو هاشم يقربون الناس إلى طاعة الله، وينهونهم عن فعل المنكر.

ومن حكمتهم وسمو افكارهم أنهم لا يصدرون عن شيء إلا وغلب الصواب والكمال على غيره. سنخ التقى والفضائل، منزهون عن الكلام الفاحش :

كما أن الشاعر لأول مرة يتحدث فيها عن نفسه والغاية التي من أجلها سافر الى بني هاشم وهي : نيل التقى ورضا الله تعالى.

## الهاشمية الرابعة

الموضوعات التي تتناولها هذه الهاشمية هي :

١ ـ اذكاء روح الثورة ضد الأمويين .

٢ ـ التخلي عن مقدمات النسيب كما فعل في الهاشميات السابقة والتحدث مباشرة عن الموضوع الذي يريد أن يتحدث عنه.

٣ ـ يأخذ على بني أمية سياستهم السيئة ، وعلى الشعب خضوعه وخنوعه .

١ ـ إذكاء روح الثورة ضد الأمويين :

ألا هَلْ عمٍ في رأيهِ متأمّلُ ... وهل مدبر بعد الإساءة مُقْبِلُ
وهل أمة مستيقظون مرشدهمْ ... فيكشف عنه النعسة المتزيلُ[1]
فقد طال هذا النوم واستخرج الكرى ... مساوئِهِمْ لو كان ذا المَيْلُ يُعْدَلُ
وعطلت لأحكام حتى كأننا ... على ملةٍ غيرِ التي نتنحلُ[2]
كلام النبيين الهداة كلامنا ... وأفعال أهل الجاهلية نَفْعَلُ
رضينا بدُنيا لا نريد فراقها ... على أننا فيها نموتُ ونقتلُ
ونحن بها مستمسكون كأنها ... لنا جَنَّةٌ مما نخاف ومعقِلُ[2]

---

(١) المتزمل : النائم المتلفف بثيابه والنعسة : النومة من النعاس وهو السنة من غير نعاس.

(٢) النحلة : الدعوة. والملة : الدين.

(٣) الجنة : الوقاية : والمعقل : الحرز.

يتساءل الشاعر بأسلوب الناقم الغاضب عن ذلك العمى الذي أصاب عيون الناس فركبوا غييهم، وساروا على هواهم، ولم يكن رائدهم الحكمة فيتأملون ويهملون لعواقب الأمور حساباً؟ وهل من تمكن في قلبه حب الشر والإساءة يصغي الى الحق ويعيه.

وهل الأمة تستيقظ لأمر نفسها، وتهب من سكوتها وغفوتها، فيخلع كل رداء خموله وجبنه وتكشف ما نزل بها من الجور والظلم.

لقد طال سكوت الناس عن المظالم، وإغمائهم العيون عن القذى، لا يحركون ساكناً، ولا يطلبون بحق حتى ظهر الجور، فلو أن هذا الميل والحيف يعدل ويغير بالعدل في الرغبة لكان سكوتهم أكمل لهم. وعطلت الأحكام حتى بتنا وكأننا ندين بغير ديننا، فنحن نؤمن بما قاله الأنبياء ونفعل فعل أهل الجاهلية. إذا كان هذا شأن غيرنا، أما نحن فإيماننا بما نعتقد راسخ قولاً وفعلاً لا نفارقه إلا بالموت، وهذه المباديء أصبحت بالنسبة لنا الحرز الذي يحمينا من كل مكروه ولهذا لا نفارقه.

ويقول :

| | |
|---|---|
| أرانا على حب الحياة وطولها | يجد بنا في كل يومٍ ونهزلُ[١] |
| نعالج مرمقاً من العيش فانياً | له حارك لا يحملُ العبءَ أجزَلُ[٢] |
| فتلك أمور الناس ضجت كأنها | أمور مضيع آثر النوم بُهَّلُ[٣] |
| فيا ساسة هاتوا لنا من حديثكم | ففيكم لعمري ذو أفانين يقولُ[٤] |
| أأهل كتاب نحن فيه وأنتم | على الحق نقض بالكتاب ونعدِلُ |

---

(١) يجد من الجد ضد الهزل.

(٢) المرمق من العيش الدون اليسير. وحارك أجزل : يعني العيش والحارك مفصل العنق في الصلب، والأجزل من به قروح في الكتفين. والعبء : الثقل.

(٣) ألبهل واحدها باهل. يقال ناقة باهلة وباهل وهي التي تكون مهملة بغير راع.

(٤) المقول : اللسان البليغ، وأفانين أي ضروب الكلام وفنونه.

فكيف ومن وأنى وإذ نحن خلفه فريقان شتى تسمنون ونهزلُ[1]

يقول :

إننا في هذه الحياة غافلون ساهون عن واجباتنا، نحب أن تطول أيامنا ولا ندري ماذا يصير إليه أمرنا ونحن في تقصير وخمول. نحن نعالج ونقاسي الآم الحياة والمعيشة الخسيسة ونقاوم المتاعب مقاومة عظيمة. أمور الناس ضائعة كأنها الإبل المهملة تسرح ولا راعي لها يحفظها من الضياع. فيا ساسة الأمة، والقابضين على زمام الحكم في أمور الرعية، أجيبوا على ما نسألكم عنه، ونحاسبكم عليه، وأنتم أهل فصاحة ومقدرة.

نحن مختلفون في أمور حياتنا، فأنتم في نعيم ورخاء، ونحن في فاقة وشقاء. فهل أنتم على الحق كما نحن عليه نقضي بما نص الله تعالى من أمور وأفعال. ونعدل فيما بيننا.

ويقول :

أنصلح دنيانا جميعاً ودينناعلى ما به ضاع السوام المؤَبلُ
برينا كبري القدح أوهن متنهمن القوم لاشار ولامتنبلُ
ولاية سَلغْدٍ ألفَّ كأنهمن الرهق المخلوط بالنوك أثولُ[2]
كأن كتاب الله يعني بأمرهوبالنهي فيه الكودَنِي المركلُ

ويتساءل الكميت مخاطباً بني أمية، هل يعقل أن نهتم بأمور دنيانا فتقوم على إصلاحها ولا نهتم بأمور ديننا منهملة. لقد برينا وضعف ما لنا كما يبرى العود عن الغصن. واصبحنا بين القوم لا مصلحين ولا قتيلين فإلى أي علج عين. سفيه، أحمق، طائش ننقاد ونولي أمورنا، ألهذا

---

(١) نحن خلفة : أي مختلفون. فريقان : طائفتان متباينتان. شتى : متشتتين.

(٢) السلغد : الذئب : ويريد به هنا الصلح. والألف : الرجل العيي البطيء الكلام، والرهق : السفة. والنوك : الحمق. والأثول : الطائش.

الرجل الـذي وضع كتـاب الله بين يديـه وهو لا يفقـه من أحكامـه شيء فراح يركله بعيداً عنه ولا يهتم به.

ويقول في وصف جور بني أمية :

ألم يـتـدبـر آيـة فـتُـدلَّـهُ — على تـرك مـا يـأتي أم القلب مقفـلُ
فتلك ملوك السـوء قـد طـال ملكهم — فحتى م حـتى م العـنـاء الـمـطول
رضـوا بفعـال السـوء من أمـر دينهم — فقـد أتيحوا طـوراً عـداءً واثكلوا[1]
كـما رضيت بخـلاً وسـوء ولايـة — لكْلبتهـا في أول الدهـر حـومَـلُ[2]
نبـاحـاً إذا مـا الليـل أظلم دونها — وضـربـاً وتجـويعـاً خبـالُ مخبـلُ[3]
ومـا ضـرب الأمثـال في الجور قبلنـا — لأجـور مـن حكـامـنـا المتمثـل
هُمُ خـوفـونا بـالعمى هُـوة الـردى — كـما شب نـار الحـالفـين المهـوِّلُ[4]
لهم كـل عـام بـدعـة يحـدثـونها — أزلـوًا بهـا أتبـاعهم ثم أوصلوا[5]
كـما ابتـدع الـرهبـان مـا لم يجيء بـه — كـتـاب ولا وصي مـن الله مـنـزَّلُ

هذا الحاكم الذي ابتلى به المسلمون ألم يحاول ان يقرأ آية فترشده الى فعـال الخير، وتنيـر له طـريق الحق فيترك مـا يفعله، أم أن قلبه قـد ران عليـه. هؤلاء الملوك لا رجاء بهم، فهم ملوك السـوء ومـع هـذا تجـد أن ملكهم قـد طـال، فحتى متى يبقى النـاس هكـذا لا يثـورون، ولا يغيـرون هؤلاء الحكـام إنهم رضـوا بـإتيـانهم الـظلم ، فـأيتمـوا الأطفـال ، وأثكلوا

---

(١) العدا بالفتح والمد الظلم.

(٢) حومل امرأة من العرب كانت تجيع كلبة لها وهي تحرسها. تربطهـا بالليـل للحراسـة وتطردها بالنهار قائلة لها : القمي لنفسك لا ملتمس لك .

(٣) خبال مخبل : أي فساد مفسد.

(٤) المهول : المحلف. كانوا في الجاهليـة إذا أرادوا ان يستحلفوا الـرجل أوقـدوا ناراً وألقوا فيها ملحاً فيتفقع، فيهولون بها.

(٥) أزلو من الزلل. وأوجلوا من الوجل : الخوف.

الأمهات، فهم أشبه ما يكونون مع رعيتهم بحوملٍ مع كلبتها. تنبح دونها، وتحرسها، ثم تعاملها بالضرب والتجويع فساداً وعدم مروّة وإذا أردنا أن نضرب الأمثال بجور الماضين فإنهم ليسوا بأكثر من بني أمية جوراً وظلماً. لقد عمد هؤلاء الى اطفاء نور الحقيقة من أعيننا حتى لا نرى ما يصنعون من جور وظلم بارهابنا. كما كان يرهب الظالمون من الجاهلية بأوقاد نار يلقون فيها الملح فيتفقع فيخاف الناس منه.

وهؤلاء يفاجئون الناس في كل عام ببدعة مستحدثة يخوفون الناس بها ثم بوصلونهم.. فهم كالرهبان الذين يأتون بأحكام لم يأت بها كتاب ولا وحي من الله وإنما من أنفسهم.

ويقول :

تحل دماء المسلمين لديهم ... ويَحْرُمُ طلع النخلة المُتَهدّلُ
وليس لنا في الفيء حظ لديهمُ ... وليس لنا في رحلة الناس أرحُلُ
فيا ربِّ هل إلا بك النصر يرتجى ... عليهمْ وهلْ إلا عليك المعّولُ
ومن عجب لم أقضه أن خيلُهمْ ... لأجوافها تحت العجاجة أزْمَلُ(١)
هما همُ بالمستلئمين عوابسٌ ... كحِذْآن يَوْمِ الدّجنِ تعلو وتسْفُلُ(٢)
يَحَلّئنْ عن ماء الفرات وظله ... حُسناً ولم يشْهَر عليهنَّ مُنْصَلُ(٣)
كَأنَّ حُسَيْناً والبهاليل حَوْلَهُ ... لأسيافِهِمْ ما يَخْتلي المُتَبقّلُ(٤)

ويقول : إن دماء المسلمين محلل سفكها عند هؤلاء بينما يرون تحريم ثمر النخلة المتهدل. وإننا محرومون من الغنائم وحقوقنا مغتصبة،

---

(١) الأزمل : الصوت وجمعه الأزامل.

(٢) هماهم : من الهمهمة وهو ترديد الصوت في الصدر. والمستلئم : اللابس اللامة وهي الدرع. وحدآن جمع حدآة طائر معروف. والدجى الغيم.

(٣) فروي : يحلئن أي يمنعن . والمنصل : السيف.

(٤) البهاليل ص؛ جمع بهلول الضحوك. والمتبقل : الذي يأخذ البقل .

وليس لنا ما نركب عليه من الدواب فنغز ومع الناس.

ثم يتوجه الشاعر الى الله تعالى يناجيه ويرجوه النصر لمحمد وآله لأنه بيده النصر، ولم يعد هناك من يرجو الأمل به إلا هو. وكيف لا ينصرهم الله وهم الذين يركبون الخيل لنشر دينه وإعلاء كلمته، ويلبسون الدورع ويرفعون الأصوات لدب الذعر في نفوس اعدائهم، تواكبهم جماعة طائر الحد آن لتملأ بطونها من جثث قتلى اعدائهم، وإنهم انصار الحسين (ع) الذين منع عنهم ماء الفرات ظلماً وغدراً وهم الذين جاءوا لنصرة الحق ولم يرتكبوا أي ذنب أو يشهروا أي سيف ضد مسلم من المسلمين. ومع هذا فقد حلل الأمويون وأنصارهم دم الحسين ومن معه، وجعلوا أسيافهم طعمة لهم، وراحوا يقتلون الواحد بعد الآخر، كما يختلي المتبقل، وينتقي ما شاء من البقل، وأنصار الحسين يضحكون للموت ولا يأبهون به.

ويقول:

| | |
|---|---|
| يخضن بـه من آل أحمد في الـوغى | دمـاً ظـل منهم كـالبهيم المحجَّـلُ |
| وغـاب نـبي الله عـنهم وفـقـده | عـلى النـاس رزء مـا هنـاك مجلَّلُ |
| فـلم أرَ فخـذ ولا أجـل مـصيبـة | وأوجب منـه نُصـرة حـين يخـذلُ |
| يصيب به الرامون عن قوس غيرهم | منـا آخـراً أسـدى لـه الغيَّ أولُ |
| تهـافت ذِبـانُ المـطامـع حَـوْلـهُ | فـريقـان شـتّى ذو سلاح وأعـزلُ |
| اذا شـرعتْ فيـه الاسنَّـة كبَّـرت | غـواتهُـمُ مـن كُـلِّ أوْبٍ وهـللوا |
| فـما ظفـر المُجْـرى اليهم بـرأسـه | ولا يخـذل البـاكي عليـه المولـولُ |
| فلم أرَ مـوتـورين أهـل بـصيـرة | وحـقٌّ لَهُمْ أيـدٍ صِحـاحٌ وأرْجُـلُ |

يقول: ظل المحجل من الخيل كالبهيم الذي لا إشارة فيها من كثرة ما سال من الدم من آل محمد. ومما زاد في شدة البلاء غياب رسول الله (ص) عن الساحة الاسلامية، وبغيابه حصلت المصيبة الجليلة، ولو

نظر المرء ليرى من أصيب بالخذلان قبل الحسين (ع) لما وجد مخذولاً مثله أصيب بأهله وأنصاره ولما وجد من هو أحقّ بالمناصرة منه، تنهال عليه أقواس الرامين من أيد تقاتل عن غيرها فتكتسب الاثم. وتكاثر على الحسين (ع) وأنصاره أهل المطامع من أراذلة الناس وأشقيائهم، فكان منهم حامل السلاح، ومنهم الأعزل، كلهم يريد إرضاء الخليفة الفاسد وواليه، لعله يحصل على ما يطمح اليه من أجر لقاء فعله المنكر. وعندما تشرع الرماح للقتال من قبل هؤلاء الأغوياء، تراهم يكبرون، ويهللون، وهم لا يدركون عواقب أفعالهم الشنيعة.

ولما فاز هؤلاء الغواة الفساق بما يريدون من قتل الحسين وقطع رأسه، لم يظفروا مما كانوا يأملونه الا بالخيبة، فراحوا يبكون على القتيل وينوحون ليكفروا عن ذنوبهم.

ومهما حاول المرء أن يجد موتورين قتل لهم قتيل وتخلّوا عن دمه، ولم يدافعوا، أو يحاولوا أن يأخذوا بثأره مثل هؤلاء.

ويقول:

| | |
|---|---|
| كشيعته والحرب قد ثفيت لهم | أمامُهُم قِدْرٌ تجيش وَمِرْجَلُ[1] |
| فريقان هذا راكب في عداوة | وباك على خذلانه الحق مُعْوِلُ |
| فما نفع المستأخرين نكيصُهُمْ | ولا ضرَّ أهل السابقات التعَمُّلُ[2] |
| فإن يجمع الله القلوب وَنَلْقَهُمْ | لنا عارض من غير مُزْنٍ مُكَلَّلُ[3] |

---

(١) ثفيت له: أي وضعت له على الأثافي وهي حجارة تنصب وتجعل القدر عليها.

(٢) نكيصهم: أي احجامهم عن نصرته وإدبارهم، وأهل السابقات. الذين تقدموا لنصرته.

(٣) العارض: السحاب. والمزن: السحاب الأبيض. مكلل: أي مخيم كثيف.

سرابيلنا في الروع بيض كأنها أضا اللّوب هزتها من الريح شمألُ[1]

لم يرَ الكميت اذا قوماً قد تخاذلوا عن نُصرة قتيل لهم والأخذ بثأره كالشيعة في تخاذلهم عن نصرة الحسين (ع) في حرب اشتد سعيرها وغلي مرجلها. وراحت تجعل من أنصار الحسين وقوداً لها يغلي بهم مرجلها، وقد انقسم هؤلاء حول قضية مصرع الحسين فريقان: فريق ركب متن شره وعداوته، وفريق يبكي على ضياع الحق وخذلانه.

والذين فروا من نصرة الحق واحجموا عن القتال في سبيله، لم يفدهم ذلك الفرار وذلك الاحجام فانهم يوماً ما سيموتون، وأما الذين تقدموا لنصرة الحسين وقتلوا فانهم فعلوا ذلك وهم يعلمون أنهم يوماً ما سيموتون، والفرق بين الطرفين كبير جداً، فأما أهل الفئة الاولى فالى النار وساءت مصيراً. وأما أهل الفئة الثانية فالى جنة الخلد نعمت مستقراً.

والشاعر يتوعد بني أمية بأنه وقومه اذا ما جمع الله قلوبهم وحضروا للقاء أعدائهم، فان لهم جيشاً عرمرماً مكللاً بالسلاح، وهذا الجيش ليس مكوناً من ماء المران بل من الرجال والابطال وفي ساعة الروع يلبسون الدروع البيض التي كالاضا بياضاً.

ويقول:

على الجرد من آل الوجيه ولاحق تذكرنا أوتارنا حين تصهلُ[2]
نكيل لهم بالصاع من ذاك أصوعاً ويأتيهم بالسجل من ذاك أسجُلُ[3]

---

(١) الشرابيل: الدروع التي يلبسونها في الحرب. واللوب: جمع لوبة. الحرة وهي الأرض التي قد ألبستها حجارة سود. والأضاء جمع اضاءة وهي القدران.

(٢) الجرد: جمع أجرد. القصار الشعور من الخيل، والوجيه ولاحق: فرسان نجيبان من خيل العرب. والأوتار جمع وتر الذحل: الثأر.

(٣) الصاع: الكيل. والسجل: الدلو.

يقول : نلاقي الأعداء على خيول جرد نجيبة تذكرنا عندما تصهل بمن وترنا ونريد الأخذ بثأره . وما أن نلتحم مع أولئك الأعداء حتى نوقع بهم من الشدة والصرامة أضعافاً ما نلنا منهم .

ألا يفزع الأقوام مما أظلَّهُمْ ... ولما تجبهُمْ ذاتُ ودقين ضئبيلُ[1]
إلى مفزع لن يُنْجي الناس من عمىً ... ولا فتنةٍ إلَّا إليه التحولُ
إلى الهاشميين البهاليل إنهمْ ... لخائفنا الراجي ملاذ ومؤئلُ
إلى أي عدل أم لأية سيرة ... سواهُمْ يَؤُمُّ الظاعِنَ ألْمُترحِّلُ[2]
وفيهم نجوم الناس والمهتدى بهمْ ... إذا الليل أمسى وهو بالناس اليلُ[3]
إذا استحكمت ظلماءُ أمر نجومها ... غوامض لا يسري بها الناسُ أفلُ
وإن نزلت بالناس عمياء لم يكن ... لهم بُصَرُ إلَّا بهم حين تشكِلُ[4]

يقول : ألم يتنبه الناس لأمورهم بعدما نزل بهم من الجور فيفزعون ، ويقومون مرة واحدة قبل أن يأتيهم خطب شديد وأمر عظيم . والمفزع الذي يجب أن يفزعوا إليه هم بنو هاشم السادة الذين اجتمع بهم الخير ، وهل هنالك من هم أعدل منهم ، وأحسن سيرة للراحلين إليهم فهم النجوم التي تضيء ظلام الطريق أمام المهتدين ، إذا ما اكتنفهم ذلك الظلام ، وهم الذين يرجع إليهم الناس كلما اشتد بهم الخطب ، أو عصيت عليهم المشاكل ، فلا يجدون الحل إلَّا عندهم . إنهم أهل عدل وإنصاف ، فإذا ما آلت الخلافة إليهم أقاموا منار العدل فيستريح الناس ، ويشبع الجائع ، ويدفأ البائس المغرور . وتنفذ الأحكام التي ترضي الناس

---

(١) ذات ودقين : أي حرب شديدة . والودق: المطر . يقال للحرب الشديدة : ذات ودقين تشبيهاً بسحاب ذات مطرتين شديدتين . والضئبل : الداهية .
(٢) يؤم : يقصد . والظاعن : الراحل .
(٣) ليل اليل : أي شديد الظلمة .
(٤) عمياء : أي مشكلة مجهولة الأمر يستعصي حلها .

وتسخط الناس عند تعطيل أحكام كتاب الله .

ويقول :

فيـا رب عجـل مـا يؤمـل فيـهمُ ... ليـدفأ مغـرور ويشبـع مُـرْمِلُ[1]

ويـنفـذ في راضٍ مقـرٌ بحـكمـه ... وفي سـاخط منه الكتـاب المعـطلُ[2]

فـإنهم لـلنـاس فيـما بـنـو بهمْ ... غُيُوثُ حياً ينفي بـه المحل ممحـل[3]

وإنهم لـلنـاس فـيـما يـنـوبهـم ... ألف نـدى تجدي عليهم وتفضـل[4]

وإنهم لـلنـاس فـيـما يـنـوبهـم ... عـرى ثقة حيث استقلوا أو حللوا[5]

وإنهم لـلنـاس فـيـما يـنـوبهـم ... مصـابيح تهـدي من ضلال ومـنـزلُ

فهم للناس الغيوث التي إذا نزلت عليهم حولت حياتهم المجدبـة إلى خصب ، وهم الأكف التي تجـود على الناس بـالعطاء ، والـذين يوثق بهم ، ويعتمـد عليهم في الملمـات ، والمصـابيـح التي تضيء للنـاس الـطريق من الضلال .

يقول :

لأهـل العمى فيهم شفاء من العمى ... مع النصح لـو أن النصيحة تقبـلُ[6]

لهم من هواي الصفو ما عشت خالصاً ... ومن شِعْـرِي المخـزون والمتنخـل[7]

فـلا رغبتي فيهـم تفـيض لـرهبـة ... ولا عـقـدتي من حبهـمْ تتـحللُ[8]

---

(١) المغـرور : الذي أصـابه القـر وهو شـدة البـرد . والـرحـل : الـذي نفـد زاده وبقي منقطعاً.

(٢) ينفذ : أي عجل الناس على اتباع الكتاب العزيز .

(٣) الحيا : الخصب : والمحل : الجدب.

(٤) الندى : العطاء .

(٥) عرى : ثقة . واستغلوا : أي سافروا . وحللوا من الحلول : أقاموا .

(٦) العمى : يريد عمى البصيرة والجهل .

(٧) المخزون : أي الشعر الجيد الغير مبتذل والمتنخل : المختار.

(٨) تفيض : أي تنقص من غاض الماء إذا نقص .

ولا أنا عنهم محدث أجنبيةً ... ولا أنا معتاض بهم متبدلُ[1]
وإني على جبهمو وتطلعي ... إلى نصرهم أمشي الضراء واخْتُلُ[2]
تجود لهم نفسي بما دون وثبة ... تظل بها الغربان حولي تحجُلُ
ولكنني من علة برضاهُم ... مقامي حتى الآن بالنفس أَنْخلُ
إذا سمت نفسي نَصْرَهُمْ وتطلعتْ ... إلى بعض ما فيه الذعاف المثمَّلُ[3]

ففي أهل البيت شفاء لأهل العمى في نصحهم إذا ما قبلت تلك النصيحة .

والشاعر لا يجد وسيلة يكافىء بها هؤلاء القوم ، إلاَّ شعره فيسخره لمدحهم ، ولا أدع إجلالي لهم يقل ومحبتي لهم تزول من رهبة ، ولا أحدث من الفعل ما يفيضهم ، وأمشي في الطرقات مفتخراً بفضلهم مجاهراً بحبهم ، ومستعداً لنصرتهم ، وإذا ما تعرضوا لسوء جدت بنفسي فداءً لهم ، وتحركت بهمة لنصرتهم ، حتى رأيتني جثة هامدة غنيمة للغربان تملأ بطونها من لحمي ، وكلما هيأت نفسي لنصرتهم ، ذقت من أجلهم السم الناقع .

ويقول :

وقلت لها بيعي من العيش فانياً ... بباق أُعزِّيها مراراً وأُعْذِلُ
وألقي فضال الشك عنك بتوبة ... حوارية قد طال هذا التفضل[4]
أتتني بتعليل ومنتني المنى ... وقد يقبل الأمنية المتعلل[5]

---

(١) أجنبية : أي تجنباً .

(٢) يمشي الضراء : أي مستخفياً فيما يوارى من الشجر . واختل : أخدع .

(٣) الدعاف : السم . والمثمل : الناقع .

(٤) الفضائل : جمع فضلة وهي من الثياب ما ينام فيه الرجل ويعمل فيه ، والتفضل : التوشح بالثياب . وحوارية : أي صادقة خالصة نسبة إلى الحواري .

(٥) المني : جمع منية وهي ما يتمناه الشخص .

وقــالــت فعــد نـفســك صــابــراً كـما صبروا أي القضـائين يَعْجَـل[1]
أمــوتـاً عــلى حق كمن مــات منهم أبو جعفر دون الـذي كنت تأمـل[2]
أم الغـايـة القصـوى التي إن بلغتهـا فــأنت إذاً مـا أنت والصبـر أجمـلُ
فـإن كـان هـذا كـافيـاً فهـو عنـدنـا وإني مــن غــير اكـتـفــاء لأوجَــلُ
ولــكــنَّ لي في آل أحمــد أســوة وما قد مضى في سالف الدهـر أطول

يقول : إن كان القعود عن نصرتهم كـافياً فنفسي تـأبى أن تبتعد عنهم وتعد الاكتفاء عـاراً . وإني لأوجل حين يقـال قعد عن نصـرتهم . وإني ألوم نفسي في التـأخـر عن نصـرتهم ومـؤازرتهم وأخلع عن نفسي ثيـاب الضعف والمذلة ، وألبس للحرب ثيابها ، وأستعد لنصرتهم .

كلمـا سهّلت لنفسي سبيل النهـوض إلى نصرتهم ، وعقـدت العزيمـة على الخـوض في غمار الحـرب معهم ، تطلعت إلى الغـاية وهي المـوت ، فترجع إليَّ وسـاوسي ، فأرد النفس عن إرادتهـا لأن التعلل بالأمـاني والآمال لذيذ تقبله النفس .

والشـاعر متخيـر في اختيار أي القضـاءين يموت عليهمـا : أموت على حق كمـا مـات أبــو جعفـر الصــادق ، أم الحـرب لإعــادة الحق المهـدور والمضـاع لبني هاشم ، وهـذا يتطلب الصبـر إلى أن يـأتي الله بمـا تـأمـل . وللشاعر فيمـا يتوقـع من مصائب أسـوة حسنة بـآل أحمد أو مـا قد مضى في سالف الدهر من أهل الخير .

ويقول :

عــلى أنني فيـــا يـــريـــد عـــدوهـــمْ من العَرَض الأدنى أَسُـــمٌّ وأسْمُلُ[3]

---

(١) القضائين : الموت أو القتل . يعجل : أي يسبق وعد نفسك .

(٢) وأبو جعفر الصادق . هو محمد الباقر بن زين العابدين علي بن الحسين .

(٣) اسم : أصلح . والوض الأدنى : متاع الدنيا .

وإن أبلغ القصوى أخض غمراتها | إذا كره الموت اليراعُ المهلّلُ[1]
نضحت أديم الود بيني وبينهم | بآصِرةِ الأرحام لو يتبلَّلُ[2]
فما زادها إلّا يبوساً وما أرى | لهم رحِماً والحمد لله توصَلُ
ويضحي أناة والتقيات منهم | أداجي على الداء المريب وأدْمُلُ[3]
وإني على أنى أرى في تقية | أخالط أقواماً لقوم لِمزيلُ[4]
وإني على إغضاء عيني لمطرق | وصبري على الأقذار وهي تجلجلُ
وإن قيل لم أحفل وليس مبالياً | لمحتمل صَبًّاً أبالي واحفِلُ
فدونكموها يآل أحمد إنها | مُقَلَّلة لم يأل فيها المقلّلُ
مهذبة غرار في غب قولها | غداة غدٍ تفسير ما قال مجملُ[5]
أتتكم على حول الجنان ولم تطعْ | لنا ناهياً ممن يثنُّ ويرحلُ
وما ضرها أن كان في الترب ثاوياً | زهير وأودى ذو القروح وجردلُ

يقول الكميت أنه في حبه لآل أحمد يريد الأصلاح في أعدائهم وبعدم الاهتمام في متاع الدنيا وإذا لم يكن الإصلاح سلماً بنافع فإنه يخوض حرباً ضدهم غير هياب أو فزع مما سيحصل له من موت أو غيره، وهو طالما حاول أن يبقي على أواصر الود بينه وبين بني أمية لصلة الرحم بيهم، غير أنهم لم يستفيدوا من نصحه، وما زادوا إلا ضلالاً، ولهذا تخلى عن هذه الأواصر، واتصل مباشرة بالله تعالى وجعل معه وحده تلك الأواصر. ولما كان الشاعر غير قادر على المجاهرة بعدائه لهؤلاء القوم، رايته يضمر لهم الكره والعداوة ويتقي إظهارها خشية من بطشهم وهو يجالس اعداءه حتى لا يرتابوا منه، وتقية من شرهم، ساكناً على الذل

---

(١) اليراع : الجبان. الضعيف. المهلل : الفزع. الغار.
(٢) الأديم : الجلد. والأصرة : الرحم أو القرابة.
(٣) أداجي : من المداجاة. وهي الموارثة. والمريب : الحنيف. وأوصل : أصلح.
(٤) مزبل : مزابل. مفارق.
(٥) مهذبة : أي لا غيب فيها. وغرار : أي واضحة.

والضيم، ولكن عينه من غضبها تكاد تنطق بما في قلبه. يصبر على الضيم واجم لا يتكلم يحتمل الحقد والضغينة لهم وإن كان يظهر المودة بلسانه. ثم ينظم الشاعر هذه القصيدة زلفى لآل محمد، وإن كانت أقل بكثير مما يجب أن يفعله نحوهم، وهو يحمل فيها القول لأنه أنشأها والقلب في حال اضطراب وفزع. ولماذا الفزع وقد مات قبله كثير من الشعراء الفحول المشهورين امثال امرؤ القيس وزهير والحُطيئة.

تلخيص لما جاء به الكميت في الهاشمية الرابعة:

**أولاً**: يستفتح الشاعر هذه الهاشمية بمقدمة يتساءل فيها عن أصحاب الحكمة، والعقول الراجحة الذين يحسبون لعواقب الأمور حسابها. ويتساءل عن ذلك السبات العميق للأمة، وعن الوقت الذي ستفيق فيه، وتنهض ضد مستغليها. وخاصة بعد تعطيل أحكام الله على أيدي اناس طغاة مستبدين.

**ثانياً**: حديث الشاعر عن نفسه وعن من يحبهم ويواليهم من محمد وآله، وكيف أنهم قضوا على فكر الجاهلية ومعتقداتها، وأحلوا فكر الاسلام محلها. والدين الجديد بات أمانة في أعناقهم يدافعون عنه، ويقدمون الأرواح فداءً له.

**ثالثاً**: مخاطبة الشاعر لبني أمية. والطلب منهم أن يأتوا بما عندهم من فكر ويقدم بنو هاشم ما عندهم من فكر أيضاً، فيظهر عندئذ من هو على حق، ومن هو على باطل.

أما بنو أمية فقد طغوا واستبدوا فايتموا الأطفال، واثكلوا الأمهات، ورعايتهم للأمة كرعاية حومل لكلبتها لا يريدون منها إلا الاستغلال، ولا تستفيد منهم شيئاً، وهم أصحاب البدع ينشرونها بين الناس لتضليلهم، وابعادهم عن الدين وعن الحق في مناصرة آل محمد.

رابعاً : توجه الشاعر الى الله تعالى يطلب منه العون في النصر لآل محمد على اعدائهم. ثم يتحدث عن ثورة الحسين وانصاره، واستشهادهم أمام مراى الناس ومسمعهم، ويستنكر ذلك الموقف الذي لم ير له مثيلاً في التاريخ من قبل، ويشير الى أن الناس في مقتل الحسين قد انقسموا قسمين : قسم ركب متن شره وعداوته، وقسم راح يبكي على ضياع الحق وخذلانه.

خامساً : تهديد الشاعر لبني أمية بقوة الهاشميين وتصميمهم على قتال الأمويين لاسترجاع حقوقهم.

سادساً : ذكر صفات بني هاشم. إنهم أهل عدل وإنصاف، فإذا ما آلت الخلافة اليهم أقاموا منازل العدل فيستريح الناس ويشبع الجائع، ويدفأ البائس المقرور. والشاعر يحب هؤلاء، ولا يخاف في نصرتهم لومة لائم. ويلمح الى صلاة القربى مع الأمويين، وانه تخلى عنها لله تعالى.

سابعاً : ذكر قصيدته التي كرسها لمدح بني هاشم، وإن كانت قليلة بحقهم، مع عنايته بنظمها وتهذيبها، بحيث لا يوجد فيها أي عيب.

خصائص الهاشمية الرابعة المميزة :

**أولاً** : تخلية عن مقدمات النسيب والخوض مباشرة بما هو مطلوب.

ثانياً : التخلي عن الأوصاف والألفاظ الجاهلية، واستبدالها بأوصاف وألفاظ إسلامية فهو لأول مرة يتحدث عن الأحكام وتعطيلها، واستخدام لفظ (ملة) وكلام الهداة النبيين مقارنة بين صفات بني هاشم وصفات بني أمية ليكره الناس بهؤلاء، ويحببهم بأولئك.

ثالثاً : فضح بني أمية جهراً بعد أن كان تقية، وتبيان حالة النعيم التي يعيشون فيها، وغيرهم فقير لا يملك شيئاً، وهذا الموقف يحرك شعور الكميت فيندفع لمهاجمة الأمويين. ويتهمهم بأنهم عطلوا الدين، وكتاب

الله تعالى، ورضوا بفعال السوء من أمر دينهم فابتدعوا البدع كما ابتدع الرهبان بدعهم، فحللوا ماء المسلمين، وحرموا قطاف ثمر النخيل المتهدل.

رابعاً : إشارته إلى الثورات ضد الأمويين ، وأهمها ثورة الحسين (ع) واستشهاده هو وأهل بيته وأنصاره جياعاً عطاشاً . والناس تنظر إليهم دون أن تتحرك لنصرتهم ، فيستعجب من أمر هؤلاء .

خامساً: الإشارة إلى بعض الصفعات الجديدة لبني هاشم ، فهم عرى ثقة حيث استقلوا وحلوا . وهم يشفون أهل العمى بالفصح والإرشاد .

سادساً : وصف حالة الشاعر النفسية تجاه آل محمد، فهو لأول مرة يشير الى استعداده للموت دفاعاً عنهم، وتخليه عن التقية، فهو لم يعد يخاف من الموت، ومن الغربان تحجل حوله كما فعل سابقاً، بل هو يتفاخر بأن يكون جسده طعاماً للغربان استشهاداً للدفاع عن حقوق بني هاشم. وهو أيضاً لأول مرة يلمح الى الصراع النفسي بين أن يقوم لمناصرة بني هاشم وهذا يتطلب الموت، أو القعود، ولكنه يفضل الأولى، ويلوم نفسه في التأخر عن نصرتهم ومؤازرتهم ولو كتب له الموت معهم، فهمه أن ينال بنو هاشم حقهم، ويستعيدوا ما فقدوه.

ومناصرته لبني هاشم تعتمد على اللسان واليد في آن معاً، ولهذا نظم قصيدته ليمدحهم ويذكر صفاتهم.

أما من حيث اللغة والبيان :

فمن حيث اللغة نجد غياب كثير من الألفاظ الجاهلية التي كان يستخدمها الشاعر سابقاً والتي كانت تفرضها عليه، وصفه للصحراء، فجاءت الألفاظ في هذه الهاشمية واضحة الى حد بعيد كما نجد الكثير من

الألفاظ الاسلامية تستخدم هنا للدلالة على الفكر الجديد الذي يريد أن يعبّر عنه الشاعر. عطلت الأحكام، ملة، كلام النبيين، الهداة، كتاب الله. آية، بدع. وأما الصور البيانية فنجدها في بعض المواقع. كتشبيه تعطيل الأحكام بمن اتبع غير ملته، تشبيه محبته لآل البيت بالجنة التي تقيه من أي مكروه، تشبيه الخليفة الأموي المصلح بالنوكي الأحمق الطائش. وتشبيه العمل بكتاب الله قسراً بالمركل الذي يضربه راكبه برجله ليسير، وتشبيه بني أمية بحومل واستخدام الطباق في تحل دماء ويحرم طلع، وتعلو وتسفل، وذو سلاح وأعزل.

## الهاشمية الخامسة :

تعكس هذه الهاشمية الآراء التي تعتنقها الشيعة ، والشاعر يظهر فيها متيم بحب الهاشميين . فهي إذن ترتكز على نقطتين : دعوة للهاشميين ، وتبيان ميزات الأئمة .

**أولاً** : الدعوة للهاشميين :

طربت وهل بك من مَطْرَبِ ... ولم تتصاب ولم تلعبِ
صبابة شوق تهيج الحليم ... ولا عار فيها على الأشيبِ
وما أنت إلا رسول الديار ... ولو كُنَّ كالخلل المذهب[1]
ولا ظعنُ الحي إذْ أولجت ... بواكز كالإجْل والرَّبْرَبِ[2]
ولست تصبُّ الى الظاعنين ... إذا ما خليلك لم يصببِ[3]

---

(١) الخلل : واحدها فلة وهي بطانة يغشى بها جفن السيف تنقش بالذهب وغيره.

(٢) الطعن : جمع طعينة. وهي المرأة ما دامت في الهودج. والإدلاج : السير من أول الليل. بواكر: من البكور وهو التعجيل. والأجل الجماعة من البقر. والربرب: القطيع من بقر الوحش.

(٣) الظاعن: الراحل. وتصب ويصبب من الصبابة وهي دقة الشوق وشدته.

فــدع ذكــر من لسـت من شــأنــه ولا هــو مـن شــأنــك المنْصبِ[1]
وهــات الــثـنــاء لأهــل الـثـنــاء بــأصــوب قــولــك فــالأصــوبِ

يتحـدث الشاعـر عن القصيدة فـإذا هو قـد أنشـأهـا والقلب في حـالـة طرب ولعب ولا يدري السـر في ذلك الـطرب، هل هـو من الحب، والشوق الى اللعب بنـاره المحرقـة. وهو مـا فيـه من السن الـذي جعـل شعـر رأسـه يشيب، مما يعيب عليه الصبـابة واللهـو. لكن الواقـع ان صبابتـه لا عارفيهـا لأنها ليست موجهة للهو بل الى حب من نوع آخر يهيج الحلم.

كما أنه لا يتحرك طرباً من أجل رسوم ديار قـد عفا عليهـا الزمن، ولـو كـانت منشأة بـالذهب. ولا للنسـاء الظاعنـات وقـداد لجن وهن من الجمـال كـالأبقار الـوحشية أو الـظباء. ويتسـاءل كيف يصبو الى الخليـل إذا هـذا لم يبادره نفس الشعور. ولهذا ينصح بأن يتخلى كل امـرىء عما هـو يتعبه، ولا يكون من رتبته.

ويقول :

وهــات الــثـنــاء لأهــل الـثـنــاء بــأصــوب قــولــك فــالأصــوبِ
بــني هــاشـم فــهــم الأكــرمــون بنــو البــاذخ الأفضــل الأطيــب[2]
وإيــاهــم فــاتــخــذ أوليـا ء مـن دون ذي الـنـسـب الأقــربِ
وفي حــبــهــم فــأتــهــمْ عــاذلاً نهاك وفي حــبـلـهــمْ فــاحـطبِ[3]
أدى لهم الفـضــل في الســابـقــات ولم أتمــنى ولم أحــســب
مـســابيــح بـيض كــرام الجــدول مــراجيــح في الــرهــج الأصهبِ[4]

---

(١) المنصب : المتعب من النصب.
(٢) الباذخ العالي : أي بنو الشرف العالي والمجد الرفيع.
(٣) فـأتهم عـاذلاً : أي اتهم بســوء النيـة من ينهــاك عن الاتبـاط بمحبتهم. وفي حبهم فاحطب: أي أطع لهم في الأمر وشاركهم في المنافع.
(٤) مسـاميح أو لـو سماحـة وكرم جمـع مسمح. ومـراجيح : أي أولـو رزانة وثبـات في مواطن القتال. والرهج : الغبار. والأصهل: المائل الى الغبرة.

مــواهـيـب لـلمُـنْـفس المسـتــراد     لأمــثــالــه حــين لا مـوهــب[1]

لعـل الشـاعـر يخـاطب نفسـه أو من هـو على شـاكلتـه ممن يحب آل البيت، فيقول له : هات ثناءك ومدحك لهؤلاء حتى نسمعـه، فأنت لا تقـول إلا الصـواب فلا تحـاول التقليـل من المـدح بـل أكثـر منـه. فهؤلاء هم بنـو هاشم أصحاب الشرف العالي، والمجد الرفيع، والكرم الأصيـل. فاتخـذهم أوليـاءك من دون سائـر النـاس، وأطعهم في الأمـر، وشـاركهم في المنـافـع واربط حبلك. بحبـالهم. فإني أرى فضلهم عـظيماً وآثـار أعمالهم خـالـدة، ومــدحي لهم حقيقي ليس بـأمــاني، أو ضـرب من الحسبـان. فهم أهــل السماحة والكرم، كما هم أصحـاب المواقف الثـابتة في القتـال، يوم تصهـل الخيـول، وتثار الغبـار، يهبون مـا غلى ثمنه. ومـا حرص عليـه، في الـوقت الذي يحرص غيرهم على هذه الأمور.

ويقول :

أكــارم غــرٌّ حــســان الــوجــوه     مــطاعــيــم لــلطارق الأجنبِ[2]
وردت مــيــاهــهــم صــاديــاً     بــحــائــمــة ورْدَ مــســتــعــذبِ[3]
فــما حَــلّأتــني عصيّ الــســقــات     ولا قيــل يـا أبعــد ولا يـا أغربِ[4]
ولــكــن بــجــأجــأة الاكــرمــين     بــحــظي فــي الأكــرم الأطيــب[5]
لئـن طــال شــربي بــالأخبــاث     لــقــد طــاب عنــدهــم مشــربي

---

(١) المنفس : الشيء النفيس. والمستراد: المطلوب. وموهوب : أي هبة.
(٢) لطارق: الذي يطرق ليلاً. والأجنب: الغريب. وغر: جمع اغروهم البيض الوجوه والأغراض.
(٣) الصادي: العطشان. والحائمة: الناقة التي تحوم حول الماء.
(٤) لاتني : منعتني.
(٥) بجاجاة الأكرمين: أي بترحيبهم. والجأجاة أن يصوت بالإبل لتشرب .
(٦) الآجنات: جمع آجن. وهي المياه المتغيرة من وقوفها.

أنـــاس إذا وردت بـــحـــــرهـــم صـــواري الـــغـــرائـــب لم تـــغـــرب[1]
ولـــيس الـــتـــفـــحش مـــن شـــأنهم ولا طـــيـــرة الـــغـــضـــب المغـــضـــب[2]

ومن صفـاتهم أي بني هـاشم أنهم مقصـد كـل طـارق في الليـل جـاء يلتمس مأوى يأوي اليه، بيض الوجـوه عند استقبـالهم لكل غـريب يطعمـونه من جوع. ويروونه من عطش، فهم كالنبع العذب الذي تـأوي اليه كـل ناقـة أصابها الصـدى فترتـوي من مائـه، فهي لا تخاف عصي السقـاة أن تطردهـا عن مشـربها، ولا تسمـع قول النهـار لها بـالإبتعاد، ولكن تسمـع تـرحيبهم، وإكـرامهم، وإذا كان الشـاعر قـد شرب الميـاه الآجنة عنـد غير الهـاشميين فهو يشرب المياه الطيبة عندهم، تلك الميـاه التي تطفيء صـدى الظمـآن إذا وردهـا، ولا يجـد من يحـول بينـه وبينهـا، وإذا تلفظ بنـو هـاشم فـإنهم لا ينطقون إلا بـالكلام السـديد الـطيب، البعيد عن الفحش الـذي يتلفظ به من عرف بسؤ الخلق وآفة الغضب.

ويقول:

ولا الـــطعـــن في أعـــين المـقـــبـلين ولا في قـــفـــا المـــدبـــر المـــذنـــب
نـــجـــوم الأمـــور إذا ادْلمـــســـتْ بـــظـلماء ديجـــورهـــا الـــغـيـــهـــب[3]
وأهـــل الـقـــديم وأهـــل الحـــديـــث إذا عـــقـــدت جـبـــوة المحـتـبـي[4]
وشـــجـــو لـــنـفـسي لم أنـــســـه بمـعـتـــرك الـــطف فـــالمجـتـبـي[5]
كـــأن خـــدودهـــم الـــواضـــحـــا ت بـــين المـــجـــر الى المـــســـحـــب

---

(١) الصواري: العطاشى. والغرائب: الإبل الغريبة.

(٢) التفحش: الكلام القبيح الفاحش. وطيرة الغضب: أي الخفة وسرعة الغضب.

(٣) ادلمست: اشتدت ظلمتها. والديجور: الظلام، والغيهب: الأسود.

(٤) الحبوة: أن يجمع الرجل رجليه فيدير عليها ازاره، ويشد طرفه في ظهره، ويعقد كل ركبتيه.

(٥) الشجو: الحزن. والطف والمجتبى موضعان.

صـفـائـح بيض جـلتهـا الـقـيـو ن ممـا تخـيـرن مـن يـثـرب[1]
أؤمّـلُ عـدلاً عسى أن أنـا لَ مـا بـين شـرق الى مـغـرب
دفـعـت لهـم نـاظـري خـائـف عـلى الحق يُقْـرعُ مُسْتَـرهِـبِ[2]

ولا يـطعنـون إلا من نـاصبهم الـولاء، ولا يجهـرون على مـدبـر لاذ بالفرار، وهم النجوم التي تطفيء الدرب للسالكين وقت الـظلمة، وهم أهـل العلم والمعـرفة، فـإذا ما جلسـوا أفـادوا جليسهم عليمـاً بمعـرفـة الحـوادث قديمها وحديثها، ويوصفون بـالرزانـة في التصرف، وليس هنـاك شيء يحزن قلب الشاعر كما هو عندنا يتذكر يـوم الطف والمجتبي عنـدما استشهـد الأمام الحسين وأهل بيته وانصاره، وتناثـرت جثثهم ذات الخـدود الـواضحات بين المجـر الى المسحب، والنســاء البيض الـوجـوه واللواتي زادهن جـمـالاً حـدادهن بالأسـود من الثياب على من قتـل في الطف، وهن من خيـرة نساء يثـرب، والشاعـر يأمـل العدل في قـوله في مـدح بني هـاشم عسى ان ينـال الخير من فعله ما بين شرق الى مغرب، وهـو ينظر الى حقهم الـذي يوشـك ان يضيع بعين الخوف والرهبة.

## ميزات الهاشمية الخامسة :

يعـود الكميت في هـذه الهـاشميـة للحـديث مجـدداً عن الـطرب والصبـابة، واللهـو وكل هـذه الاشياء لا تتـوارد عنده، وإذا مـا تواردت فـإنما من أجل بني هاشم الذين يحبهم، ويعود مجـدداً للحديث عن رسم الـديار. وعن الإدلاج، والربرب، ومنها صفات تذكر بالجاهلية وشاعرها.

---

(١) الصفائح: جمع صفيحة. النصل العريض. والقيون: جمع قين الحـداد. وجلتها: صقلتها.

(٢) المسترهى: الخائف.

وهو يركز على امر مهم هو أن ما يذكره قد يؤدي بالانسان الى الثناء عليها، ولكنها ليست من الأهمية الى الدرجة التي يثنى عليهم كأهل البيت، لأنهم هم الأكرمون، وبنو الباذخ الأفضل الأطيب وعلى الناس أن يتخذونهم أولياء من دون سائر الأقارب والأحباب، وأن الأنسان إذا ما عذل في حبهم فالزداد تمسكاً بهم. لأن لهم الفضل في السابقات، وهم أيضاً أصحاب السماحة والكرم، والعقول الراجحة، والثبات في مواطن القتال، حسان الوجوه، مطاعيم للطارق الأجنبي، ومياههم عذبة المشرب في الوقت الذي فيه الصدى في مياه غيره، وإذا سمعت القول منهم رأيته كلاماً موزوناً لا فحش فيه، وهم بعيدون عن حساسية الغضب، وهم النجوم التي تطفيء للتائهين طريق الصواب، فيهتدون بفضلهم الى طريق الحق، وهم أهل العلم والمعرفة، فإذا ما جلس المرء الى جوارهم استفاد من علمهم ومعرفتهم.

بعد هذا السرد المفصل لفضائل أهل البيت، ينتقل للحديث عن فاجعة كربلاء التي يكرر ذكرها لما لها في نفسه من وقع الألم، ولما هزته في ضمير المسلمين من شعور بالتقصير تجاه أمر هام كان عليهم أن يقفوا منه موقف المؤيد لا موقف المتفرج.

إن هذه الهاشمية جاءت تحمل كثيراً من المعاني والألفاظ التي سبق للشاعر ان أتى على ذكرها في كثير من المواقف، ولكن الشيء الذي يمكن أن نسجله له من تجديد في هذه الهاشمية هو التركيز على استشهاد الامام الحسين في الطف، وما رافق ذلك من اضطهاد لمحبي آل البيت، وبالتالي انتفاضات ضد الأمويين.

## الهاشمية السادسة

وفيها نلاحظ اهتمام الشاعر بمسألة الحكم وفي قضايا أخرى مهمة من الناحية العقائدية . فهو مثلاً يبدأ الهاشمية هذه بحزن شديد لفقدان الخضارم من قريش ، ثم يتحدث عن قضية ( الوصاية ) ، ثم يبدي أخيراً رأيه بقضية ( اللعن ) .

يقول في مقدمة الهاشمية السادسة الكميت وقد بدا مفجوعاً :

نفى عن عينك الأرق الهجوعا وهم يمرّي منها الدُّموعا[1]
دخيل في الفؤاد يهيج سُقْماً وحزناً كان من جذل منوعا[2]
لفقدان الخضارم من قريش وخير الشافعين معاً شفيعا[3]
لدى الرحمن يصدع بالمثاني وكان له أبو حسن قريعاً
حطوطاً في مسرته ومولى الى مرضاة خالقة سريعا

الشاعر محزون وحزنه قد طرد النعاس من عينيه فأصيب بالأرق، وبات يذرف الدموع من عينيه، والسقم يهيج فؤاده، فحرم عليه السرور والفرح. كل هذه الأمور قد انتابت الشاعر لفقدان السادات من قريش، وخير الشافعين اطلاقاً.

وقد اثنى الله تعالى على هؤلاء القرشيين (بني هاشم) ولهذا مدحهم الكميت وقد أختار بمدحه بعد النبي (ص) علياً بن أبي طالب الذي آمن بالله ولم يتبع هواه، ولم تغره الدنيا بغرورها وزخارفها أو تخدعه بلذاتها، وهو ابن عم الرسول.

ويتحدث عن الوصاية لعلي فيقول:

وأصفاه النبي على اختيار بما أعيى الرفوض له المذيعا
ويوم الدوح دوح غدير خم أبان له الولاية لو أطيعا[4]
ولكن الرجال تبايعوها فلم أر مثلها خطراً مبيعا

اصطفى النبي (ص) علياً، فاختاره ليكون أميراً على المؤمنين من

---

(١) الأرق: السهاد. والهجوع: النوم. ويمتري: يجلب. وامترى الناقة: حلبها.
(٢) الجذل: الفرح. السرور.
(٣) الخضارم السادات جمع خضرم.
(٤) الدوح: الشجر العظيم، الواحدة دوحة. وغدير (خم) موضع بين مكة والمدينة.

بعده وخليفة، وذلك يوم غدير خم وخطبة الرسول في هذا الشأن عندما حج حجة الوداع، ولكن أهل المطامع في الحكم اغتصبوها منه، وتبايعوها فيما بينهم. وهي في نظر الكميت أخطر بيعة في التاريخ.

ثم يبين الشاعر وجهة نظره في قضية (اللعن) وبأنها لا تجوز على المسلم فيقول:

فلم أبلغ لها لعناً ولكن ... أساء بذاك أولهم صنيعا
فصار بذلك أقربهم لعدل ... إلى جور وأحفظهم مضيعا
أضاعوا أمر قائدهم فضلوا ... وأقومهم لدى الحدثان ربيعا
تناسوا حقه وبغوا عليه ... بلا ترة وكان لهم قريعا

يستنكر الكميت فكرة اللعنة ولا يجيزها لأحد من قادة المسلمين، وإن كان يعترف بما أقترفه هؤلاء الذين ظلموا علياً بسوء التصرف، فعلي هو أعدل هؤلاء، وأبعدهم عن الجور، وأحفظهم لصنع الحق، وهم بتخليهم عن علي قد خالفوا أوامر قائدهم محمداً (ص) فضلوا عن سواء الطريق ويتناس هؤلاء ما كان قد قاله الرسول لهم، تناسوا حق علي وبغوا عليه وكان لهم السيد والقائد. وأخيراً يبين الشاعر قضية الحكم وكيف اغتصبه الأمويون من الهاشميين ثم يقف موقف المدافع عن حقوق الهاشميين فيقول:

فقل لبني أمية حيث حلوا ... وإن خفت المهند والقطيعا[1]
ألا أفٍ لدهر كنت فيه ... هَداناً طائعاً لكم مطيعا[2]
أجاع الله من اشبعتموه ... وأشبع من بجوركم أجيعا
ويلعن فذَّ أمته جهاراً ... إذا ساس البرية والخليعا[3]

(١) المهند: السيف الهندي. والقطيع: السوط.

(٢) الهدان: الجبان.

(٣) الفذ: الفرد وهو أول القداح يريد به قاتل علي، والخليع الوليد بن عبد الملك.

بـرضي الـسيـاسـة هـاشـمـي | يـكـون حيـاً لأمـتـه ربيـعـا[1]
وليثـاً في المشـاهـد غـير نكْسٍ | لـتقـويـم البـريـة مسـتـطيـعـا[2]
يـقـيـم أمـورهـا ويـذب عـنهـا | ويـتـرك جـدبهـا أبـداً مـريـعـا[3]

الشـاعر يقف هنـا موقف العقـائدي الثـابت الايمان بمـا يعتقد دون أن يخاف ضربة سيف أو طعنة رمح، وهو يلعن الزمن الذي أصبـح فيه بنـو أمية حكاماً للمسلمين، وبات المسلمون مـطيعين لهم. فهم الذين يجيعـون الناس عنـدما تكـون في حكمهم وضيافتهم، فيشبـع الله تعالى من بجـورهم أجيع، ويجيع من أشبعوا، لأن الله تعالى غضب عليهم لما تصرفوا به من جور وظلم، ولعن الله تعـالى من قتـل عليـاً جهـاراً، ويلعن معـه ذلـك الخليـع المـاجـن الـذي مزق القـرآن الوليـد بن عبد الملك. أمـا بنو هـاشم: فهم الذين رضي الله تعـالى عن سيـاستهم، كمـا رضي عنهم سـائـر النـاس من المسلمين، الـذين تنعموا بخيـرهم، وعلي على رأس هؤلاء الهاشميين بعـد رسول الله، فهو الأسد الغالب في ساحات القتال، وصـاحب المشاهـد الكثيرة دفـاعاً عن الاسـلام، ولتقويم مـا عوج من أمـور المسلمين، فهـو يقيم أمـرهم، ويـذب عنهـم، ويحول ما أجدب منها الى خصب وخير.

## خصائص ومميزات الهاشمية السادسة.

لأول مرة يحاول الشـاعر أن يجعـل لهاشميتـه مقدمـة يصف فيها لـوعة قلبه وحزنه تجاه الهاشميين وكيف أنه بـات لا يعرف النـوم من شدة الكـرى، كيف لا يحدث ذلك لـه، وهو يتـذكر مقتـل الأبطال من بني هاشم على أيدي

---

(١) الحيا: الخصب. وربيع: أي كالربيع يعم الرعية بالخيرات.
(٢) النكس: الدنيء المقصر، وأصـل ذلك في السهام، إذ أن السهام إذا ارتدع أو نالته آفة نكس في الكنانة ليعرف من غيره.
(٣) الجدب: القحط. والمريع: الخصب.

اعدائهم، ولأول مرة أيضاً يشير الشاعر صراحة إلى (الـوصية) التي وصى بهـا الرسول يوم غديرخم بعد حجـة الوداع لعلي بن أبي طـالب، وكيف اغتصب حقـه هذا من قبـل أناس شهـدوا بأم العين تلك الـوصية من الـرسـول اليـه. هذه نقطة أثارها الكميت.

النقـطة الثـانيــة هي تلميحـه لمشكلة اللعنــة التي سـارت بين بعض الناس لمن اغتصب الخلافة ويرى أن هـذا الأمر لا يجـوز. وإن كان يعتـرف ضمنـاً بالأجحـاف الذي أصـاب علي، فهو الـذي كـان قـائـداً وسيـداً لهم، أصبحوا هم قادة عليه يسومونه الذل والهوان.

النقـطة الثـالثـة تهجمـه على بني أميـة، والـدعـوة الى الثـورة عليهم، وعدم الخوف من القتل. ثم يذكـر بعض صفات بني أميـة السيئة، ثم يقـابل أفعالهم بأفعال الهاشميين.

ولمـا كان الشـاعر بصـدد الحديث عن مقـارنات بين انـاس وآخـرين، فقد كان عليه أن يستخدم التشبيهـات وغيرهـا من صنوف البـلاغة، فهـو مثلاً يشبـه بني هاشم بـالربيـع الذي يحمـل العـطاء والخيـر للنـاس وتشبيـه علي بـالأسد في المشـاهد، وتشبيـه الأمور بـالأشيـاء التي تقـوم، وأنهـا تجـدب، وتخصب .

وفي مطلع القصيدة تصريح بين الهجوعا والـدموعـا. وهناك طبـاق بين الجور والعدل، وطبـاق بين اجاع الله واشبع وبين اشبعتموه، وأجيعا.

## الهاشمية السابعة والثامنة

في الهـاشمية السـابعة لا يتـطرق الكميت الى القضـايـا السيـاسيـة ؟و العقائدية، وهو كعـادته يتـطرق في الأبيات الأربعـة الأول للهاشميـة للحديث عن سخافة الوقوف على الأطلال المهجورة.

يقول في هذه الهاشمية :

سـل الهمـوم لقلب غـير متبـول ... ولا رهـين لدى بيضـاء عُـطْبُـولِ[1]

ولا تـقف بـديـار الحـي تسـألهـا ... تبكي معـارفهـا ضًـلا بتضليـلِ[2]

ما أنت والدار إذا صـارت مصارفهـا ... للريـح ملعبـة ذات الغـرابيـلِ[3]

نفسي فـداءُ الـذي لا الغـدر شيمتُـهُ ... ولا المعـاذيـرُ منَ بَخْـلِ وتقليـلِ

الحـازم الـرأي والمحمـول سيـرتُـهُ ... والمستضـاء بـه والصـادق القليـلِ

في هذه الهاشمية يعكس الكميت ما كان قد عـودنا عليـه، من أن يبدأ هاشميته بـالسؤال عن مصدر الطرب الذي ينتابه، فـإذا به هنـا يبدأ القصيـدة بـالتساؤل عن مصـدر الحزن الـذي يصيب قلبه، هـل من الحب الـذي وقـع فيـه، أم من هجر حسنـاء له. ثم يحـذر الانسان من الـوقـوف على الأطـلال التي بقيت لديار خربة هجرها أهلهـا، ويبكي عليها، فهـذا عمل كله ضـلال بضـلال. ويسأل من يبكي على الـديار عن أهميـة هذه الـديار، وعن قيمتهـا المادية بعد أن أصبحت الريـاح تلعب فيها، وتنخـل التراب وتسفـه لتزيـل ما بقي من تلك الآثار.

ولعـل الكميت في هذه الأبيـات كان رائـداً لمن جاء بعـده ممن هجـا الـوقـوف على الأطـلال كـأبي نـواس وغيـره، وإن كـان الهـدف بين الأثنين مختلف.

ثم يتحدث الكميت عن الرسـول، ويجعل نفسـه فداءً لـه، فهو الـذي لا تعـرف نفسه الغـدر، ولا تعرف الغـدر في بخـل أو تقليـل. وهـو الحـازم الرأي، المحمود في سيرته، والذي يستضاء بنور هدية، والصادق بقوله.

---

(١) المتبول: الذي تبله الحب أي أفسد قلبه. والعطبول: الحسنة العنق.

(٢) الضل والضلال والتضليل واحد.

(٣) ذات لغرابيل: الذي تنخل التراب وتسفيه. ومعارف الدار معالمها.

الهاشمية الثامنة : ليس لها بداية ولا نهاية ومع ذلك فإنها تعكس آراءه عن الخليفتين أبي بكر وعمر وعن امامه بل الشرعية.

يقول:

أهوى علياً أمير المؤمنين ولا ... ألوم يوماً أبا بكر ولا عمرا
ولا أقول وإن لم يعطيا فدكا ... بنت النبي ولا ميراثه كفرا[1]
الله يعلم ماذا يأتيان به ... يوم القيامة من عذر إذا اعتذرا
إن الرسول رسول الله قال لنا ... إن الإمام عليٌّ غيرمَا هُجُر[2]
في موقف أوقف الله الرسول به ... لم يعطه قبله من خلقه بَشَرا
من كان يرغمه رغماً فدام له ... حتى يرى أنفسه بالترب منعفرا

الكميت يميل في قلبه وعواطفه تحو علي بن أبي طالب فيما يتعلق بقضية الخلافة. غير أنه حذراً في إصدار أي حكم أو موقف من أبي بكر وعمر فيما يتعلق بقضية (فدك) القرية التي قيل أن رسول الله (ص) تصدق بها على فاطمة معتمدين على رأي النبي الذي يقول : نحن معشر الأنبياء لا نورث ما تركناه صدقه، فجعل هذا الخلاف بين أبي بكر وعمر من جهة وفاطمة وعلي من جهة أخرى مردوده إلى الله تعالى يوم القيامة حيث يقضي بين الطرفين، ويسمع عذر الخليفتين فيما اعتذرا به.

هذه قضية في رأي الكميت يمكن تأخير أمرها الى الله ليقضي بها، أما قضية تولية علي كخليفة على المسلمين بعد رسول الله، هذا امر لا يمكن التساهل بشأنه، لأن الرسول الذي لم يجاهر بقضية الميراث، قد جاهر بقضية الخلافة، وأعلن علناً على الناس بالتوصية بعلي

---

(١) فدك: قرية قيل أن النبي (ص) تصدق بها على فاطمة (ع).
(٢) الهجر: القول القبيح وهو مضاف اليه. وهذا يسمى بالاطرق وهو اختلاف المجرى بفتح وغيرة. فيقال: أصرف الشاعر شعره إصرافاً إذا أقوى فيه وخالف بين القافيتين .

خليفة يوم غدير خم ، وهذا التصرف لم يأت من الرسول مباشرة، بل هو من الله تعالى، وهذا أمر في رأي الكميت لم نجده عند غيره من البشر. ويهدد الكميت الذين يقفون ضد هذا التنصيب بأن أنوفهم ستعفر بالتراب جزاءً لهم على فعلهم.

**ميزات هذه الهاشمية.**

ثلاث نقط أثارها الكميت في هذه الهاشمية :

**النقطة الأولى** : المجاهرة بحبه لعلي، وولائه له.

**النقطة الثانية** : وقوفه الحياد بالنسبة لقضية فدك وترك امر ابي بكر وعمر الى الله يوم الآخرة.

**النقطة الثالثة** : مناصرة الإمام علي بالخلافة وعدم التساهل بهذا الأمر لأنه أمر من الله تعالى لا يجوز معارضته.

وأخيراً قطعتان قصيدتان تفيان بمعالجة قضية استشهاد الإمام زيد بن علي بن الحسين مؤلفة كل منهما من بيتين إثنين يأسف فيهما الكميت للنهاية المؤلمة التي وقع فيها الإمام الشهيد.

يقول في الأولى :

يَعزُّ على أحمد بالذي أصاب ابنه أمسي مِنْ يُوسُفِ
خبيثٍ من العصبة الأخبثين وإن قلت زانين لم أقذفِ

يظهر الشاعر تأسفه وحزنه على استشهاد الإمام زيد، وهو يعكس في تصرفه حزن رسول الله على ولده من قتله على يد فاسق ابن زنى هو يوسف بن عمر الثقفي عامل هشام على العراق، وفي ثنايا الشعر تلمس روح الثورة تعصف بالشاعر وتدعوه لإثارة الناس على هذا الوالي الجائر وعلى من عينه بهذا المنصب. وكل هؤلاء معاد لأهل محب لقتلهم للتخلص منهم ومن حقهم بالخلافة الذي اغتصب منهم.

ويقول في الثانية :

دعـاني ابن الـرسـول فلم أجبـه الهـفي لهـف لـلقـلب الـفـروقِ[1]
حـذار مـنـيـةٍ لا بـد مـنهـا وهـل دون المـنـيـة مـن طـريـقِ

يعتـرف الكميت بتقصيره الـذي قصره يـوم دعاه زيـد بن علي للخروج معه ضد الأمويين واعتذار الكميت لـزيد بـأنه يخـاف ان يرى جثتـه وقد القى بها في العراء، وكيف راحت الغـربان تحجـل من حولهـا. فيقول : إذا كـان المـوت لا بـد واقــع، والمنيـة لا بــد أن تجيء فلمـاذا هــذا الخـوف من الموت، والفرار منه، وهل هنـاك طريق يفـرِ إليها الإنسـان هربـاً من الموت. ويتحسر الشاعر على تلك الفرصة التي ضاعت من بين يـديه، وهي الشهـادة مع ابن رسول الله، والفوز بالجنة.

**خصائص هاتين القطعتين :**

ـ رثاء للإمام زيد بن علي ومن خلاله للهاشميين جميعاً، وإبـداء حزنـه الشديد لما جرى لهم.

ـ هجاء من اعتدى عليهم وسلبهم حقهم.

ـ التندم على ما فاته من تأخر في نصرة زيد بن علي والموت معه.

## مذهبة الكميت بن زيد :

مذهبة الكميت قصيدة هجائية طويلة يهاجم فيها شـاعرنـا قبائـل اليمن ذاكراً مثالبها، متطرقـاً الى أحيائهـا وهجاء كـل حي بمعايبـة، مستهزئـاً بهم، في حين نراها في طرف آخر تمجد المضربين وحقدتهم.

وقد أطلقت عليها هذه التسمية (المذهبة) لمقـامها، ومـا كان لهـا من

---

(١) الفروق: الخائف من الفرق بالتحريك وهو الخوف والجزع.

تأثير سياسي في ذلك الوقت. والمذهبة تعني أن كلامها ذو قيمة كالذهب، أو معناها مكلل بالذهب.

وبعد هذه المقدمة بقي أن نتعرف على الظروف التي ساعدت على تأليف هذه المذهبة.

## ظروف تأليف المذهبة :

كان الكميت قبل أن يكون شاعراً شيعياً يتأثر بما يجري حوله من منازعات قبليه ـ وخاصة أن السياسة الأموية كان من أهم أسلحتها إذكاء روح التناحر والعداوة بين القبائل العربية، وبوجه خاص بين عرب الشمال وعرب الجنوب، يقربون هؤلاء، ويبعدون أولئك حسب ما تمليه عليهم المواقف السياسية، هذا الموقف الخاطيء من الأمويين تجاه الناس أوقد الضغائن في النفوس، وأثار الاحقاد، وأحيا العصبيات التي كان الإسلام يحاول جاهداً القضاء عليها. لكن الخرفات التي أذكاها الأمويون بين القبائل، كانت هي العامل الأساسي في دك حرصهم دكاً أبدياً.

إذن وجد الكميت بأرادته أو بغير إرادته نفسه وسط الصراع القبلي يجول مع الجائلين إذا لما يكن بالسيف فبالقلم أو باللسان. وتذكر المراجع الأدبية أن أهاجي الكميت لليمنيين كانت لاذعة، وقد شرعت بالظهور كما يذكر ابو الفرج الأصفهاني أيام كان خالد القسري والياً على العراق كما وسبق وذكرنا، وقد اختلف المؤرخون حول السبب الأساسي الذي من أجله نظم الكميت المذهبة، والأبعاد السياسية التي كان يرمي الى تحقيقها، فبعضهم قال أن الكميت نظم المذهبة تحت التأثير القبلي، فبعد أن شعر الكميت أن قبيلته وأسرته تهانان على لسان الأعور الكلبي شاعر اليمنيين هاج الكميت لذلك فقال مذهبته. ومنهم من قال: أنه كان يريد إذكاء الروح القبلية بين العرب ليكتسب الخصومة ضد الأمويين مما يؤدي الى

زعزعة سلطانهم والقضاء عليه، مما يخدم ذلك عقيدته الشيعية[1].

وسواء كان الأمر هذا أو ذاك، فقد حقق الكميت هدفه في وجهتين :

١ ــ إظهار برعاته الشعرية في الهجاء وإن لم يكن من ميوله المرغوب فيها، وإسكات خصومه من الشعراء اليمنيين.

٢ ــ خدمة فكرة العلوي ، المتمثل بالتمهيد لقيام الثورات ضد الأمويين وانتصاراً للهاشميين ، مما قوض دعائم الحكم الأموي ، وجيء بحكم إن لم يكن علوياً ، فهو من المقربين إليه .

بعد هذه المقدمة عن مذهبة الكميت، بقي علينا أن نتعرف على نص المذهبة، لنقوم بدراستها، ودراسة لغتها ومعانيها.

يقول الكميت في مذهبته[2] .

| | |
|---|---|
| ألا حييت عنا يا مدينا | وهل بأس يقول مسلمينا |
| لنا قمر السماء كل نجم | تشير إليه أيدي المهتدينا |
| وجدت الله إذا سمى نزاراً | وأسكنهم بمكة قاطنينا |
| لنا جعل المكارم خالصات | وللناس القفا ولنا الجبينا |
| وما ضربت هجائن من نزار | فوالج من فحول الأعجمينا[3] |

---

(١) المسعودي : مروج الذهب ج ٦ ص ٤٢ والأغاني ج ١٥ ص ٢٨ .

(٢) الخصائص ج ١ ص ٣٢٦ ومن ذلك الحكاية عن الكميت وقد افتتح قصيدته التي أولها : (ألا حييت عنا يا مدينا) ثم أقام برهة لا يدري بماذا العجز على هذا الصدر الى أن دخل حماماً وسمع إنساناً داخله فسلم على آخر فيه فأنكر ذلك عليه، فانتصر بعض الحاضرين له فقال: او هل بأس بقول (المسلمينا) فأهتبلها الكميت فقال: (وهل بأس بقول المسلمينا) (انظر للسان عجز).

(٣) الفوالج : جمع فالج. شلل يحدث في أحد شقي البدن. الجمل ذو النامين. الغالب الغائر من السهام.

| | |
|---|---|
| ومــا حملوا الحمير عـلى عتــاقٍ | مــطهــرة فـيلفــوا مـبـغـليـنــا |
| ومـا سمـوا بــإبـرهــة اغتبـاطــاً | بشــرختــونــة مـتــزينـبينــا[1] |
| ومــا وجــدت نســاء بني نــزار | حــلائـل أسـودي واحمـــرينــا |
| ومـن عـجـب عــليّ لـعـمــر أم | غــذتــك وغيـرهــا تتــايمنينـا |
| تجــاوزت المـيــاه بــلا دلـيــل | ولا عـلم تـعـسف مخـطئـينــا |
| فــإنــك والتحــول مـن معــد | كـهيئــة قـبلنــا والحـالبينــا[2] |
| تخــطف خيــرهم حلبــاً ونشئــاً | إلى الــوالي المـغــادر هــاربيـنــا |
| كعنــز السـوء تنـطح عــالفيهــا | وتــرميهــا عصي الـذابحينــا[3] |

يبدأ الشاعر قصيدته بالتحية والتسليم على من أحب، ملفتاً النـظر الى ما سيقوله، شأنه في ذلك شأن أولئك الخطباء والشعراء الذين يحـدثون امـراً مـا يلفتون بـه أنـظار السـامعين والمشاهدين لشدهم الى مـا سيقـولـونـه، ثم يبدأون الحديث عن الموضوع الـذي هو محـور ما سيتحـدثون عنـه. وهكذا فعل الكميت؛ فقد حـاول أن يلفت السامعين الى مـا سيقولـه لأن ما سيقـوله أمـر عـظيم يتعلق بـالحـديث عن قـومـه، والتفـاخـر بهم، ثم الحـديث عن أخصامه وهجائهم؛ أما قومه فقـد خصهم الله بمزايـا لم يخصها لأحـد قبلهم ولا بعدهم، فقد خصهم بالقمر ليكـون ملكاً لهم، وليس القمـر فحسب، بل كـل نجم في السماء تشيـر اليه أيـدي الضالين ليهتـدوا به. وكـان قـومـه هم أيضـاً تلك النجوم التي يهتـدي بها سـائر النـاس الى طـريق الخيـر والحق. والله تعالى قد خص نزاراً بالتسميـة حين أسكنها مكـة، وجعل البيت الحـرام

---

(١) ختن يختن ختوناً وختونة: تـزوج اليه صـاهره. إشـارة هنا الى زواج ابـرهة من أهـل اليمن.

(٢) التاج: هيلة اسم عنزة كانت لامـرأة في الجاهليـة، كانت من أسـاء اليها درت لـه، ومن أحسن إليها نطحته ومثل المثـل (هل غيـر حالبينـك تنطحين) يضـرب لمن أبى الكرامة وقبل الهوان قال يخاطب بجيلة.

(٣) شعر الكميت بن زيد الأسدي. جمع تقديم الدكتور داود سلوم مكتبة الأندلس بغداد طـ ١٩٦٩.

تحت وصاية أبنائها يخدمونه، ويخدمون من في مكة تقرباً الى الله تعالى، وبنو نزار قد اختصوا بخصائص طهرهم بها الله تعالى، حين أبعدهم عن الوقوع بما وقع فيه غيرهم من أهل اليمن حين زوجوا الاعاجم، واستخدموا الحمير والبغال، ثم صاهروا ابرهة ملك الأحباش بتزويجه من بناتهم. أما نساء وفتيات بني نزار فلم يمسهم إلا من هم أقرب الناس اليهم من قومهم، أو أقاربهم. ثم يحاول الشاعر أن يضرب المثل عن قومه وأخصامهم، فإذا قومه مخلصون للناس محبون لهم كرماء، أما أهل اليمن فهم الذين يتفاخرون بابرهة وبتزويج إحدى بناتهم له، وهو ما عرف عنه من مواقف ضد العرب ودينهم الحنيف، وبدلاً من أن يثوروا لكرامتهم ضد هذا الرجل لاغتصابه عرضاً من اعراضهم، واجتياح أرضهم نراهم يفعلون كما تفعل العنزة (هيلة) التي لا تقوى إلا على المحسنين إليها فإنها تركلهم برجليها إذا ما أرادوا حلبها، وتفعل العكس من ذلك مع من يضرّ بها، فإنها تنصاع لهم وتتركهم يحلبونها، ويتنعمون بحليبها، أو هم كعنزة السوء التي تنطح من يقدم لها العلف، ولكنها تنصاع طائعة لمن يضر بها بالعصي ويقودها إلى المسلخ لذبحها.

ولعل القسوة التي خاطب بها الكميت اخصامه من أهل اليمن، وخاصة ما يتعلق بالتعرض لنسائهم، أحزنته في آخر أيامه، وجعلته يندم على ما فعله، ويتضح هذا من قوله لابنه المستهل: يا بني وددت أني لم أكن هجوت نساء بني كلب بهذا البيت:

مع العضروط والعسفاء القوا　　　برادعهن غير محصنينا[1]

فنساء بني كلب تستلم في أعراضها لكل لئيم خسيس وظالم، وهذا الوصف في غاية التحقير والاهانة.

---

(١) الأغاني ج ١٥ ص ١٣٠. العضاريط: ج عضارط. الخادم أو الأجير. اللئيم. العسف: الظلم.

رأينا في دراستنا لشعر الكميت في مدح بني هاشم الأساليب البلاغية، والحجج المنطقية التي استخدمها ليبين حقوقهم وفضلهم على الناس أولاً، والصفات التي اتصفوا بها ثانياً.

بقي علينا أن نرى شعره في مدح الأمويين لنقوم بعدها بمقارنة بين موقفيه نحو الهاشميين ثم نحو الأمويين لنبين في أيهما كان أصدق شعوراً وعاطفة، وأكثر اجازة وبيّنة.

إن أول ما يطالعنا من شعر الكميت في مدح بني أمية هو قصيدته التي قيل أنه ارتجلها أمام هشام بن عبدالملك بعد هروبه من السجن الذي أمر هشام بوضعه فيه بعد سماعه قصيدة الكميت التي يقول فيها:

فيا رب هل إلا بك النصر يبتغى ويا رب هل إلا عليك المعولَ

وهو يرثي فيها زيد بن علي، ويمدح بني هاشم، فلما قرأها هشام اكبرها وعظمت عليه، واستنكرها، وكتب الى خالد القسري يقسم عليه أن يقطع لسان الكميت ويده، فهرب الكميت فترة من الزمن وعاد ليمدح هشام ويسترضيه ليصفح عنه.

فقال الكميت أولاً يمدح هشاماً:

قف بالديار وقوف زائر وتأنّ إنك غير صاغِرْ[1]

ومضى فيها حتى انتهى الى قوله:

ماذا عليك من الوقو ف بها وأنك غير صاغرْ
درجت عليها الغاديا ت الرائحات من الأعاصرْ
فالآن صرت الى امية والأمور الى المصايرْ

---

(١) الصاغر: المهان. الراضي بالذل.

وقد أثارت هذه القصيدة اعجاب هشام، واطربته فراح لا شعورياً يغمز مسلمة بقضيب في يده، فيقول : إسمع، إسمع، ثم استأذنه في مرثية ابنه معاوية فأذن له فأنشده قوله :

سأبكيك للدنيا وللدين إنني رأيت يد المعروف بعدك شلت
فدامت عليك بالسلام تحية ملائكة الله الكرام وصلت

فبكى هشام بكاءً شديداً فوثب الحاجب فسكته، ثم جاء الكميت الى منزله آمناً(1).

الأبيات الأولى يتحدث فيها الكميت عن الديار التي هجرها أهلها، واصبحت قفراً تروح عليها الأعاصير وتغدو، وهذه الديار لا تعنيه في شيء، فهو يمر عليها مرور الزائر المتحول الى بني أمية، وهم الذين تحول الملك عن غيرهم اليهم.

وأما الأبيات التالية والتي يرثي فيها معاوية بن هشام، فهو يبكيه للدنيا وللدين؟ أما الدنيا فتبكيه لأن يد المعروف بعد موته قد شلت، وأما الدين فيبكيه لأنه بفقدانه فقد من يحن على الفقراء والمساكين تقرباً من الله تعالى.

ومن مدح الكميت للامويين قوله مخاطباً هشام بن عبد الملك :

كم قال قائلكم لعا لك عند عثرته العاثرْ(2)
وغفرتم لذوي الذنوب من الأكابر والأصاغرْ
أبني أمية إنكم أهل الوسائل والأوامر
ثقتي لكل ملمة وعشيرتي دون العشائر(3)

---

(1) الأغاني طبعة بولاق ج ١٥ ص ١١٦.

(2) اعالك : دعاء للعاثر يعني : أنعشك الله ونجوت.

(3) الملمة : المصيبة الشديدة من مصائب الدهر.

أنتم معادن للخلا   فة كابراً من بعد كابر[1]
بالتسعة المتتابعين   خلائفاً وبخير عاشر
والى القيامة لا تزا   ل لشافع منكم وواتر[2]

يحدد الكميت في هذه الأبيات بعض صفات بني أمية فإذا هم يعينون العاثر، ويغفرون الذنوب الكبيرة منها والصغيرة، وأنهم أهل الوسائل والأوامر، وهم ثقة الشاعر لكل مصيبة يقع فيها، وهم أيضاً عشيرته لتي ينتمي اليها دون سائر العشائر.

والأمويين أهل الخلافة يرثونها شريفاً كبيراً عن شريف كبير، وقد تعاقب على الخلافة تسعة من هؤلاء وهشام عاشرهم. وهذه الخلافة ستبقى معهم الى يوم القيامة.

وفي بني أمية خاصة وقريش عامة يقول الكميت :

إلى آل بيت أبي مالك   مناخ هو الأرحب الأسهل
نمت بأرحامنا الداخلا   ت من حيث لا ينكر المدخل

ويقول :

بمرة والنضر والمالكين   رهط هم الأنبل الأنبل
وباري خزيمة بدر السما   والشمس مفتاح ما نأمل
وجدنا قريشاً قريش البطاح   على ما بنى الأول الأول
بهم صلح الناس بعد الفساد   وحيص من الفتق ما رعبلوا

فالشاعر كغيره من الناس يحط رحاله في بيت أبي مالك لأنه الأرحب

(١) توارثوا المجد كابراً عن كابر : أي كبيراً شريفاً عن كبير شريف.
(٢) الأغاني طبعة بولاق ج ١٥ ص ١١٨.
(٣) وقع في حيص : أي في شدة.
(٤) الأغاني طبعة بولاق ج ١٥ ص ١١٨.

من غيره والأسهل في الوصول اليه، فأهل هذا البيت هم أرحام الشاعر. وهذا ما لا ينكره دخيل ثم يعدد الكميت بعض القبائل العربية وصفاتها الحميدة، ثم يذكر أن قريش هي رأس القبائل وسيدتهم على بطاح مكة وما حولها، فبقريش صلح الناس بعد فسادهم. وأمن الناس بحماهم.

ويمدح الكميت الأمويين مشيراً الى بعض رؤسائهم فيقول :

فالآن صرت إلى أميـ ـة والأمور إلى المصائر
والآن صرت بها المصيـ ـب كمهتد بالأمس حائر
يابن العقائل للعقائـ ـل والحجاحجة الأخيار
من عبد شمس والأكا بر من أمية فالأكابر
إن الخلافة والآلا ف برغم ذي حسد وواغر
دلفا من الشرف التليـ ـد إليك بالرفد الموافر

فالكميت يتحول في هذه الأبيات من معاداة بني أمية الى مناصرتهم، وهو في المرحلة الأولى كان ضالاً وفي المرحلة الثانية أصبح مهتد. ثم يتوجه الى هشام مادحاً شخصياً وأسرته، فإذا هم أهل الحجا والعُقَّل الأخيار، يتسلسلون من عبد شمس وفيهم الضرة والرفقة، مما جعلهم أكثر الناس حقاً بالخلافة رغم حسد الحاسدين وحقد الحاقدين، فهم يتحدرون من شرف قديم، وهذا الشرف انتقل الى هشام بالوراثة ولهذا كانت منزلته في قلب البطحاء وكان غيره في ظواهرها

ويتوجه الكميت الى هشام بمدحه ومدح أبيه وجده فيقول :

أورثته الحصان أم هشام حسباً ثاقباً ووجهاً نضيرا
وتعاطى ابن عائشة البد فأمسى له رقيباً نضيرا
وكساه أبو الخلائف مروا ن سنا المكارم المأثورا
لم تجهم له البطاح ولكن وجدتها له معاناً ودورا

وكان هشام متكئاً فاستوى جالساً وقال : هكذا فليكن الشعر[1] .

فهشام يستمد الحسب الثاقب والوجه النضير من فرع أمه ، وأخذ صفة بدر المنير من أبيه ، وأما جده أبو الخلائف فقد كساه رفعة المكارم المأثورة والبطاح لم تجهم لهشام البطاح ولكن سرت به كما سرت معان الدور .

هذه النماذج من الشعر التي سقناها لنبين فيها أسلوب الكميت في مدح الأمويين، نجدها مرتجلة، جاءت تعبر عن مواقف معينة كان الشاعر فيها محرجاً أمام من اتهم بمعاداتهم، فنجح في اكتساب رضاهم والصفح عنه، ولكن هناك نموذج آخر من الشعر جاء هو أيضاً ليبين رأي الكميت في الأمويين ولكن بإسلوب آخر، إنه أسلوب من اختمرت التجربة في نفسه، وبانت له أمور استوجبته الوقوف عندها وبمعنى أوضح أراد أن يدافع عن نفسه وعن موقفه السياسي والعقائدي، وأنه لا يستحق تلك المعاناة التي اجبر على تحملها. هذا النموذج هو شعره في ملحمته.

## ملحمة الكميت :

لسنا بصدد الخوض في تحديد مفهوم الملحمة ، فهذا أمر قد قيل فيه الكثير حتى بات ذكره أمراً مبتذلاً والمهم في الأمر معرفة الملحمة بأنها قصيدة طويلة ، وهذه القصيدة الطويلة التي نظمها الكميت جاءت تحمل ثلاث عناوين بارزة :

(١) ملاحظاته الشخصية في أمور تجري من حوله سياسية ودينية .
(٢) رأي الشاعر في ما يجري حوله من آراء الناس .
(٣) مديحه للقرشيين .

---

(١) الأغاني طبعة بولاق ج ١٥ ص ١١٩ .

(١) : ملاحظات الشاعر الشخصية :

يقول الكميت :

ألا لا أرى الأيامُ يقضي عجيبُها بطول ، ولا الأحداث تُفْنِ خُطوبُها
ولا عِبَرَ الأيام يَعْرفُ بَعْضَها ببعض من الأقوام إلاَّ لبيبُهَا
ولم أَرَ قول المرء إلاَّ كنبله به وله محرومها ومصيبُها
وما غَبَنَ الأقوام مثل عقولهم ولا مثلُها كسْباً أفاد كَسُوبُها
وما غُبِنَ الأقوام عن مثل خطة تَغَيَّبَ عنها يوم قيلتْ أريبُها
ولا عن صفاة النِّيقِ زَلَّتْ بناعل ترامى به أطوادُهَا ولُهوبَها[١]

يستفتح الشاعر قصيدته ( بـألا ) التي للعرض والتحضيض ، ومعناهما : طلب الشيء بلين وبحث[٢] . تساءل عن سر هذه الأيام التي تمر مع ما تحمله من عجائب ، وما تنطوي عليه من أحداث دون أن يعبأ بها أحد ، والأيام فيها الكثير من العبر لا يقتنصها إلاَّ صاحب العقل الراجح من الناس .

والمرء يتفوه بكثير من الكلام الذي هو أشبه ما يكون بالنبل المتساقط على الناس ، فبعضها يصيب وبعضها الآخر يخرج طائشاً لا يلوي على شيء . والمرء لا يقيم إلاَّ بعقله ، فيجل ويحترم إذا كان العقل راجحاً ، ويغبن ويذل إذا كان العقل ناقصاً . فبالعقل تكتسب المعرفة بالأشياء والاستمتاع بها .

وبدونه لا منفعة من الإنسان . والناس يغبنون عندما يرون طريقاً صالحاً يجب سلوكه لمنفعتهم ثم تراهم يحيدون عن هذه الطريق بالتخلي عنها ، فيخسرون من المنافع ما لا يستطيعون تعويظه فيما بعد .

---

(١) الصفاة : الصخرة . النيق : أرفع موضع في الجبل . الناعل : حمار الوحش لصلابة حافره .

(٢) معنى اللبيب ج ١ ص ٦٩.

وما أشبه هؤلاء بالحمار الوحشي الذي زلت به قدمه عن صخرة صماء في أعلى الجبل . فخرّ إلى أسفل الوادي .

ويقـول :

وتفنيدُ قول المرء شين لرأيه ... وزينة أخلاق الرجال وظوبُها؟[١]

وأجهل جهل القوم ما في عدوهم ... وأقبح أخلاق الرجال غريبها

رأيت ثياب الحلم وهي مُكَنَّسة ... لذي الحلم يعرى وهو كاس سليبها[٢]

ولم أر باب الشر سهلاً لأهله ... ولا طرق المعروف وعثاً كثيبُها[٣]

وأكثر ما أتى المرءِ من مُطمأَنه ... وأكثر أسباب الرجال ضروبها

ولم أجد العيدانُ أقذاءَ أعينٍ ... ولكنها أقذاؤها ما ينوبُها

من الضيم أو أن يركب القوم قومَهم ... ردافاً مع الأعداء، إلباً ألوبُها

ومن المعايب التي تعيب رأي الإنسان هي تخطيئه في رأيه ، ومن المحاسن التي تزيّن الإنسان هي مواظبته على فعلها ، وأجهل الجهل في الإنسان هو أن يجهل ما يكنه له عدوه فلا يأمن شره . وأقبح ما في الرجال أخلاقها الغريبة الغير منسجمة مع الواقع المحيط بها . والرجل الحليم يستر عورته بحلمه ، فلا يرى الناس ما فيه إلاّ الحسن ، أما من فقد الحلم فهو عار مفضوح أمام أعين الناس وباب الشر يجب الحذر من الدخول عبره ، فهو يقود إلى ما لا تحمد عقباه ، بعكس ما يتصور أصحاب العقول الضعيفة الذين يقعون فتهان كراماتهم ، وطرق الخير سهلة ميسرة ، وإن بدت خلالها بعض العقبات ، فإن المرء قادر على تجاوزها بسهولة ويسر . والمرء كثيراً ما يصاب بالسوء من الأماكن التي يطمئن إليها . ولهذا عليه أن يكون حذراً من أكثر الأماكن اطمئنان . كما عليه أن يختصر السبل ،

---

(١) فُند تفنيداً : خطأ رأيه. شان يشين شيناً : عيبه. الوظوب : المداونة.

(٢) كنَّ يكن كنا الشيء : ستره. عطاه.

(٣) وعث : الطريق تعثر سلوكه.

لأن تعدادها ، وتشعبها توقعه بالمتاهات ، والمآزق التي لا يحمد عقباها وما يصيب المرء من أَذَىً في عينيه فليس من الضرورة بما وقع فيها من قذىً ، بل يمكن أن يكون من الضيم الذي يلحق به ، أو من اعتداء الناس بعضهم على بعض ، أو من الوقوف مع الأعداء ضد الأهل والعشيرة .

في البيتين الأخيرين تضمين ، والتضمين أن تتعلق القافية أو لفظة مما قبلها بما بعدها[1]. وقد تعلّقت القافية في البيت الما قبل الأخير ، بالبيت الأخير الذي فسر معنىٰ القافية التي ما قبله بذكر كلمة الضيم وما بعدها .

(٢) رأي الشاعر فيما يجري حوله :

| | |
|---|---|
| رامتني قريش عن قِسي عداوة | وحِقْدٍ كأنْ لم تدر أني قريبها |
| تُوقِّعُ حولي تارة وتصيبني | بنبل الأذى عفواً، جزاها حسيبها |
| وكانت بسواغاً إن عثرت بغُصَّةٍ | يضيفُ بها ذَرْعاً سواها طبيبها[2] |
| فلم أتسعُ مما كان بيني وبينها، | ولم تكُ عندي كالدَّبور جنوبُها[3] |
| ولم أجهل الغيث الذي نشأت به | ولم أتضرعْ أن يجيءَ غُضُوبُها[4] |
| وأصبحت من أبوابها في خطيطة | ولا ذنب للأبواب مَرَّتْ جديبُها[5] |

الشاعر متألم وحزين مما يلاقيه من أذى وبوجه خاص من قريش ولعلَّ قريش هنا يعني بهم الأمويين الذين هم من قريش ، والذين ناصبوه

---

(١) العمدة لابن رشيق ج ١ ص ١٧١ . (باب القوافي).
(٢) السواغ : من ساغ الشراب : هنأ وسهل.
(٣) الدبور : الريح الغربية.
(٤) تضرع إليه : ذلل له.
(٥) الخطيطة : الأرض لم تمطر بين أرضين ممطورتين. المرت : أرض لا نبات فيها.

البغضاء والعداوة لا لشيء إلّا لأنه يحب بني هاشم ، وهم أقارب الأمويين . فالأمويون يرمون الشاعر بنبال الأذى ، ويترقبون الفرص للإيقاع به ، وهؤلاء الأمويين كان يتودد إليهم الشاعر ، وينال منهم الخير كلما كان في حاجة إليه ، وكلما تقاعس الناس عن قضاء حاجته ، وجدها عندهم .

وهو لا يسعى إلى إذكاء الكراهية والبغضاء بينه وبين الحكام الأمويين، بل هم الذين اتخذوا منه ذلك الموقف، ولم يكن هو أيضاً كالريح الغربية المعارضة لريحهم الجنوبية .

ولم يجهل الشاعر الغيث الذي نزل عليه من الأمويين، وتمتع به هو، ولم يفكر يوماً بالإبتهال من أجل إبعاد غضبها عليه لأنه غير موجود ولم يشعر به في يوم من الأيام وهو في أرض جدباء قريبة من أرضهم المعطاءة، وهو كله أمل بالانتقال من أرضه إلى أرضهم، وهو لا يفكر أبداً بأن تكون أبواب الأمويين موصدة دونه .

ويقول :

| | |
|---|---|
| وللأبعد الأقصى تلاعٌ مريعة | أقام بها مثل السَّنام عَسيبها[1] |
| رمتني بالآفات من كل جانب | وبالدربياء مُرْدُ فِهْر وتشيبُها[2] |
| بلا ثبت إلا أقاويل كاذب | يُحرّبُ أسْدَ الغاب كفتا وثوبُها[3] |
| لَعَمْرِ أبي الأعداء بيني وَبَيْنَهَا | لَقَد صادفوا آذان سَمْع تجيبُها |
| فلنْ تجدُ الآذان إلا مطيعة | لها في الرِّضا، أو ساخطات قُلُوبها |
| أفي كل أرض جئتُها أنا كائن | لخوف بني فهر، كأني غريبها |

---

(١) العسيب : جريدة النخل .

(٢) الدربياء : ليس لهذه اللفظة وجود في المعاجم، ولعله أراد بها الدواهي أو مكان معين .

(٣) يحرب : يثير، كفتاً : سريعاً .

يلاقي الكميت ما يلاقيه من قريش وهو القريب منهم، بينما الأباعد من الناس يجدون عندهم المأمن وكأنهم في حصن من حصون الجبال، وراح بنو قريش يرمون الشاعر بكل ما هو ضار من كل حدب وصوب، وشارك في إيذائه مرد قبيلة (فهر) وشيبانها، أي شبابها وشيوخها، كل ذلك حدث منهم لمجرد أنهم يسمعون الوشايات، والأقاويل الكاذبة حتى أصبحت هذه الوشايات وتلك الأقاويل عامل إثارة للقرشيين، فثاروا واستعدوا للوثوب عليه كأسد الغابة، ويعترف الكميت بمرارة أن الوشايات والأقاويل الكاذبة قد صادفت عند القرشيين آذاناً صاغية وتقبلاً، مما أوجد الشرخ الكبير من العداء بينه وبينهم. وتلك الأذان من قريش ترضى رضا اعداء الكميت عليه، وتغضب لغضبهم فتسخط عليه قلوبهم، وهو يتساءل أفي كل أرض أصبح ينزل فيها يجد الأعداء من بني فهر وصار يخاف بطشهم وكأنه بات غريباً عنهم.

ويقول :

| | |
|---|---|
| وإن كنت في جـذم العشيرة أقبلتْ | علي وجوه القوم كُرْهَا قطوبُها[1] |
| بني إبنة مُرًّا! أين مُرَّةَ عنكم | وعنَّا التي شعباً تصبر شعوبُها |
| وأين أبنها عنا وعنكم، وبعلُها | خزيمة، والأرحام رعثاً جؤوبُها[2] |
| إذا نحن منكم لم ننل حقَّ أخوة | على إخوة لم يخشى غشاً جيوبها |
| فأية أرحام يعاذ بفضلها | وأية أرحام يؤدي نصيبُها |
| لنا الرحِمُ الدُّنيا وللناس عندكُمْ | سجال وغيبات اللُّهى وذنوبها[3] |

يستمر الكميت في وصف حالته النفسية تجاه ما يعانيه من بني أمية خصوصاً، وقريش عموماً فيقول : أنه ولو كان من أصل العشيرة، فإنك

---

(١) الجذم من الشيء : الأصل.

(٢) وعثاً : شديداً. جؤوبها : قطعها.

(٣) الرغيبات : الوساع. اللهى. العطايا. الذنوب : الدلو التي لها ذنب.

ترى أبناء هذه العشيرة ينظرون اليه، وقد قطبوا الجبن كرهاً له، ويسأل بني مرة عن سبب التباعد بين قدمه وبينهم، وكيف حول الخلاف هذه القبائل الى شعب مختلفة، كما يسأل بني جذيمة عن واقعه منهم، وكيف أن الأرحام وطيدة الصلة بين قومه وبين هذه القبيلة. ويوجه الشاعر أخيراً تحذيره لهذه القبائل بأنه إن لم ينل منهم المودة التي تستوجبها الأخوة، فإنه لن يعد يرى ما يحول بين هذه القبائل وبين انتشار الغش في صفوفها. ويتشاءل أية أرحام هي تلك التي يعاذ بفضلها، وأية أراحم أخرى هي تلك التي يؤدي لها نصيبها. وغيرهم إن على أساس المصلحة، أو المنفعة كما يفعل غيرهم. وهؤلاء الذين ينعمون بالخير على من يظمر لهم الشر ويبث لهم السوء هم الذين يناصبون الكميت العداوة، ويشنون عليه الحرب ليقتلونه لا لذنب ارتكبه بحقهم، بل لمجرد سوء الظن به. ويتوعد هؤلاء بالقصاص منهم وممن يحبونهم وبأنهم سيركبون الخيل ويشنون عليهم الحرب.

ويقول :

| | |
|---|---|
| ملأتم حياض الملحمين عليكم | وآثاركم فينا تصب ندوبها[١] |
| ستلقون ما أصبتم في عدوكم | عليكم، إذا ما الخيل ثار عصوبها[٢] |
| فلم أر فيكم سيرة غير هذه | ولا طعمة إلا التي لا أعيبها |
| ملأتم فجاح الأرض عدلاً ورأفة | ويعجز عني، غير عجز رحيبها |
| قطعتم لساني عن عدوتنا، لكم | عقاربه تلدائمها ودبيبها[٣] |
| فأصبحت فدماً مفحماً، وضريبتي | محالِفُ إفحامٍ وعي ضريبها[٤] |

---

(١) الملحمين ؛ من ألحم بين القوم شراً. جناه لهم. أو من الحمه القتال : لم يجد منه مخلصاً ندوبها : آثار جراحها، الواحد ندب وندبة.

(٢) عصوبها : غبارها، من قولهم. عصب الغبار الجبل إذا أحاط به.

(٣) قطع لسانه من الكلام : منعه.

(٤) الفدم : العيي في الكلام، المفحم، من أفحمة : أسكته، والمفحم : من لا يقدر

وسيرة بني أمية نحو الكميت أن لا يصيبه أي عطاء من عطاياهم، وهم ملأوا الأرض عدلاً ورأفة نحو الناس، في حين يجد التقصير ظاهراً نحوه، ومن نتائج هذا الموقف من الأمويين نحو الشاعر أنه وقف عاجزاً عن الدفاع عن نفسه تجاه عدوه ومبغضية الذين ينال من كلامهم الأذى كلدغات العقارب، وأصبح لسانه لا ينطق بالشعر الذي يمكن أن يعبر فيه عن مشاعره نحوى بني أمية.

(٣) مدح القرشيين

فأرحامنا لا تطلبنكم فإنها ... عوائم لم يهجع بليل طليبها[١]

إذا نبتت ساق من الشر بيننا ... قصدتم لها حتى يجز قضيبها

لتتركُنا قُربَى لؤي بن غالب ... كسامة إذا اودْتْ وأودى عيّبها[٢]

فأين بلاء الدين عنا وعنكم ... لكل أكفّ حاقنات ضريبُها

ولكنكم لا تستثيبون نغمة ... وغيرُكم من ذي يد يستثيبها

وإن لكم للفضل فضلاً مبرزاً ... يَقصرُ عنكم بالسّعاة لُغوبُها[٣]

جمعنا نفوساً صاديات اليكم ... وأفئدة منا طويلاً وجَيبُها

فثائبة ما نحن يوماً، وأنتم ... بني عبد شمس، أن تفيئوا، وقوبُها[٤]

وهل يعدون بين الحبيب فراقه ... نعم، داءُ نفس أن يبين حبيبها[٥]

ولكن صبراً عن أخ لك ضائر ... غراء إذا ما النفس حن طرُوبها

يقول الشاعر: أن روح الكميت، وأرواح قومه، لا تهدأ أو تهجع،

---

أن يقول شعراً. ضريبتي: طبيعتي، ضريبها، نصيبها.

(١) عوائم: الواحدة عائمة.

(٢) كسامة: أي كبني سامة.

(٣) الحاقنات استثابه؛ من حقن دمه: إذا انقذه من القتل.

(٤) استثابه: ساله ان يثيبه: أي يجازيه. وذو اليد: ذو الاحسان.

(٥) لغوبها: شدة احيائها.

إلا وهي تـركب المطي سعيـاً الى ديـار القـرشيين، لمـا بينهم من صلة الأرحـام. وإذا مـا حصـل شـر بينهمـا رأيت القـرشيين يسعـون جـاهـدين لستأصال ذلـك الشر، وبنـو لؤي بن غالب لا يتـركوننـا فنهلك كما هلك بنـو سـامـة من تـركهم لأهليهم ومقـربيهم. ثم يتسـاءل الكميت مـوجهـاً خـطابـه للقـرشيين عن فارق الـدين الذي يفـرق بينهم وبين الكميت، ويتساءل أيضـاً عن المانع من وقف الأذى بينهم حقنـاً للدماء. ثم يقـول للقرشيين مـادحاً أن تجيـزون الناس العـطاء قبل أن يسـألونكم ذلـك في حين نجد غيـركم يسـأل العـطاء فلا يلبيـه والقرشيـون أصحاب فضـل لا يجاريهم فيـه أحد، وإذا مـا طمحت نفس أحـدهم ان يفعل ذلـك رأيته مهمـا حاول جـاهداً أن يجـاريهم مقصراً في ذلك. ثم يبين الشاعر أن نفسـه متعطشـة هو وقـومه الى الـوصول لـرضى القـرشيين وحسن ظنهم، وهـذه النفـوس تعبت تعبـاً شـديـداً لتحقيق ذلـك. وهل هؤلاء القـرشيين يحاولـون أن يبعدوا بين المـرء ومن يحب وهم الأحبـة، والجواب أن من عـادة المحب أن يكشف عن لوعـة حبـه، عنـدمـا يغـري نفسه بـإمكانيـة عودة المحبـوب عن هجـره وبعـاده. ويختتم الشـاعـر ملحمتـه بمثل مـا ابتـدأهـا بـه وهـو العتـاب على القـرشيين وتحـذيـرهم من الاستمرار في تجاهله وظلمه فيقول:

رأيت عـذاب الماء إن حيـل دونـه — كفـاك لـمـا بُـد منـه شـريـبهـا
وإن لم يكـن إلا الأسنـة مـركـب — فـلا رأي لـلمحـول إلا ركـوبهـا
يشـوبون لـلأقصين معسـول شيمـة — فأنى لنـا بـالصـاب أنى مشـوبُهـا[1]
كلوا مـا لـديكم من سنـام وغـارب — إذا غيبتْ دودان عنكم غيـوبهـا[2]
ستـذكـرنـا منكم نفـوس وأعـين — ذوارف، لم تضنن بـدمع غـروبُهـا
إذا وأدتـنـا الأرض إن هـي وأدت — وأفـرخ من بـين الأمـور مقـوبُهـا[3]

---

(١) يشوبون: يخلطون. الأقصين: الأبعدين. الصاب: مادة مرة.
(٢) ودان: كسم وادٍ.
(٣) مقوبها: فرخها.

وأسكِتَ دُّر الفحـل واسترعنتْ بــه حراجيج، لم تلقح كشافاً سلوبُها[١]
وبــادرهـا دفء الكنيف، ولم يَعــينْ على الضيف ذي الصحن المسن حلُوبُها[٢]

يقول الكميت : إذا قيد للمرء أن يحال بينه وبين ما يبتغيه من رغبة، وإن كانت من الأهمية كالماء العذب بالنسبة للعطشان، فإن هذا العطشان (رأي يعني نفسه) قادر على استبدال المال بما هو مثله من إرواء للعطش وإذا لم يكن أمام المرء أيضاً من وسيلة يدافع بها عن نفسه إلا الرمح والسيف فليكن ذلك.

ثم يوجه الكميت حديثة الى القرشيين فيقول: إن هؤلاء يقدمون ما هو عسل المذاق من القول والفعل الى من يبتعد عنهم، ويحرمون ذلك الى من هم اقرب اليهم. ويخاطب القرشيين قائلاً : إذا كانت الأحداث قد انصاعت اليكم فافعلوا ما شاء لكم، وكلوا ما طاب، فإن من يردعكم عن ذلك قد غاب وفقد. ويخبرهم بما ستأول اليه الأمور من أحداث فيما بعد، وأنهم سيتذكرون الكميت واخلاصه لهم، وظلمهم له، وسيذرفون الدمع حزناً وأسى على ما فعلوه بحقه يوم لا ينفع الندم لأن الكميت سيكون عندها قد مات وفقد، وجاء من هو عدو لهم وشر عليهم وإذا ما غاب الفحل عن النياق، فإنها لن تنتج من الإبل، ولن تدر من اللبن، وسيجد الضيف أنه ليس هناك ما يضيف به من اللبن فيموت جوعاً.

---

(١) استرعفت به : سبقته. الحراجيج : الناقة أو النياق الطويلة. لم تلقح كشافاً : لم تلقح حين تنتج لأن نتاجها يكون بعد ذلك أرث النتاج. السلوب: الناقة التي تسقط ولدها.

(٢) الكثيف: حظيرة من الشجر . لم يعن : لم يجر أي لم يجر على الضيف للبناً على كثرة لبنه.

## رأي الباحثين في مدح الكميت للهاشميين والأمويين

اختلف الباحثون قديماً وحديثاً حول مدح الكميت في بني هاشم وفي الأمويين، فرأى بعضهم أنه في بني هاشم كان أصدق وأوضح، ورأى البعض الآخر العكس، وقبل ان نبدي برأينا نحن في مدح الكميت يجب علينا أن نستعرض بعض آراء الباحثيين القدامى والمحدثين حول هذا الموضوع.

يرى ابن قتيبة أن الكميت «كان يتشيع وينحرف عن بني أمية بالرأي والهوى، وشعره في بني امية أجود منه في الطالبيين، ولا أرى علة ذلك إلا قوة أسباب الطمع وإيثار النفس لعامل الدنيا على آجل الآخرة»[1].

وروى صاحب الأغاني ان الكميت قال عندما سوئل عن سبب إجادته في مدح الأمويين أكثر من الهاشميين قال: إني إذا قلت أحببت أن أحسن[2]

ورأى ابن قتيبة في الكميت لم يرض شوقي ضيف فرأى فيه إجحافاً بحق الشاعر وأن ابن قتيبة ما قال هذا القول إلا «لأنه لم يقرأ الهاشميات قراءة فاحصة، ولو أنه قرأها لعرف أن الكميت فيها لم يقف عند طالبي بعينه، إذا كان بصدد الدفاع عن نظرية معينة، أما في مدحه للأمويين من مثل هشام وابنه مَسْلَمة، فقد كان يمدح أشخاصهم وفرق بين مديح الأشخاص والدعوة بنظرية معينة»[3].

---

(١) الشعر والشعراء ص ١٨.

(٢) الأغاني ج ١٥ ص ١٢٨ (طبعة بولاق).

(٣) التطور والتجديد في الشعر الأموي لشوقي ضيف ص ٢٨٤.

وحول السبب الجوهري الذي من أجله مدح الكميت الأمويين هو بنظر شوقي ضيف إما اضطراراً «ومن هنا لا يكون في بأس على الكميت ان يعترف في بعض شعره بامامة الأمويين، فهم فضولون على كل حال، ومع ذلك فمتى جوز الكميت هذا؟ إنه لم يجوزه إلا حين قبضوا عليه، فاضُطّر اضطراراً الى مدحهم» وإما طمعاً برد حريته «فالكميت لم يطلب دنيا الأمويين، إنما طلب أن ترد له حريته، وحاولوا ان يشتروه بدراهم معدودة، فأعطاهم مديحاً لهم بدراهمهم وحريته المسلوبة، فلما عادت اليه حريته إرتد يدعو دعوته، ويثور ثورته»[1].

وفي ميزان العاطفة يرى شوقي ضيف أيضاً أن هناك فرق كبير بين العاطفة التي صاغ فيها الكميت شعره في مدح بني هاشم وتلك التي صاغ فيها شعره في مدح بني أمية فهو في مدح الأمويين «كان شعراً عارضاً في حياته إذا انه لا يصور شيئاً في عاطفته، ولا في ذهنه.

أما في الهاشميين «فهو الشعر الذي عاش ينميه، لأنه كان يعبر فيه عن عاطفة صادقة»[2].

ويعلل باحثون آخرون السبب الذي من أجله مدح الكميت الأمويين وهو الطمع المادي، فيرون ان الكميت كان على حق في ذلك، فهو يرى الشعراء المرائين يكسبون الهدايا القيمة كمكافآت على أشعارهم في حين هو محروم منها. والشاعر يؤمن بأن الممتلكات التي يتمتع بها بنو أمية تعتبر ملكاً لبني هاشم اغتصبت منهم اغتصاباً»[3].

ولكن هذا الطمع المادي في مال بني أمية لم يكن من قبل الكميت

---

(١) المرجع السابق ص ٢٨٤.
(٢) المرجع نفسه ص ٢٨٥.
(٣) الكميت بن زيد الأسدي شاعر الشيعة السياسي في العصر الأموي لأحمد صلاح الدين نجا ص ٢٠٤.

كما صوره ابن قتيبة «خاضعاً لقوة أسباب الطمع، وإيثار النفس لعاجل الدنيا على آجل الآخرة» فلو كان هذا حقاً لكان فعل مع بني هاشم نفس الفعل الذي فعله مع بني أمية في السعي لكسب ما تجود به راحاتهم لكنه كان يتسلم الهبة من الأمويين وقلبه ينزع الى غيرها، عندما كان آل هاشم يقدمون اليه بعض منحهم لما قدمت يداه من خير في مديحه لهم، كان يرفض ذلك رفضاً باتاً حتى ولو درهماً واحداً[1].

وقريب من رأي ابن قتيبة في الكميت حول تمسكه في الدنيا رأي آخر يقول : أن الكميت كان من أولئك الشيعة النظريين الذين يجدون في الكلام ميداناً بصولون فيه ويجولون، فهو لم يشارك في ثورة زيد بن علي وذلك حرصاً منه على الحياة وخوفه من أن يلقى مصرعه في أثناء القتال[2] «فتشيعه إذاً كان محدوداً من الناحية العملية»[3].

رأينا آراء بعض النقاد حول شعر الكميت في بني هاشم، وذاك الذي في بني أمية. بقي علينا أن نبدي بوجهة نظرنا نحن حول هذا الموضوع.

إن أهم ما يطالعنا فيه شعر الكميت في مدح بني أمية، هو أنهم سادة العرب، وأن الخلافة مقصورة عليهم أباً عن جد، لأنه ليس هناك من هو أحق منهم في ذلك، وأنهم سمحاء بين الناس يغفرون ذنب من أذنب، وأنهم أصحاب كرم يحل الناس في ديارهم دون ديار سواهم، كما يمدحهم من خلال مدحه لقريش.

أما بالنسبة الى جعل الخلافة فيهم دون سواهم، فهذا أمر نقضه في كثير من شعره خلال مدحه لبني هاشم كقوله :

وقالوا ورثناها أباً وأمنا ... وما ورثتهم ذاك أم ولا أب

---

(١) المرجع السابق ص ٢٠٥.

(٢) حياة الشعر في الكوفة ص ٤٢٠.

(٣) تاريخ الشعر السياسي لأحمد الشايب ص ١٦٥.

فجميع الصفات التي يجب ان تكون في الخليفة موجودة في بني هاشم لا في بني أمية، فهو لا يترك صفة من صفات الكرم، أو الشجاعة، أو العدل، أو الحكمة، إلا والصقها ببني هاشم. فهم الحماة الكفاة في الحرب، والغيوث، والولاة الكفاة، والبحور، كرام الجدود، راجحي الوزن كاملي العدل، مستغيدين متلفين، مساميح مراجيح، سادة ذادة، مغاوير مصيبون، محلون محرمون، الأقربون من كل خير.

أما بنو أمية ويعدد بعض خلفائهم فهم، كالرعاة يرعون الشعب الذي هو كالغنم، يتفقدونه دائماً ليختاروا السمين منه فيذبحونه ويأكلون لحمه.

وأما مدحه للأمويين من خلال مدحه لقريش، فهو يمدح أيضاً بني هاشم من خلالها ويقول:

بحقكم أمست قريش تقودنا  وبالفذ منها والرديفين نركب

فقريش هي التي استمدت الفضل من بني هاشم وليسوا هم الذين استمدوا الفضل منها، بعكس الأمويين الذين فضلهم الناس لكونهم من قريش.

وأما مدح الكميت للأمويين بأنهم سمحاء يغفرون ذنب من أذنب، فهو سلاح اتخذه الشاعر ليخلص نفسه من شرهم، وتآمرهم عليه لقتله. وقد نجح في ذلك.

وأما القول: بأن الكميت مدح الأمويين لأنه رجل دنيوي، آثر الدنيا على الآخرة أو القول: بأنه استند في أخذ مال الأمويين الى حكم شرعي قائم على أساس أن ما يملكه بنو أمية هو في الواقع ملك الهاشميين اغتصبوه منهم فكلاهما قول فيه وجهة نظر:

فبالنسبة للقول بأن الكميت دنيوي آثر الدنيا على الآخرة في مدحه للأمويين، فإن واقع الأحداث، والأخبار المروية عنه، تدل على أنه

كان زاهداً بمال الهاشميين. ينفر منه كما ينفر السليم من المصاب بالآفات تعففاً من الدنيا، وكسباً لثواب الآخرة، أما طلبه لمال الأمويين فهو أمر ليس فيه استهجان أو تعجب، إذا عرفنا أن الكميت هو أولاً إنسان يريد أن يجد له مكسباً يعيش منه، وثانياً أن مدحه الذي تكسب به من الأمويين كان ممالقاً فيه، وغير صادر عن عاطفة صادقة. أما القول بأنه أخذ المال لاقتناعه بأنه ملك للهاشميين فليس هذا ما يبرره، فالمال هو ملك للمسلمين جميعاً سواء أكان بين أيدي الهاشميين أم الأمويين، فإذا كان الهاشميون يوزعونه بعدل، فالكميت لا يأخذ إلا نصيبه كفرد مسلم أما إذا كان يوزع باجحاف ليس فيه عدل كما هو الحال عند الأمويين، فلا بأس أن يأخذه بأية وسيلة طالما أنه سيأخذه سواه من الشعراء المتملقين.

وهكذا نستطيع أن نقول: بأن الكميت كان ملتزماً عقائدياً، وأنه تمكن من إيجاد الفوارق البينة بين الهاشميين المستندين في حكمهم الى ثوابت دينية، وبين الأمويين المستندين في حكمهم الى العامل القبلي وروح الاستبداد والاغتصاب لحقوق الناس. ومن خلال هذا يظهر البون الشاسع بين كلا المدحين.

# الفصل الرابع

## شعر الكميت في ميزان النقد الأدبي

الحديث عن شعر الكميت في ميزان النقد الأدبي يستوجب منا الحديث عن جميع ما أحيط بالكميت وشعره من آراء سواء عند القدماء من النقاد أو المحدثين.

### أولاً : آراء النقاد الباحثين في تاريخ شعر الكميت.

بعد اطلاعنا على شعر الكميت في هاشمياته، ومذهبيته وملحمته، يجدر بنا أن نطلع على آراء النقاد والباحثين فيما يتعلق بالفترة الزمنية التي نظمت فيها هذه القصائد :

فأبو الفرج الأصفاني في كتابه الأغاني يرى أن هاشميات الكميت هي أقدم شعره إطلاقاً[1] معتمداً في حكمه على لقاء الكميت بالفرزدق وعرض شعر الهاشميات عليه وإعجاب الفرزدق بهذا الشعر، والسماح له بإذاعته بعد أن كان الكميت متردداً في ذلك قائلاً : «أذعْ ثم أذعْ يا بن أخي، فأنت والله أشعر من مضى، وأشعر من بقى»[2].

---

(١) الأغاني ج ١٥ ص ١٢٤ طبعة بولاق.

(٢) المصدر نفسه ص ١٢٥.

وفي آمالي المرتضى يقول الشريف المرتضى نقلاً عن أبو لبيد بالسند : جاء الكميت الى الفرزدق فقال : يا عم إني قد قلت قصيدة أريد أن أعرضها عليك، فقال له : قل، فأنشده :

طَرِبْتُ وما شوقاً إلى البيض أطرب

فقال : الفرزدق : والله لو جزتهم الى سواهم لذهب قولك باطلاً [1].

وعن السيوطي في كتابه شرح شواهد المغني . أن عم الكميت كان رئيس قومه فقال له يوماً : يا كميت، لما لا تقول الشعر! فقال الكميت لا أخرج أو أقول لنفسي. فما رام حتى عمل قصيدته المشهورة وهي أول شعره، ثم غدا على عمه فقال : أجمع لي العشيرة ليسمعوا فجمعهم له فأنشده :

طربت وما شوقاً إلى البيض أطرب [2]

وفي مروج الذهب يقول المسعودي : لما قال الكميت بن زيد الأسدي الهاشميات أتى الفرزدق فأنشده :

طربت وما شوقاً إلى البيض أطرب

وقال له أحببت أن أعرض عليك ما قلته فإن كان حسناً أمرتني بإذاعته، وإن كان غير ذلك أمرتني بستره. فقال له الفرزدق بعد سماع القصيدة : أظهر ثم أظهر وكدِ الأعداء، فأنت والله أشعر من مضى، وأشعر من بقى [3].

مما أوردنا من بعض الشواهد للباحثين القدامى يتضح أن رأيهم كان

---

(١) آمالي المرتضى ج ١ ص ٦٧.
(٢) شرح شواهد المغني سيوطي ج ١ ص ٣٧.
(٣) مروج الذهب للمسعودي ج ٣ ص ٢٤٥.

يجمع على أن أول شعر قاله الكميت في مدح بني هاشم هو الهاشميات.

ولقد حاول الباحثون الجدد أن يحددوا الفترات الزمنية للهاشميات :

فرأى شوقي ضيق أنها مدة ولاية خالد القسري على العراق من سنة ١٠٥ حتى سنة ١٢٠ هجرية وأن أغلبها نظم في هذه الفترة[١] بينما رأى (هور وفنر) ناشر الهاشميات ومترجم الكميت في دائرة المعارف الإسلامية أن أقدمها هي الهاشمية الثانية التي يجب أن تؤرخ فيما بين سنتي ٩٦ و٩٩، وأن الهاشمية الثالثة يجب الا تتأخر كثيراً عن هذا التاريخ، وأن الأولى يجب ألا تتقدم على سنة ١٠٥، والرابعة على سنة ١١٨، وأن التاسعة والعاشرة والحادية عشر لم تنظم قبل سنة ١٢٢، وأن السادسة ربما كانت متأخرة الى سنة ١٢٥ و١٢٦[٢] وهذا الرأي لا بد له من الإثبات والدليل.

ومهما كان الأمر حول الفترات الزمنية التي نظم فيها الشاعر هاشمياته، فإن هذه الهاشميات هي من المحاولات المبكرة التي كان الكميت يحاول في بداية حياته الفنية نظمها من الشعر. والظاهر أن هذه المحاولات المبكرة لم تصل إلينا. ولم يحتفظ بها ديوانه الهاشمي؛ إما لأنه هو نفسه قد سترها عن الناس لأن صناعتها الفنية لم تعجبه، أو لأن الظروف السياسية نفسها كانت تحول بينه وبين إذاعتها، وإما لأنها ضاعت مع ما ضاع من شعره[٣].

وإنني لأميل الى الإعتقاد أن أولى هاشميات الكميت هي قصيدته :

من لقلب متيم مستهام ‌‌‌‌‌‌ غير ما صبوة ولا أحلام

---

(١) التطور والتجديد ص ٢٣٥.

(٢) J. Morovitz : The Emcy. of Isloum, art. «Kumoit».

(٣) حياة الشعر في الكوفة ليوسف خليف ص ٧١٠ ـ ٧١١.

لأنه يذكر فيها هشام بن عبد الملك، وعبد الملك وسليمان بالسوء، ويطعن باسرتهم، مما أغضب عليه هشاماً فطلبه فهرب منه عشرين سنة لا يستقر به قرار من خوف هشام(1) وليس الطعن بهشام وأهل بيته هو الحافز الوحيد لهشام لطلب الكميت، وهدردمه بل أيضاً مدحه لبني هاشم، وتفضيلهم على بني أمية، وكيف لا يغضب هشام، والكميت يصوره ويصور أهل بيته خاصة والأمويين عامة بالرعاة الذين يسيبون قطعانهم مشردة لا يكترثون لها، حتى إذا ما سمنت عمدوا الى ذبحها وأكل لحمها.

رأيُهُ فيهِمُ كرأي ذوي الثُلَّـ ـة في الثائجات جُنْح الظَّلَامِ
جزُّذي الصوفِ وانتقاء لذي المُخّـ ـةِ نَعْقاً ودعداً بالبهامِ

بينما الهاشميون أصحاب خير، ووفاء للناس رحماء بينهم.

فهم الأقربون من كُلِّ خير وهم الأبعدون من كل ذَامِ
وهم الأوفون بالناس في الرأ فة والأحلمون في الأحرمِ

وأما القول بأن المذهبة التي نظمها الكميت رداً على حكيم بن عياش الأعور الكلبي الذي كان يهجو (مضر) والكميت منهم، وأن الأعور الكلبي قد تطرق في هجائه الى بنات عم الكميت هو الذي أثار غضب الكميت، ودفعه لنظم المذهبة، مما أغضب عليه خالداً القسري والى هشام على الكوفة، وأنه راح يتآمر على الكميت ليوقع بينه وبين هشام، فصنع مكيدته بأن اشترى مجموعة من الجواري الحسان، وعلمهن شيئاً من حسن الحديث، وحفظهن القرآن الكريم والهاشميات ثم اهداهن لهشام، وأنهن أنشدنه هاشميات الكميت، مما اغضبه ودفعه الى الطلب من خالد القسري بأن يحبس الكميت ويقتله. هذه الرواية أجد فيها شيئاً من الابتذال، وهي وإن حدثت، فإنما تحدث لسماع هشام قصيدة غير

---

(1) العقد الفريد ج ٢ ص ١٨٣.

المذهبة، لأن المذهبة ليس فيها طعناً لهشام وأسرته مباشرة، بل فيها طعن بأهل اليمن الذين خالداً القسري واحداً منهم. والذي يؤيد وجهة نظرنا حول السبب الذي من أجله حبس الكميت وهو الطعن بهشام، وليس بسبب قصيدته : (ألا حييت عنايا مدينا)، وهو ما رواه أبو الفرج الأصفهاني في كتابه الأغاني من أن امرأة الكميت أفدت ابن عمها بنفسها حين سجنت نفسها بدلاً منه، فبلغ الخبر الأعور الكلبي بالشام فقال قصيدته التي يرمي فيها امرأة الكميت بإهانة الحبس ويقول (سودين وأحمرينا) فهاج الكميت ذلك حتى قال : (ألا حييت عنا يا مدينا) ولم يترك حياً من أحياء اليمن إلا هجاه وتوارى[1].

ثم تأتي هاشمياته الأخرى حسب ما أوردناها في دراستنا، وقد أفردنا المذهبة في مكان مستقل لما امتازت به من شهرة حتى اعطيت هذا الاسم، وتناولها نواح سياسية ونزاعات قبلية. وأما الملحمة : فقد جاءت عبارة عن خلاصة عميقة التعبير عن تجربة مارسها الكميت بعد مرحلة طويلة من العمر خاضها ضد اعدائه، الذين تآمروا عليه، وأفسدوا حياته لا لشيء إلا لاخلاصه لانتمائه المذهبي، والسياسي، ومن هنا نجد أن الملحمة قد جاءت هادئة رصينة، فيها محاولة لجعل (شعرة معاوية) لا تنقطع بينه وبين الأمويين، ولهذا راح يعاتب هؤلاء لقسوتهم عليه، ونبذهم له من المجتمع، وإثارة الأحقاد ضده حتى بات كالجمل الأجرب، طريداً من مكان إلى آخر، لا لشيء إلا لأنه يحب أبناء عمومتهم الهاشميين، ويتعصب للقيسية ضد اليمينة، كما أنه مدح في كثير من المواضع الأمويين لمجاراتهم والتقرب منهم.

---

(١) الأغاني ج ١٥ ص ١٢٠ (طبعة بولاق).

## ثانياً: الكُميت في ميزان الولاء العقائدي والسياسي

نظرة القيناها على شعر الكُميت كان لا بد منها لنتبين مراحل التطور الفكري السياسي، والنمو العقائدي عند الشاعر. فهو كما رأينا ـ قد نمى وترعرع على حب آل البيت ـ ولكن ذاك التطور، وهذا النمو، كانا يتحركان في مجتمع وواقع سياسي غير عادي، فهناك التحركات السياسية الخفية والعلنية تنمو وتطرد ضد السياسة الأموية، حتى اذا ما بلغت تلك التحركات غايتها القُصوى، تحركت الى ثورة عارمة تزهق فيها الارواح، وتقتل الأنفس، وتشرد الرجال أو تُسجن، كما حدث بالنسبة لثورة الحسين بن علي التي وصلت بالسخط على الامويين الى درجة لم يعد من الجائز السكوت عنها، فكانت ثورة غير متكافئة بين الحسين وخصومه. فقُتل الحسين، وقتل من كان معه في كربلاء. هذه الثورة لم تكن مجرد ثورة عابرة في فكر المسلمين، بل نجدها بذرة تزرع في أرض خصبة، فتنمو وتزدهر، لتنتج ثورات أخرى. في هذا الوضع السياسي كان الكُميت يشق لنفسه طريق التفكر بما يجري حوله من واقع أليم؛ سلطة قوية جائرة تأخذ الناس بالشبهة، ومعارضة ضعيفة مفككة لا تملك الا القليل من الرجال المتعطشين الى التضحية والفداء.

ان مثل هكذا حالة كانت تدفع الكثير من الناس الى الحِيطة والحذر في مواقعهم السياسية. فالناس متقلبة الأهواء والميول، تسير وراء المغريات المادية، وأما من ثبت إيمانه فكان هاجس الخوف يحيط به كيفما تحرك. لهذا ندر الذين يصرحون علناً بولائهم السياسي للهاشميين، ومعارضتهم للأمويين لأن مثل هكذا فعل سيؤدي حتماً الى قتلهم.

إزاء هذا الموقف، وجد المعارضون من آل هاشم أنفسهم منقسمين الى قسمين: قسم رأى وجوب مواصلة الثورة مهما كانت التضحية أو

الفـداء، متخذين من الحسين مثـلاً لهـم. وقسم رأى أن الثورة في مثـل تلك الـظروف التي فيها الأمـويون من القـوة والبطش أمـر متهوّر، وأوجبـوا التقيـة لتهيء الظروف المتكافئة من القوة والاعداد للنهوض بالثورة.

وإذا كـان الكميت قد أخلص في مبـدأ الموالاة لآل البيت، فقـد وقف مـوقف المفكـر في أيـة زاويـة يـريـد أن يقف، وضمن أي إطـار يـريـد أن يتحـرك. هـل يُشهـر السيف فينحـاز للثـورة على مبـدأ أصحـاب الـنظريـة الاولى، أم يكتفي بلسـانـه تمهيـداً لقيـام ثـورة منـظمـة على رأي أصحـاب النظرية الثانية.

الواقع أن الميت كـان يحمل من النـظريتين ميولاً . فهـو يتوثب حيـوية للثورة في نفس الوقت يعمل بمبدأ التقية.

ومن هـذه الزاويـة أول موقف الكميت بـأنـه زيـدي المعتقـد نـظريـاً، ولكنه لم يتحرك لجعل عقيدته واقعاً، فيطبق فعلياً ما يعتقده فكرياً.

وإذا كان الهدف الذي يرمي اليه الكميت هو ضعضعـة الكيان الأمـوي عن طـريق إظهـار معـايبـه، ومعـايب أصحـاب السلطة فيـه، فليس من الضروري أن يقدم روحه ثمناً لتحقيق هـذه الغايـة طالمـا أنه يستـطيع القيـام بها عن طريق لسانه.

كـان موقف الكُميت يمكن أن يكـون صحيحاً في رأي البـاحثين لو لـم تكن هنـاك دعـوة صـريحـة للثـورة، أمـا وان الثـورة قـد أعلنت، فكـان من الـواجب تلبيـة هـذه الثـورة. ولهـذا كـان للبـاحثين في مـوقف الكُميت آراء مختلفة: فبعضهم يرى فيه موقفـاً متخاذلاً عن نُصـرة إمامـه، ورفض الخروج معه، ولم يقبل أن يشارك في ثورته مشاركة عملية.

تجـود لـكم نـفسي بمـا دون وثـبـة تـظل لهـا الغـربـان حـولي تحجـلُ

ومن الـواضح أن الـذي دفعه الى هـذه السلبية حـرصـه على الحيـاة، وخوفه من أن يلقى مصـرعه في أثنـاء القتال. والـواقع أن الكميت، كـان من

أولئك الشيعة النظريين، الذين يجدون في الكلام ميداناً يصولون فيه ويجولون[1].

ورأي آخر يتطرف أكثر في موقفه من الكُميت حين رأى ان تشيعه كان محدوداً من الناحية العملية[2]. وهناك من يقول: «وقد مضى الكُميت يناضل عن إمامه مؤيداً مقالته الى أن رأى الخروج، فقعد عن نصرته. وفي هاشمياته ما يدل على أنه كان يكره الخروج ولا يراه مجدياً[3].

من هذه الآراء يتضح لنا أن الصفة الغالبة على آراء الباحثين هي: أن الكُميت لم يفعل ما كان يؤمن به، أي أنه بقي عقائدياً بالنظرية وليس بالتطبيق. ولكنني روى ان الكميت بن زيد وان كان فعلاً لم يشهر السيف ويخرج ثائراً مع زيد بن علي أو ابنه يحيى أو غيرهما، فهو لأنه أولاً: لا يؤمن بقيادة زيد بن علي وأبنائه كقيادة وحيدة للشيعة ضد الامويين، بل كان ينظر اليهم كقيادة من قيادات الشيعة الذين يجب أن يحبهم، ويواليهم، ويناصرهم. وهو ثانياً: كان على صلة وثيقة أيضاً مع الجناح الآخر من الهاشميين، وأعني به جناح محمد الباقر وولده جعفر الصادق، الذين كانا يتخذان موقفاً مخالفاً من موقف زيد وولده يحيى، من حيث الطريقة في التعامل مع الامويين. ففي الوقت الذي كان فيه زيد بن علي وولده يحيى يؤمنان بأن السيف هو الحل الوحيد للتعامل مع الأمويين مهما كانت التضحيات، وأي محمد الباقر وولده جعفر الصادق(ع) ان التعامل مع الأمويين يمكن أن يتخذ وسيلة أخرى غير السيف لتقويض دعائم حكمهم، وهو تحريض الناس وتوعيتهم دينياً وسياسياً، لينقضُّوا على الأمويين، ويدمروا كيانهم عندما تحين الفرص. وإذا كانا فعلاً يعملان

---

(١) حياة الشعر في الكوفة ليوسف خليف ص: ٤٢٠.
(٢) تاريخ الشعر السياسي لأحمد الشايب ص: ١٦٥.
(٣) العصر الاسلامي لشوقي ضيف ص: ٣٢٩.

بمبدأ التقية سراً، فإن هذا لا يعني السكوت المطلق عن تصرفات الأمويين، بل نجدهم يستغلون كل فرصة تسنح، وتكون مؤاتية للتشهير بهم.
وقد رأينا في غير هذا الموضع كيف استند محمد الباقر (ع)، ومن بعده جعفر الصادق (ع) على الحديث النبوي الذي بين أن الأمويين سيحكمون ردحاً من الزمن يقضى عليهم بعده، وأنه مهما كانت المحاولات ضدهم، فإنها لن تكون نافعة إلا بعد مجيء الوقت المحدد من الله تعالى لزوال دولتهم. روي عن جعفر الصادق عن أبيه محمد الباقر عن جده علي (ع) أن رسول الله (ص) أخذته نفسه نعسة وهو على منبره فرأى في منامه رجالاً ينزون على منبره نزو القِردة، يردون الناس على أعقابهم القهقرى، فاستوى رسول الله (ص) جالساً والحزن يعرف في وجهه، فأتاه جبرائيل (ع) بهذه الآية: وما جعلنا الرؤيا التي أريناك الا فتنة للناس، والشجرة الملعونة في القرآن، وتخوفهم فما يزيدهم الا طغياناً كبيراً يعني بني أمية[1] وانزل الله تعالى ليلة القدر. وما أدراك ما ليلة القدر ليلة القدر خير من ألف شهر تملكها بنو أمية فأطلع الله عز وجل نبيه (ع) أن بني أمية تملك سلطان هذه الأمة وملكها طول هذه المدة فلو طاولتهم الجبال، لطالوا عليها حتى يأذن الله تعالى بزوال ملكهم، وهم في ذلك يستشعرون عداوتنا أهل البيت[2].

فالكميت كان متأثراً بهذا الحديث، ولهذا رأيته يعمل جاهداً للتحريض على الأمويين دون خوف أو ملل. ونحن إذا جمعنا أخبار الرُواة القدامى لرأينا أن الكميت قد تعرض لكثير من الأذى والتشرد، نتيجة لموالاته لأهل البيت (ع) حتى أنه في هاشمياته يصور ما آلت إليه أحواله بين الناس، وكيف راح الناس ينظرون إليه نظرات كِره وازدراء، وكيف ابعد عن الناس وكأنه بعير أجرب.

---

(١) الصحيفة السجادية المقدمة ص: ١٦ ـ ١٧.
(٢) المصدر نفسه ص: ١٨ ـ ١٩.

ألم ترني من حُبِّ آل محمد أروح وأغدو خائفاً أترقبُ
كأني جَانٍ مُحْدِث وكأنما بهمْ أتقي من خشية العار أجربُ

كل ذلك تحت تأثير التحريض الأموي، ومع هذا بقي الكميت صلباً عنيداً في مبدئه، لا يخاف ولا ينثني. وإنني لأستعجب لرأي بعض الباحثين من أن سن الكميت الذي بلغ الستين هو الذي حال دون نهوضه مع زيد بن علي لمقاومة الأمويين. «وأياً كان السبب في تخاذل الكميت عن نصرة إمامه، أكان صادراً عن جبن وخوف، أم كان صادراً عن إيمان وعقيدة، فإن الملاحظ أن ثورة زيد أدركته شيخاً في حدود الستين من عمره وللسن بطبيعة الحال ـ أحكامها ـ»[1]. ان هذا الرأي قابل للنقاش والمعارضة، فالحسين بن علي (ع) الذي ثار ضد الامويين كان كثير من أصحابه وأنصاره من الطاعنين في السن، أمثال حبيب بن مظاهر، وزهير بن القين، وعروة الغفاري الذي شهد بدراً وحنين وصفين قبل أن يستشهد مع الحسين (ع) [2] فعامل السن إذن ليس من الأسباب الجوهرية التي تحول دون المرء والتضحية، بل هناك أمور أخرى أكثر حيوية وأهمية ـ هي أمور المعتقد.

وأما الرأي الذي يرى أن الكميت قد جبن وتخاذل، وكان ضعيف المعتقد لأنه لم يخرج مع زيد بن علي، فهذا أمر فيه نظراً أيضاً، فليس الموت دائماً يكون ذروة التضحية عند الناس، بل هناك ما هو أثمن منه، وهو أن يموت الإنسان مرات ومرات روحياً لنصرة معتقده. والكُميت من هؤلاء الناس الذين ماتوا مرات ومرات روحياً دفاعاً عن تشيعه. ألم نسمع حسب ما روى المؤرخون تشرده الذي دام عشرون سنة وهو يطلب ليقتل. «كان الكُميت بن زيد يمدح بني هاشم ويعرض ببني أمية، فطلبه هشام،

---

(١) حياة الشعر في الكوفة ص: ٧٠٥.

(٢) ينابيع المودة لخواجه كيلان ج٢ ص: ١٦٧ ـ ١٦٨.

فهرب منه عشرين سنة، لا يستقر به القرار من خوف هشام»[1]. ألم نسمع بجلد خالد القسري له لأنه سُرَّ بخلعه عن ولاية العراق، وما كان معروفاً عنه من عداء شديد لبني هاشم. «مرَّ بالكميت خالد القسري يوماً وقد تحدث الناس بعزله عن العراق فلما جاز تمثل الكميت:

أراها وإن كانت تحب كأنها سحابة صيف عن قليل تقشع

فسمعه خالد فرجع وقال: أم والله لا تنقشع حتى يغشاك منها شؤبوب برد ثم أمر به فجرد فضربه مائة سوط ثم خلى عنه ومضى (ع).

وأخيراً تحققت الغاية المُثلى من التضحية بعد الجهاد المرير الطويل بمقتله على يد يوسف بن عمرو الثقفي الذي نبش قبر زيد بن علي وصلبه فلفظ أنفاسه الأخيرة وهو يردد اللهم آل محمد ثلاثاً[3].

## ثالثاً: شعر الكميت في الميزان الفني

وهذا العنوان يتطلب الحديث عن قضيتين هامتين هما:

**أولاً**: مواقف النقّاد والباحثين من أسلوب الكميت في معالجة الشعر.

**ثانياً**: مواقف النقّاد والباحثين من حيث المضمون الذي صاغ فيه الكميت شعره.

ثالثاً: مواقف النقاد والباحثين حول المستوى الغني لشعر الكميت.
والحكم على مسلك الكميت في الحياة لم يكن من اهتمامات الباحثين

---

(١) العقد الفريد ج٢ ص: ١٨٣.
(٢) الأغاني ج١٥ ص: ١١٩ طبعة بولاق.
(٣) الاغاني ج١٥ ص: ١٣٠.

**أولاً : مواقف النقّاد والباحثين من أسلوب الكميت في معالجة الشعر .**

رأينا كيف اختلف الباحثون حول حقيقة انتماء الكُميت المذهبي، ومقدار جديته في ذلك الانتماء، ومواقفهم المتناقضة بين مؤيد ومعارض، نجد أيضاً النقّاد والباحثين يقفون من الكميت مواقف أخرى تتناول هذه المرة طريقة التعبير عنده، والمعاني التي أتى بها في شعره. وهم هنا أيضاً بين مؤيد ومعارض، وكأني بالكميت أصبح هو في حد ذاته قضية تعالج، وتناقش، وتتخذ القرارات بشأنها.

وحسبنا هنا أن نتحدث عن الجانب التعبيري عند الكُميت وكيف وقف النقاد والباحثون من هذا التعبير.

القضية الأولى التي يتعرض لها هؤلاء النقاد والباحثون هي قضية شخصية الكميت الشعرية. هل هو شاعر بالمعنى الذي تعارف عليه الناس حول الصفات التي يجب أن يكون عليها الشاعر، أم أنه كان في الواقع خطيباً، بل قل قاضياً، يتكلم ويحكم لا بلغة النثر، بل بلغة الشعر. فهذا الجاحظ مثلاً يقول: «ومن الخطباء الشعراء الكميت بن زيد الأسدي، وكنيته أبو المستهل»[1]. «وقبله قال الفرزدق للكميت: أنت خطيب»[2] «ووصف حماد الراوية شعره بأنه خطيب»[3]. ومن الباحثين المعاصرين الذين تعرضوا لهذه القضية المستشرق (يوهان فوك) الذي قال: «ان كثيراً من شعر الكميت يبدو في صورة نثر منظوم»[4].

وإذا اعتبرنا أن الاطار الذي أحاط الكميت به شعره هو الاطار

---

(١) البيان والتبيين ج١ ص: ٣٦، ٣٧.
(٢) آمالي المرتضى ج١ ص: ٤٤.
(٣) الموشح للمرزباني ص: ١٩٦.
(٤) العربية ص: ٤١، ٤٢.

التقريري، الذي هو عادة سمة من سمات الأسلوب النثري، فإنه أيضاً يتخذ طابع الاحتجاج، والمناظرة القائم على تغليب قضية على أخرى عن طريق محاولة الاقناع العقلي البعيد عن العاطفة.

فهذا شوقي ضيف مثلاً يرى أن هاشميات الكميت مناظرات في حقوق الهاشميين وهي مناظرات لا تعتمد على الاقناع العاطفي، وإنما تعتمد قبل كل شيء على الاقناع العقلي، والكميت فيها مناظر من طراز ممتاز، ولكنه يقف وحده، ولا يسمح لأحد أن يدخل معه في المناظرة»(١).

وإذا كان الكميت حقيقة مناظراً وحيداً في دفاعه عن بني هاشم، فإن هذا يستدعي أن يكون هناك في الطرف الآخر من يناظره، وهو أخصام بني هاشم من الأمويين وغيرهم. وقد يحاول الباحثون أن يقللوا من حدة الاندفاع عند الكميت في دفاعه عن بني هاشم، بأن الكميت وان كان فعلاً «محامي الشيعة في عصره والناطق بلسانهم، والمعبِّر عن مبادئهم وآرائهم، ولكنها الشيعة في دائرتها المعتدلة غير المتطرفة»(٢).

والواقع أن الكميت في تقريره ومناظراته، كان واضحاً وليس بحاجة الى التعليل والتأويل، فهو من خلال تصرفه مع ثورة زيد بن علي، ووقوفه منها موقف المتفرج، وإن كان متألماً لما حدث لزيد من قتل وصلب، فان الألم كان مضاعفاً، فهو ألم لأن زيداً كان قد اتخذ موقف معارضة لنصيحة أخيه محمد الباقر بعدم القيام بالثورة ثم فشله في الثورة ومقتله، ومقتل الكثيرين من الشيعة معه.

وإذا كنا نريد أن نسجل أسبقية للكميت، فاننا نسجل له هذه

---

(١) التطور والتجديد في الشعر الأموي ص: ٢٧٧.
(٢) حياة الشعر في الكوفة ص: ٧٢١.

الاسبقيـة الأولى في أنـه كـان أول من وضـع شعـره في إطـار الخـطابـة والاحتجـاج، فالكميت ليس شـاعراً تقليـدياً همـه إلقاء الشعـر الـذي يعجب سامعيه، وينال على الأثر الجـوائز الثمينـة، بل هـو شاعـر عقائـدي يريـد أن يكـون لشعـره رسـالتين: رسـالـة الاعـلام والنشـر، بـاعتبـار الشعـر من أهم الوسائل المستخدمـة في هذا الاطـار، ثم إقناع النـاس بالمبـادىء التي يؤمن بهـا، ويبشر بين النـاس لتطبيقهـا. وأخيراً مقـارعة الأخصـام الحجة بـالحجة والمنطق بالمنطق.

وكـان لهـذا الأسلوب المميـز عنـد الكميت أن سـاء كثيـر من النـــاس فهمه، فغضوا من طرفه، وقللوا من قيمتـه، وحاولـوا التجريـح فيه. والـواقع أن الضمائر لم تكن دائماً عادلة في حكمها على صحـة الأمور وخـطئها، بـل هنـاك من الناس من ينتقـد الشعر لأن صـاحبه ليس على رأيـه في الاعتقـاد، أو في المنهـج. فيعمد الى نقـده بغض النظر عن المستـوى الذي بلغـه شعر ذلك الشاعر.

آراء متعارضة يراها الباحث عند النـاقدين القـدامى والمعاصـرين حول حقيقة الانتماء العقـائدي للكميت ففي الـوقت الذي نـراه من الشيعة الغـالبة عنـد بعضهم، نراه من الشيعـة الـزيـدية المعتـدلة عنـد البعض الآخـر، فمـا علينـا إلا أن نعـرض هـذه الآراء ثم إبـداء الـرأي فيهـا: يقـول الجـاحظ في معـرض حـديثـه عن الكميت والـطرمـاح. لم يـرَ النـــاس أعجب حـالاً من الكميت والطرماح، وكـان الكميت عدنـانياً عصبيـاً، وكان الـطرماح قحـطانياً عصبيـاً، وكان الكميت شـيـعيـاً من الغـالبـة، وكـان الـطرمـاح خـارجيـاً من الصفرية.

فـالكميت إذاً في نـظر الجـاحظ شيعياً من الغـاليـة دون أن يـذكـر الأسبـاب التي دفعتـه الى تصنيف الكميت من الغـاليـة، وأين المـواقف التي وقفهـا الكميت حتى استحق بهـا أن يـوصف بهـذا الـوصف. اللهم الا اذا اعتبرنا ان كل من يناصر آل البيت عامةً وعلياً خاصةً هو من الغالية.

وإذا لم يكن من الشيعة الغالية فهو من الشيعة المعتنقين لمذهبهم، ومدحه في آل البيت[1] في أيام بني أمية مشهور[2]، أو من الرافضة[3]، ومن الباحثين القُدامى من جعل له رتبة عند الشيعة، فجعله فقيهاً من فقائهم، أو حتى فقيههم على الاطلاق[4].

والحكم على مسلك الكميت في الحياة لم يكن من اهتمامات الباحثين القدماء بوجه خاص بل هناك أيضاً من الباحثين المعاصرين من اهتم بهذا الامر، وأطلق أحكاماً أقل ما فيها أنها صدىً لاحكام السابقين، دون التروي في الاحكام، والاخذ بالأمر بعد دراستها دراسة مستفيضة، تنسجم مع قدسية الأحكام الحرة المطهّرة من أية شائبة تلحق بها. فهذا باحث معاصر يرى أن الكميت الاسدي كان أشد الشعراء الشيعة غلواً في تشيعه[5] وإني لأرى في هذا الحكم صفة الاطلاق والعموم لصفة الغلو، فليس الكميت بن زيد الاسدي هو وحده المغالي في تشيعه، بل كل الشعراء الشيعة، أو الذين يناصرون آل البيت هم من المغالين، ويأتي الكميت على رأس هؤلاء في مغالاته هل يعقل أن يصل التعصب ضد من يناصر آل البيت الى هذا القدر. فإذا كان هذا الحكم من الباحثين القدامى فعذرهم معهم، لأن أغلب الباحثين في ذلك الوقت كانوا مسيسين بمعنى أنهم كانوا يرون من وراء أحكامهم اكتساب مرضاة أهل الحكم الأموي وغيرهم فماذا يبرر هذا الحكم من الباحثين الجدد المعاصرين.

وقد تلمس الحقيقة الدكتور نعمان القاضي حين استطاع أن يفرق

---

(١) البيان والتبيين ج١ ص: ٣٦.
(٢) معجم الشعراء للمرزباني ص: ٢٣٨ ـ ٢٣٩.
(٣) الشعر والشعراء لابن قتيبة ج٢ ص: ٥٨١.
(٤) انظر خزانة الأدب للبغدادي ج١ ص: ١٤٤.
(٥) العصبية القبلية وأثرها في الشعر الاموي لاحسان النص ص: ٣٩٤.

بوضوح بين الشعر الذي ينظم مدحاً تحت ظلال السيوف، والشعر الذي ينظم مدحاً تحت تأثير العقيدة ، والدفاع عن النظرية، ولهذا فهو يقف معارضاً لابن قتيبة الذي أصدر حكمه تحت تأثير التعصب فقال ان شعر الكميت في بني أمية أجود من شعره في بني هاشم[1].

ومن الباحثين المنسجمين مع أنفسهم، ومع المنطق الصحيح، من رأى «ان الكميت فرض على نفسه أن يكون محامي الشيعة في عصره، والناطق بلسانهم، والمعبر عن مبادئهم وآرائهم، ولكنها الشيعة في دائرتها المعتدلة غير المتطرفة»[2].

من خلال هذه الأحكام التي تتراوح بين التطرف والاعتدال نرى أن الكميت لم يفهم على حقيقته كما يراها هو أو كما يراها نافذوا البصيرة، فمن أوتوا حسن النظر في حقيقة الأمور، بعد دراسة وتمحيص بعيدين عن الاحكام المسبقة، أو الخلفيات المذهبية أو السياسية. فهؤلاء رأوا أن الكميت لم يكن في وقت من الأوقات. متعصباً، أو غالياً لمجرد التعصب أو المغالاة، بل كان عقائدياً متحمساً لعقيدته يريد أن يبحث عن مثالب خصومه ليشهر بها، وعن حسنات من يناصرهم، ليذيعها بين الناس حتى يديلوا بالدعوة من الأمويين الى الهاشميين، وهذا حق مشروع ينتهجه كل أصحاب العقائد في الدنيا قديماً وحديثاً دون أن يلاموا في ذلك، أو تطعن آراؤهم وأفكارهم فكيف يجوز ان يستثنى الكميت بن زيد من ذلك خاصة والشعراء المناصرين لآل البيت عامة.

ونحن بدلاً من أن نسم موقف الكميت من الأمويين بسمة التعصب والمغالاة لبني هاشم يجب علينا أن نقدر ذلك الموقف، ليس من وجهة

---

(١) انظر الفرق الاسلامية في الشعر الاموي للدكتور نعمان القاضي ص: ٦٠٣.
(٢) حياة الشعر في الكوفة ص: ٧٢١.

نظرنا نحن، بل من وجهة نظره هو فالعقائدية عنده إخلاص وتضحية وشجاعة، بغض النظر عما يلاقيه المرء من أذىً واضطهاد من جرّاء مواقفه، فتغيير الافكار والأنظمة لا يحدث بسحر ساحر، بل لا بد من الدم الذي يراق، والأرواح التي تزهق، وهكذا كان للكميت ولغيره من العقائديين.

فلننظر الى قصيدة الكميت التي يمدح بها الرسول (ص) لنرى كيف انتقد أسلوبه في التعبير.

فاعتتب الشوقُ من فؤادي والشـ ـعرُ الى من إليه مُعْتَتِبُ
الىّ السراج المنير أحمد لا تعدلني رغبة ولا رَهَبُ
عنه الى غيره ولو رفع الـ ـناس الي العيونَ وارتقبوا
وقيل أفرطت، بل قصدت ولو عنّفني القائلون أو ثلبوا
إليك يا خير من تضمنت الـ أرض وإن عاب قولي العَيبُ
لج بتفضيلك اللسان ولو أكثر فيك الضجاج واللجبُ[1]

فقد عدَّ الجاحظ هذه الأبيات من المديح الخطأ الذي لم ير قط أعجب منه، وقال: «ولو كان مديحه لبني أمية لجازَ أن يعرض عليه بني أمية، ولو مدح أبا بلال الخارجي لجاز أن تعيبه المعامة، ولو مدح عمر بن عبيد لجاز أن يعيبه المخالف، أو لمدح المهلب لجاز أن يعيبه أصحاب الأحنف، فأما مدح النبي (ص) خمن هذا الذي يسؤوه ذلك»[2]. لو كان لم يقل فيه إلا مثل قوله:

وبوركَ قبر أنت فيه وبوركتْ به وله أهل لذلك يثرب
لقد غيبوا برًّا وصدقاً ونائلاً عشية واراك الصفيح المنصَّبُ

---

(١) الهاشميات ص: ٥١ ـ ٥٢.

(٢) الحيوان ج٥، ص ١١٩ ـ ١١٧.

ولو كان لم يمدحه إلا بهـذه الأشعار التي لا تصلح في عـامة العـرب، لما كان ذلك بالمحمود، فكيف مع الذي حكينا قبل هذا.[١].

فخُلاصة ما قاله الجاحظ عن شعـر الكُميت في المديـح «أنه خـطأ منه وجهـل بمواقـع المديـح». لكن باحثين آخـرين حاولـوا أن يوجـدوا مخـرجاً للكُميت من انتقاده فقالـوا: أنه لم يـرد النبي بل أراد علياً فوري عنـه بذكـر النبي (ص) خوفاً من بني أمية[٢].

وهناك من الباحثين المعـاصرين من يقف هـو أيضاً مـدافعاً عن مـوقف الكميت في مـدحه للنبي خـاصة، وبني هـاشم عـامـة، وإفـراطـه في ذلـك المـديح فيقـول: «والواقـع أن هؤلاء القـدمـاء (يعني البـاحثين القـدمـاء) لم يكـونوا على حق حين أنكـروا على الكُميت هـذا الاسلوب في المـدح كمـا لم يحسن الـدفاع من حـاولوا الـدفاع عنـه، فليست المسألـة جهلاً بمـواقـع المـدح ولا هي توريـة عن علي بذكـر النبي، لأن الكُميت الذي نـظم ديوانـاً كاملاً في بني هاشم، وذكر فيه أكثر من مرة علياً ونبيه مادحـاً لهم، ومصرِّحـاً بحبـه إياهم ليس ممن يجبن عن ذكـر علي في هذه الأبيـات، بـل ان سيـاق هـذه الهاشميـة يدل في وضـوح لا يقبل الشـك، على أن المقصود بـالمـدح فيها هو النبي (ص)[٣].

إن النص الـذي ذكرنـاه يضـع اليـد على بعض الحقيقـة حـول مـوقف بعض النـاقدين القُـدامـى من الكميت، ولكن لم يصل الى جـوهـر الحقيقـة وهي أنـه هل يعقـل أن يمدح إنسـان لمجرد أن فيـه معايب وحسنـات، وهل ينـطبق هـذا على رسـول الله (ص) . ومـا رأي هؤلاء النقّـاد بتلك المـدائـح الرائعة التي مـدح بها الشعـراء الرسـول في صدر الاسـلام أمثال عبـد الله بن

---

(١) الحيوان ص: ١٦٩ ـ ١٧١.
(٢) العمدة لابن رشيق ص: ١٤٢.
(٣) حياة الشعر في الكوفة ص: ٧١٥ ـ ٧١٦.

رُواحة وحسان بن ثابت وذكروا الصفات التي ذكرها الكميت، واذا كنا لا نريد أن ننساق في حوار مع المتعصبين ضد كل من تعاطف مع محمد وآله، فلأننا أهل علم ينظر بعينين اثنتين لا بعين واحدة.

وإذا كان الكميت وغيره لم يمدح هؤلاء فمن ترى سيمدح، هل يمدح من لم يتطرق اليهم الجاحظ بسوء مع أنهم كما قال عنهم أحد الباحثين مبرراً موقف الكُميت، ومعارضاً موقف الجاحظ: «ان المسألة في موقف من وقف من مدح الكميت ليست إلاّ افتراض دائم لوجود خصم يجادله ويناظره، وينكر عليه رأيه. وهذا إفتراض كان له ما يبرره في عسف بني أمية وبطشهم وأحفاد النبي (ص) ومن تشيع لهم، بل له ما يبرره في قوة وعنف فيما كان يعرفه الكميت من استباحة يزيد بن معاوية لمدينة الرسول ثلاثة أيام عقب انتصاره في وقعة الحرة، ومن حصار الحجاج للكعبة، وضربها بالمنجنيق في أيام عبد الملك»[1].

المسألة إذن ليست مسألة مدح للرسول في صفات لم يكن من الواجب الإتيان بها من قِبل الكُميت، بقدر ما هي مسألة تجن والنظر بكراهية لكل من أحب أو ناصر أو تعاطف مع آل محمد أكان شعراً ذلك أم كان نثراً.

وإذا كانت الخطابة هي ميزة الكميت في أسلوبه الشعري، فهذا لا يضر شيئاً إذا كان الموقف الخطابي فعلاً قد أوصل ما يريده الشاعر الى قلوب السامعين، وجعلهم يؤخذون بسحر بيانه، ويقتنعون بصحة إتيانه. وللكميت في ذلك دليلان على نجاحه في هذا المضمار.

الدليل الأول: جاء نثراً في وقفة جريئة وقفها الكميت أمام هشام بن

---

(١) المصدر نفسه ص: ٧١٦ وقد يكون من المهم هنا أن نلاحظ أن شارح ديوان الكميت يذكر أن بني أمية كانوا يقولون «الخليفة أفضل من الرسول، ويروي قصته في هذا عن الخليفة هشام (الهاشميات ص: ٥١).

عبد الملك الذي كان قد هجاه الكميت، وتعرض له بالشتم ، ونال من اسرته بالتجريح ، وكان ما كان من غضب هشام عليه، والأمر بقتله، ثم فرار الكميت مدة من الزمن اختلف حول مدتها، الى ان وقف أمام الخليفة وقفة الخطيب الواعظ، الواثق من انتصاره في قضيته أمام الخصم والحكم في آن معاً، فقال خطبته المشهورة التي حوت من البراعة في استعطاف ذلك الخليفة المشهور عنه بغلاظته وسوء خلقه وبطشه، وذلك بعرض بارع لمراحل حياته الفكرية، وما تقلبت عليه من أحداث، كان فيها بين المهتدي والضال الى أن انتهى الى استعطاف الخليفة، بعد أن مدحه ببعض الصفات التي ليس من أهلها، مما أعجب الخليفة وأرضاه، فصفح عنه، وأناله جائزة[1]. وكان يكفي الكميت أن ينال من الخليفة الصفح عنه بعد ذلك الغضب والحقد الذي كان يكنه له هشام.

الموقف الثاني

تلك القصيدة التي ارتجلها الكميت أمام هشام نفسه، وقال له فيها :

قفْ بالديار وقوف زائر

حتى انتهى إلى قوله :

| | |
|---|---|
| ماذا عليك من الوقد | فِ إنك غير صاغرْ |
| درجت عليها الغاديا | تُ الرائحات من الأعاصر |
| فالآن صرت إلى أميـ | ـةوالأمور الى المصاير |

وكيف جعل هشام يغمز مسلمة بقضيب في يده فيقول : إسمع إسمع، ثم استأذنه في مرثية ابنه معاوية فأذن له فأنشده قوله :

| | |
|---|---|
| سأبكيك للدنيا، وللدين إنني | رأيت يد المعروف بعدك شلتِ |
| فدامت عليك بالسلام تحية | ملائكة الله الكرام وصلتِ |

---

(١) العقد الفريد ج ٢ ص ١٨٣.

فبكى هشام بكاءً شديداً، فوثب الحاجب فسكته. قال وجمعت نبو أمية له مالاً كثيراً، ولم يجمع من قصيدته تلك يومئذ إلا ما حفظته الناس منها. وسئل عنها فقال : ما أحفظ منها شيئاً، إنما هو كلام ارتجلته[1].

رأينا كيف كان يعتمد الكميت على سرعة الخاطر، والتأقلم مع الموقف المفاجيء، وكيف كان يخلص نفسه منه بنجاح. فالكميت لم يكن من أولئك الذين يعدون القصائد مسبقاً فيسمونها الحوليات أو الشهريات، ليمدح بها من يريد استعطافه لنيل جوائزه بل هو رجل عقائدي، متهيء دائماً لما ينتظره من مخاطر قد تطيح برأسه، فكان عليه أن يكون حاضراً في جميع تصرفاته وفكره، وهذه كلها تطلب المواقف الإرتجالية الخطابية.

من هنا نستطيع أن نوضح قول من قال : إن شعر الكميت كان خطابياً، وإن كنا نخالفه في أنه الى النثر أقرب منه الى الشعر، بل من الحكمة أن نأخذ برأي الجاحظ الذي يرى أنه جمع قوة الخطابة الى قوة الشعر. وهذه ميزة قلما وجدناها عند أحد من قبله أو من بعده.

## ثانياً : مواقف النقاد والباحثين من حيث المضمون الذي صاغ فيه الكميت شعره.

إذا كان الكميت قد فرض على نفسه أن يكون عقائدياً موالياً لآل البيت، ولما كان آل البيت قد اغتصب حقهم وأوكلت أمور المسلمين الى غيرهم. وهذا ما لم يرض به من يناصر التشيع رأيت الكميت كغيره من الشعراء، بل اكثرهم حماساً للدفاع عن آل محمد، لهذا «فرض على نفسه أن يكون محامي الشيعة في عصره، والناطق بلسانهم، والمعبر عن مبادئهم وآرائهم، ولكنها الشيعة في دائرتها المعتدلة غير المتطرفة[2]».

---

(١) الأغاني ج ١٥ ص ١٤٦ (طبعة بولاق).

(٢) حياة الشعر في الكوفة ص ٦٢١.

ومن يقرأ شعر الكميت وخاصة الهاشميات يرى أن هناك عنواناً رئيسياً اتخذه الكميت محوراً لشعره وهو الدفاع عن حقوق بني هاشم في الخلافة ضد الأمويين الذين اغتصبوها منهم. ويتفرع من هذا العنوان الرئيسي عناوين فرعية هي : مدح بني هاشم وهجاء بني أمية، ثم الموازنة بين عدل أولئك وجور هؤلاء. وهذه الموضوعات جاءت متشابكة، يتصل بعضها في البعض الآخر. بحيث تشكل كلاً متكاملاً.

ومن يقرأ هاشميات الكميت وهي أهم شعره يرى أن هذه الهاشميات جاءت لوحة تعبر عن صفات جميع بني هاشم على حد سواء بالمدح والثناء، دون المفاضلة بين شخص وآخر وكأنه رأى أن جهاد هؤلاء كان جهاداً أقله التضحية بالمال، والنفس، في سبيل الدين الجديد. ولكن هؤلاء ليسوا جميعاً مؤهلين للقيادة، فالقيادة جاءت منصوص عليها من الله ومن نبيه بتولية علي بن أبي طالب خليفة على المسلمين بعد رسول الله، وأن تكون الخلافة بعده في أبنائه من فاطمة بنت الرسول.

| | |
|---|---|
| لذي الرحمن يصدع بالمثاني | وكان له أبو حسن قريعا |
| خطوطاً في قَرتهِ ومْولىً | إلى مرضاة خالقه سريعا |
| وأصفاه النبي على اختيار | بما أعيى الرِّفوض له المُذيعا |
| ويوم الدوح دوح غديرخُمٍّ | أبان له الولاية لو أطيعا |
| ولكن الرجال تبايعوها | فلم أر مثلها خطراً مبيعا[1] |

فالتصريح هنا بالولاية لعلي بن أبي طالب أمر حمل لواءه الكميت وراح يدعو الناس للإنضواء تحت ذلك العلم، وإذا كان غضبه قد انصب بشكل اساسي على الأمويين باعتبارهم مغتصبين للولاية، فإنه لم ينسى أن يلمح من بعيد دون أن يتهجم أو يسيء الى الخليفتين أبي بكر وعمر، وإن كان قد اعتبر أنهما لم يؤيدا ولاية علي، وعارضاها.

---

(١) الهاشميات ص ٧٨ ـ ٧٩.

فلم أَبْلُغْ بها لعناً ولكنْ أساء بذلك أوَّلُهُمْ صنيعا

وفي دفاعه عن بين هاشم راح الكميت يستخدم أسلوب الحجة والبرهان، محركاً الأفكار قبل العواطف ليثبت فكرة أحقية بني هاشم بالخلافة دون سواهم. «وهكذا لم يعد الشعر عند الكميت يعبر عن الشعور فحسب، بل أصبح يعبر أيضاً عن الفكر، وأصبح يشفع بكل ما وصل اليه العقل العربي في هذا العصر من قدرة على الجدال والإقناع»[1].

«بل لعل تعبيره عن الفكر أهم من تعبيره عن العواطف»[2] وهذا ما دفع الباحثين القدامى الى أن يطلقوا عليه تسميات كثيرة، لكنهم اتفقوا على صفتين هما : خطيب بني أسد وفقيه الشيعة»[3]، وقد رأينا سابقاً كيف تأثر الكميت بمذهب الاعتزال احتذاءاً بزيد بن علي الذي كان قد تتلمذ في هذا المجال على واصل بن عطاء، وقد اتخذت هذه الصفة أي صفة الجدال طريقها في نفس شاعرنا الكميت، حتى غدت جزءاً من كيانه يرى التخلص منها أضعاف لقدرته على مصارعة أخصامه «فلم يكن من اليسير عليه أن يخلع هذا الرداء الفقهي حين ينظم شعره، ولم يكن هناك مضر من أن يصوغ شعره صياغة العالم الفقيه الذي يعرف كيف يناقش المسائل ويثبتها ويدلل عليها[4].

وإذا أردنا أن نرى الوجه الفقهي في أصفى أشكاله، وأوضح تبيانه فما علينا إلا أن نقرأ أبياته التي يتحدث فيها عن حق بني هاشم في الخلافة عن طريق مناقشة مسألة هل النبي يورث أم لا يورث.

---

(١) التطور والتجديد في الشعر العربي لشوقي ضيف ص ٢٤١.
(٢) المرجع السابق ص ٢٤٠.
(٣) طبقات السعراء لابن سلام الجمعي ص ١٤٤.
(٤) حياة الشعر في الكوفة ص ٧١٢ ـ ٧١٣.

يقـولـون لم يـورث ولـولا تـراثـه لقـد شـركت فيـه بَكْيـلٌ وأرْحَبُ
هُمُ شهـدوا بـدراً وخيـبر بعـدهـا ويـوم حـنـين والـدمـاءُ تصبَّبُ
وهم رائمـوهـا غَـيْرَ ظِئـر وأشبلوا عليهـا بـأطـراف القنا وتحـدبـوا
فـإن هي لم تصلحْ لقـوم سِـواهُمُ فـإنَّ ذوي القُـرْبى أحقُّ وأقْـرَبُ[1]

هذه الأبيات وغيرها من القصيدة اتخذها الباحثـون مثالاً للدلالـة على منهجـه في طـريقـة اتبـاع الحجـاج العقـلي ، وعلى مـدى صلتـه بـالإعتـزال وفكـره . وقـد رأى أحمـد أمين أنـه من الممكن أن نـرى فيهـا مثـالاً على مـدى تـأثـره بمـذاهب الفقهـاء، وسلوكـه مسلكهم في التفكيـر، فالمسألة التي يتعرض لمناقشتها مسألة فقهية خالصة، وهي مسألـة الميراث، ومن المعـروف أن بين الفقـه السني والفقـه الشيـعي خـلافـاً فـي هـذه المسألة[2]. فـالكميت في هذه القصيـدة يناقش المسألة على أساس الفقه الشيعي ، فـالشيعة يقـدمـون القـرابـة على العصبيـة، ويقـولـون إن ابن العم الشقيق مقـدم على العم لأب، كمـا يقـولـون إن الأنبيـاء تـورث ولهـذا فـإن النبي محمد (ص) يورث، وما دامت القرابة مقدمة على العصبية فـإن فاطمـة بنت محمد (ص) مقدمـة على سواهـا، وما دام ابن العم الشقيق مقـدماً على عم الأب فعلي بن أبي طـالب مقـدم على سـائـر اعمـام النبي، وإذن فعلي وفـاطمة همـا أحق آل البيت بميـراث النبي، والخـلافـة ميـراث تـركـه النبي لقريش، وما دام علي وفاطمة أحق قـريش بميراث النبي فـأبناؤهمـا إذن أحق قريش بالخلافة، أما إذا قلنا ـ كمـا يقول الأمـويون ـ إن النبي لا يـورث، فإن معنى هـذا أن الخلافـة تصبح حقـاً لجميع العـرب، ولا يحق لـلأمـويين أن يقصـروها عليهم، فـالأنصار مثـلاً أولى منهم بالخـلافة لأنهم نـاصـروا النبي فشهـدوا معه بـدراً وخيبر وحنين، وهم الـذين آمنوا بـالإسـلام عن غيـر كـره بحرب أو قتال كما حدث لأبي سفيان وأولاده وغيرهم من الأمويين .

---

(١) الهاشميات ص ٣٣ ـ ٣٤.

(٢) ضحى الاسلام لأحمد أمين ج ٣ ص ٣٠٥ ـ ٣٠٦.

هـذه الصورة من مـواقف الكميت لفتت انـظار البـاحثين فقـالـوا : إن الجدل عنده يقوم حتى في اكثر صـوره اقترابـاً من منطق السيـاسة على ذلـك الإيمـان الوجـداني الخالص بحق الهـاشميين في الخلافـة[1]. والحق أن ما يبـدو جدلاً سيـاسياً. مثـل هذه الأبيـات هو في مقـدمته الصق بمـا يمكن أن نسميه (بالإستهواء) الخطابي الـذي يجيل الخـطيب فيه الفكـرة الى إحساس بـوسائـل الخطابـة المعروفـة من تكرار أو سخـرية، أو تـأكيد، أو إتجـاه الى عاطفة السامع، ومحاولة إثارة وجدانه قبل إقناع عقله. فتعداد اسمـاء القبائـل بهــذه الصـورة المتعــاقبـة المختلطة، على اختــلاف شـأن تلك القبــائــل وانتمائها، وهو في الحقيقة ضـرب من السخريـة الخطابيـة قبل أن يكـون من الجدل السياسي القائم على الحجة والمنطق[2].

عنـدما يثيـر الكميت مسألـة الميراث عنـد النبي (ص)، فـإنـه يستتبـع بالضرورة أن يثير معه مسـائل أخـرى متلازمـة معها، كـالوصيـة بالخـلافة من بعـده، ومن هم الذين سيقـولـون هـذه المهمـة في قيـادة المسلمين، وتـولي شؤون أمـرهم، فيشير الكميت بـالوصيـة الى علي بن أبي طالب في مـواضع عدة كبيعة (غدير خم) كما ذكرنا وفي قوله :

| | |
|---|---|
| والـوصي الـذي أمَـالَ الـتجـوبي | بـه عَـرْشَ أُمَّـةٍ لانْهِدامِ |
| كـأن أهـل العفـاف والمجـد والخـير | ونـقض الأمـور والإبـــرام |
| والـوصي الـولي والفـارس المعـلم | تحت الـعجـاج غـير الكـهـامِ |
| كـم لـه ثـم كـم لـه مـن قـتيـل | وصـريـع تحت السنـابـك دامي |
| وخمـيس يـلفـه بـخـمـيس | وفئـام حـواه بـعـد فئـامِ |
| وعميـد متـوج حـل عنـه عـقـد | الـتـاج بـالـصـنيـع الحـسـامِ |

(١) انظر أحمد الشايب تاريخ الشعر السياسي ص ٥.
(٢) في الشعر الإسلامي والأموي لعبد القادر القط ص ٢٧٩.

فعلي قد وصي له بالخلافة لا بسبب القرابة من الرسول كزوج لابنته، أو ابن عم له بل بسبب جهاده في سبيل الإسلام أيضاً، فهو البطل الذي صرع تحت السنابك عتاة الجاهلية، وقاد الجيوش المظفرة لقتل اعداء الإسلام، فاكتملت عنده الصفات المثالية التي يجب ان تكون بالقائد المثالي.

وكما أشار الكميت الى الوصية لعلي يشير أيضاً الى الوصية لأبنائه من ولد فاطمة أيضاً وهما الحسن والحسين (ع).

| | |
|---|---|
| ووصي الوصي ذي الخطة الفصـ | ـلِ ومردي الخصوم يوم الخصامِ |
| وقتيل الطف غودر فيه | بين غوغاء أمة وطغامِ |

فالحسن والحسين إذن جاهدا كأبيهما في سبيل الدعوة المحمدية، وقدما حياتهما فداءً لذلك فلم تكن قرابتهما من الرسول أو من علي هي التي خولت لهما الخلافة، بل الصفات الحميدة التي تمتعوا بها هي أيضاً لها دورها العظيم في ذلك الأختيار.

فهؤلاء الذين نزلت بهم الآية، تمدح صفاتهم، وولائهم لعقيدتهم ولربهم.

| | |
|---|---|
| وجدنا لكم في آل حاميم آية | تأولها منا تقي ومُعْرِبَ |
| وفي غيرها آياً وآياً تتابعت | لكم نصب فيها لذي الشك منصبَ |
| بحقكم أمست قريش تقودنا | وبالفذ منها والرديفين نركب |

لقد كرم الله تعالى قريشاً بفضل آل البيت، وإذا بالأمويين وغيرهم يغتصبون هذا الحق ويستولون على مقاليد الأمور ليقيموا الفتن بين الناس، ويمعنوا السيف فيهم قتلاً وتشريداً.

| | |
|---|---|
| ردافاً علينا لم يسيموا رعية | وهمهموا أن يمتروها فيحلُبُوا |

لينتجوا فتنة بعد فتنة فيفتصلوا أفلاءها ثم يركبوا[1]

فالكميت يناقش موضوع وراثه الأمويين للخلافة ويؤكد أنه إذا كان يحق لأحد أن يرث رسول الله (ص) فآل بيته بنو هاشم هم أولى الناس بذلك :

وقالوا : ورثناها أبا وأمنا وما ورثتهم ذاك أم ولا أبُ
يرون لهم فضلاً على الناس واجباً سفاهاً وحق الهاشميين أوجبُ

«ولو دققنا النظر في أفكار الهاشميات الأساسية لوجدناها محدودة بفكرتين تنبعان من تعاليم الاسلام وأفكاره، وهما : فكرة المساواة بين المسلمين، وفكرة توزيع الثروة.

ونرى الكميت حين يهجو الأمويين إنما يهجوهم لبعدهم عن هدي القرآن والسنة، وضلالة بدعهم التي طالما أحدثوها، كما ابتدع الرهبان ما لم ينزل به وحي :

لهم كل عام بدعة يحدثونها أذَلُّوا بها أتباعهم ثم أوجَلوا
كما ابتدع الرهبان ما لم يجي به كتاب ولا وحي من الله منزلُ
تحل دماء المسلمين لديهمُ وَيَحْرُمُ طلع النخلة المتهدلُ[2]

أرأيت كيف يقيم الكميت المقارنة الفعلية والأدلة المنطقية على الفارق بين الهاشميين والأمويين وكيف يحاول اقناع الناس، واثارة عواطفهم مع الهاشميين دون الأمويين.

وموقف الكميت الواضح تجاه الأمويين من حيث معاداتهم، ومناصرة الهاشميين، نراه مشوهاً بالنسبة لقضايا أخرى تهم الهاشميين كقضية خلافتي

---

(١) الهاشميات ص ٣٠ ـ ٣١.
(٢) الاسلام والشعر لسامي مكي العاني (مجلة عالم المعرفة) يونيو حزيران ١٩٨٣.

أبي بكر، وعمر، وقضية ميراث (فدك)[1]، فالشاعر يقف من هذه القضايا موقف الحذر الذي لا يريد أن يناقش في مسائل حساسة فيها اجتهادات دينية، مما تسيء الى شخصيات لها مكانتها عند المسلمين، مما حذا به الى ان يترك هذا الأمر الى الله الحاكم العادل ليأخذ حكمه بحق من أخطأ مع اعترافه بأن الحق واضح بالنسبة للخلافة وللميراث (فدك)، ولم يكن هناك من حاجة للاعتراض عليهما. هذا الموقف من الكميت هو الذي جعله في موقف أخذ ورد، وتأويل، فقيل إنه زيدي وأنه يدور مع الزيدية في فكرة من أهم أفكارهم التي انفردوا بها من بين سائر فرق الشيعة، وهي فكرة «جواز امامة المفضول مع قيام الأفضل» التي صحوا على اساسها خلافة أبي بكر وعمر مع قيام علي وهو أفضل عندهم منهما[2].

أهوى علياً أمير المؤمنين ولا ... ألوم يوماً أبا بكر ولا عمرا
ولا أقول وإن لم يعطيا فدكاً ... بنت النبي ولا ميراثه كفرا
الله يعلم ماذا يأتيان به ... يوم القيامة من عذر إذا اعتذرا
إن الرسول رسول الله قال لنا ... إن الامام علي غيرما هجرا
في موقف أوقف الله الرسول به ... لم يعطه قبله من خَلْقِهِ بشرا
من كان يرغمه رغماً فدام له ... حتى يرى أنفه بالتُّرب منعفرا

ففي هذا النص يثير الكميت ثلاث مسائل :

المسألة الأولى حبه لعلي أمير المؤمنين، وتفضيله له على سواه من المسلمين.

---

(١) فدك قرية روي أن النبي (ص) تصدق بها على فاطمة (ع) وأما منع الخليفتين فاطمة فإن أبا بكر سمع رسول الله (ص). يقول : نحن معشر الأنبياء لا نورث ما تركناه صدقة بالضم، فالشيعة يروونه صدقة فنصبوا صدقة على الحال والتقدير لا نورث ما تركناه حال كونه صدقة. ومفهومه انهم يورثون غيره.

(٢) حياة الشعر في الكوفة ص ٧٢٢.

المسألة الثانية موقفه من أبي بكر وعمر من قضية ميراث (فدك)، ومن قضية عدم مبايعة علي بالخلافة مع أن النبي حسب رأي الكميت قد أوصى بذلك.

المسألة الثالثة: ترك مشكلة فدك والخلافة الى الله تعالى يبت في ذلك الامر.

## ثالثاً: مواقف النقاد والباحثين حول المستوى الفني لشعر الكميت

انقسم الباحثون قديماً وحديثاً حول مستوى شعر الكميت الفني إلى قسمين: فمنهم من جعل له الاستاذية في كثير من الأشياء التي أتى بها في شعره، ومنهم من أراد أن يقلل من أهميته، وأن يسوق له الكثير من الأخطاء، ولكل من الطرفين حججه وبراهينه، ونحن لا بد لنا من أن نستعرض كل ما قيل في شعر الكميت، ليكون لنا بالتالي رأينا المستقل والمحايد.

وحسبنا أن نذكر مواضع الخطأ، أو اماكن الخلل عند الكميت كما ذكرتها المصادر القديمة: فهذا المرزباني[1] في كتابه الموشح يذكر بعض آراء النقاد القدامى حول شعر الكميت من حيث اللغة أو المعنى:

يروي المرزباني عن ابن دريد قال: أخبرنا أبو حاتم، قال: حدثنا

---

(١) المرزباني: أبو عبدالله محمد بن عران بن موسى المرزباني المتوفي سنة ٣٨٤، إخباري مؤرخ أديب، أصله من خراسان، ومولده ووفاته ببغداد، كان مذهبه الاعتزال له كتب عجيبة، أتى على وصفها ابن النديم منها، (المفيد) في الشعر والشعراء ومذاهبهم، ومعجم الشعراء والموشح الفهرست ج ١ ص ١٣٢ و٥٠٧ الوفيات ج ١ ص ٥٠٧.

الأصمعي[1] قال : الكميت بن زيد ليس بحجة لأنه مُولَد، وكذلك الطرماح.

ويحاول ناقد آخر أن يتوسع برأيه عن الكميت أكثر مما قاله عنه ابن دريد بصورته المختصرة. فقد قال محمد بن القاسم بن محمد الأنباري : حدثني أبي قال : حدثنا محد بن علي بن المغيرة الأشرم، قال : حدثنا أبي عن الأصمعي، قال : ليس الكميت بن زيد بحجة. لأن الكميت كان من أهل الكوفة، فتعلم الغريب، وروى الشعر، وكان معلماً، فلا يكون مثل أهل البدو، ومن لم يكن من أهل الحضر.

ويروي المزرباني عن أبي بكر الجرجاني أنه قال : حدثنا محمد بن يزيد النحوي، قال : حدثنا المازني، قال : سمعت الأصمعي يقول : الكميت تعلم النحو وليس بحجة، وكذلك الطرماح، وكانا يقولان ما قد سمعاه ولا يفهمانه.

ويؤيد رأي الأصمعي المفضل الذي قال في السند لا يعتد بالكميت في الشعر. وقال : أنشدني أي معنى له شئت مما تستغربه حتى آتيك به من أشعار العرب [3].

ومن الروايات التي تتحدث عن أخطاء الكميت ما قاله ابن كناسة :

---

(١) الأصمعي : أبو سعيد عبد الملك بن قريب بن عبد الملك صاحب اللغة والنحو الغريب والأخبار والملح من أهل البصرة قدم بغداد أيام الرشيد الذي سمّاه شيطان الشعر توفي سنة ١٢٣ هجرية .

(٢) الجرجاني : أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني. واضع أصول جمهرة الانساب ٢٣٤. البلاغة، كان من أئمة اللغة. من أهل جرجان له شعر رقيق من كتبه اسرار البلاغة ودلائل الاعجاز الوفيات ج ١ ص ٢٩٧ ومرآة الجنان ج ٢ ص ١٠١.

(٣) الموشح ص ٣٠٣.

اجتمع نصيب والكميت ويقال[1] ذو الرمة، فاستنشد النصيب الكميت من شعره فأنشده الكميت[2].

هل أنت عن طلب الإيقاع منقلبُ

حتى بلغ إلى قوله :

أم هل طعائنُ بالعلياء نافعةٌ وإنْ تكامل فيها الأنسُ والشنَبُ[3]

فعقد النصيب بيده واحداً. فقال الكميت : ما هذا؟ قال : أحص خطاك تباعدت في قولك[4] : «الأنس والشنب». ألا قلت كما قال ذو الرمة[5].

لمياء في شفتيها حُوَّةٌ لَعَس[6] وفي اللثاتِ وفي أنيابها شنَبُ

ثم أنشده :

أبت هذه النفس إلاّ إدكارا.

فلما بلغ الى قوله :

إذا ما الهجارِسُ غنينها يجاوبن بالفلوات الوبارا[7]

فقال له نصيب : الفلوات لا تسكنها الوبار.

---

(١) في الأغاني : اجتمع نصيب والكميت وذو الرمة

(٢) في الأغاني تمامه : أم كيف يحسن من ذي الشيبة اللعب .

(٣) الشنب : الرقة والعذوبة في الاسنان.

(٤) في الأغاني : تباعدت في القول : ما الأنس في الشنب.

(٥) الأغاني ج ١ ص ٣٤٨.

(٦) الحوة : سمرة الشفة. واللعس : سواد اللثة والشفة في حمرة.

(٧) الهمارس : جمع همرس : وهو القرد أو الثعلب أو ولده، وهو الدب أيضاً والوبار : جمع وبرة. حيوان كالسنور والبيت في الصناعة ص ٩٨.

فلما بلغ الى قوله :

وكـأن الـغـطامطَ من غـلبـهـا      أراجيـزُ أسْلَمُ تهجـو غَـفـارا[1]

قـال له نصيب : مـا هجت اسلم غفـارا قط. فـانكسـر الكميت وأمسك.

قـال المبرد : والـذي عابـه نصيب به من قـوله : «تكـامـل فيهـا الـدَّلُّ والشنبُ» قبيح جـداً. وذلـك أن الكـلام لم يجـر على نـظم، ولا وقـع الى جانب الكلمة مـا يشاكلهـا، وأول ما يحتـاج اليه القـول أن ينظم على نسق، وأن يوضع على رسم المشاكلة[2].

وفي روايـات أخـرى تـزعم أن المقـابلة بين نصيب والكميت لم تجـر مع نصيب وانما جرت مع ذي الرمة نفسه، وصاحب الرواية هنـا هو اسحـاق المـوصلي المغني المشهور الـذي قال : أنشـد الكميت ذا الـرمـة وهمـا في الحمـام، فجعل ذو الـرمة يعقـد، فقال لـه الكميت : ما هـذا الـذي تعقـد؛ قال : أحسب خطاك اخبرني عن قولك،

أم هـل ظعـائن بـالخلصـاء رابعـة      وإن تكـامـل فيهـا الأنس والشنب

ما الأنس من الشنب؟ ألا قلت كما قلت : «لمياء في شفتيها. . . ».

ولبشـار أيضـاً رأي في شعـر الكميت، فقـد روي عن علي بن أبي عبـدالله الفـارسي، قـال : أخبـرني أبي، عن عيسى بن اسمـاعيـل التكي، قال : قال لي محمد بن العجاج، قال بشار : ما كان الكميت شـاعـراً. قيـل له : كيف وهو يقول :

أَنِصْفُ امرىء من نصف حيّ يسبني      لعمري لقد لاقيتُ خطباً من الخطب

---

(١) الغطامط : صوت غليان القدر.

(٢) الموشح ص ٣٠٦.

هنيئاً لكلب إن كلباً تسبني ... وإني لم أردد جواباً على كلب

لقد بلغت كلب يسبني حظوة ... كفتها قديماتِ الفصائح والوْصبِ

فقال بشار : لا بل شانتك أترى رجلاً لو ضرط ثلاثين سنة لم يُستملح منه شيء؟[1].

ولم يكن الباحثون والنقاد القدامى هم وحدهم الذين انتقدوا شعر الكميت، بل للمحدثين أيضاً رأيهم في هذا الموضوع. فهذا المستشرق (هور وفنس) يرى في دراسته للكميت أن الشاعر كان ينتحل الشعر ويسرقه[2].

بعد أن أطلعنا على الجانب السلبي من آراء بعض النقاد حول شعر الكميت، بقي علينا أن نتحدث عن الجانب الايجابي عند بعضه الآخر في شعره. سئل معاذ الهراء عن أشعر الناس فقال : «من الجاهليين امرؤ القيس وزهير، وعبيد بن الأبرص، ومن الاسلاميين الفرزدق وجرير والأخطل، فقيل له : يا أبا محمد ما رأيناك ذكرت الكميت : قال : ذاك اشعر الأولين والآخرين. وقال أبو عكرمة الضبي : «لولا شعر الكميت لم يكن للغة ترجمان، ولا للبيان لسان» وقال بعضهم : في الكميت خصال لم تكن في شاعر : كان خطيب بني أسد، وفقيه الشيعة، وحافظ القرآن، كان كاتباً حسن الحظ، وكان نسابة، وكان جدلياً»[3].

وقال السيوطي : الكميت بن زيد شاعر زمانه روى عن الفرزدق، وأبي جعفر الباقر ، وعنه والبة بن الحباب الشاعر ، وأبان بن ثعلب .

قال أبو عبيدة : لو لم يكن لبني أسد فقيه غير الكميت لكفاهم[4] .

---

(١) الموشح : ص ٣٠٦ ـ ٣٠٧.

(٢) الكميت بن زيد الاسدي لأحمد صرح الدين نجا ص ٤٠ .

(٣) خزانة الأدب للبغدادي ج ١ ص ١٤٤ .

(٤) شرح شواهد المغني ص ٣٧١.

وقال ابن دريد متحدثاً عن تفوق الكميت في اختيار المعنى الدقيق.

الصواب في قول الكميت :

ولا أعني بذلك اسْفَليكُمُ ولكني عنيت به الذوينا

أن يجعل الذوين ههنا الملوك، ذوو عين ونفائس، وذو كلاع ملوك حميرهم الأذواء[1].

وروي يحيى بن علي قال : حدثنا أبو هفان قال : أشعر أبيات قيلت في الحسدة والدعاء لهم بالكثرة أربعة فأولها قول الكميت بن زيد :

إن يحدوني فإني لا الومُهُمُ قبلي من الناس أهل الفضل قد حُسِدُوا
فدام بي وبهم مالي ومالهمُ ومات اكثر ناغيْظاً بما يجدُ
أنا الذي يجدوني في حُلوقهمُ لا أرتقي صَدَرَاً منها ولا أَرِدُ
لا يُنقص اللهُ حُسَّادي فإنَّهُمُ أسرَّ عندي مِنَ اللآئي له الوَدَدُ[2]

واستشهد ابن عقيل بشعر الكميت في قوله :

أجُهَّالاً تقولُ بني لُؤيٍّ لَعَمْرُ أبيكَ أم متجاهلينا

الشاهد : فيه : قوله : «أجهالاً تقول بني لؤي» حيث أعمل «وتقول» عمل «تظن» فنصب به مفعولين، أحدهما قوله «جهالاً» والثاني قوله «بني لؤي» مع أنه فصل بين أداة الاستفهام ـ وهي الهمزة ـ والفعل. بفاصل ـ وهو قوله «جهالاً» ـ وهذا الفصل لا يمنع لا يعمل لا يمنع الإعمال؛ لأن الفاصل معمول للفعل؛ إذ هو مفعول ثان له.[3]

وعندما قيل للأصمعي أتقول في التهدد : أبرق وأرعد؟ فقال : لا.

---

(١) المزهر في علوم اللغة وأنواعها للعلامة جلال الدين السيوطي ج ١ ص ٦٩.
(٢) آمالي الموتضى ج ١ ص ٤١٤ : في اللسان : برق وأبرق : تهدر وأوعد.
(٣) شرح ابن عقيل الشاهد ١٣٥ ج ١ ص ٣٩٧.

لست أقول ذلك إلا أن أرى البرق. أو أسمع الرعد؛ فقيل له : فقد قال الكميت :

أبْرِق وأرْعِدْ يا يزيد فما وعيدك لي بضائرِ

فقال : الكميت جُرمقاني من أهل الموصل ليس بحجة[1].

وفي شرح نهج البلاغة شرح لقول علي بن أبي طالب (ع) وقد أرعدوا وابرقوا ومع هذين الأمرين الفشل للأصمعي الذي انكر أرعد وأبرق وزعم أنه لا يقال إلا رعد وأبرق وفي كلام أمير المؤمنين[2] حجة على بطلان قول الأصمعي[3].

وروي عن الكميت أنه قال : سبقت الناس في هذه القصيدة من أهل الجاهلية والاسلام الى معنى ما سبقت اليه في صفة الفرس حين أقول :

يبحث الترب عن كواسره في المشرب لا يحشم السقاة الصغيرا[3].

وروي عن الكليني في روضة الكافي بسنده عن يونس بن يعقوب قال : أنشد الكميت أباعبدالله(ع)[4] شعراً فقال :

أخلص الله لي هواي فما اغـ ـرق نزعاً ولا تطيش سهامي

---

(١) الأمالي لأبي علي القالي ج ١ ص ٩٦.

(٢) أعيان الشيعة للسيد محسن الأمين ج ٤٣ ص ١٥٩.

(٣) الأغاني طبعة بولاق ج ١٥ ص ١١٦.

(٤) أبو عبدالله هو جعفر بن محمد الصادق الامام السادس عند الشيعة الامامية ولد سنة ٨٠ هجرية وتوفي سنة ١٤٨ هـ كان أشهر زمانه علماً وفضلاً. قال ملك بن أنس ما رأت عين ولا سمعت أذن ولا خطر على قلب بشر أفضل من جعفر بن محمد برز بتعليمه من الفقهاء والأفاضل جمع غفير كزرارة بن اعين ويحيى بن سعيد الأنصاري وسفيان الثوري الخ الشيعة ج ص ٧١.

فقال أبو عبدالله (ع) : لا تقل هكذا : فما أغرق نزعاً، ولكن قل : فقد اغرق نزعاً ولا تطيش سهامي[1].

تعرضنا لبعض الآراء التي تعرضت للكميت بالنقد أو الثناء، بقي علينا نحن ان يكون لنا رأينا في هذا الموضوع :

إن أول وقفة نفقها عند قول المفضل : أنشدني أي معنى له (أي الكميت) شئت عما تستغربه حتى آتيك به من أشعار العرب.

إذا كانت المعاني محضورة على الشاعر، وأنها ملك لمن يأتي بها أول مرة، فكيف يكون الشعر إذا بعد ذلك، وكيف وصلت الينا هذه الدواوين الشعرية التي لا تعد ولا تحصى، هل كل واحد منها متحصص بمعان معينة، أو الفاظ معينة لا نجدها عقد الآخرين، إن هذا أمر يثير الاستعجاب، فهذا الجاحظ يقول في حديثه عن المعاني : «إن المعاني مبسوطة الى غير غاية وممتدة الى غير نهاية، وأسماء المعاني مقصورة ممدودة، ومحصلة محدودة[2]».

فالمعاني في نظر الجاحظ لا يمكن حصرها، وهي شائعة لا يمتلكها أحد.

وأما قول الأصمعي بأن الكميت تعلم النحو وليس بحجة، فلماذا إذاً أتخذ ابن عقيل من شعره شاهداً يستدل به على قاعدة نحوية.

وإذا كان أهل البدو في نظر الأصمعي هم وحدهم أصحاب المعرفة فيما يتعلق بلغتهم ووصف أماكنهم، فإن الكميت يعترف لذي الرمة في تفوقه عليه في الوصف، وأنه قلده في بعض المعاني، كما أن ذو الرمة يعترف أيضاً للكميت بقدرته الوصفية حين قال له : أنك تصف الشيء فلا

---

(١) أعيان الشيعة ج ٤٣ ص ١٥٩.

(٢) البيان والتبين تحقيق عبد السلام هارون ج ١ ص ٨١.

تجيء به، ولا تقع بعيداً منه، بل تقع قريباً . .

والسبب في ذلك أن الكميت يصف الشيء حسب ما يوصف له، أما ذو الرمة فيصف الشيء بعد أن رأته عيناه.

وعن قصة اجتماع الكميت والنصيب، وذو الرمة، وانشاد الكميت:

هل أنت عن طلب الإيقاع منقلب

حتى بلغ منها إلى قوله فيها:

أم هل ظعائن بالعلياء نافعة وإن تكامل فيها الأنس والشنب

ثم اجتماع النصيب على الكميت لاستخدامه لفظين غير متجانسين وهما الأنس والشنب والتباعد بينهما في اللقاء التعبيري، وكأن عليه أن يتمثل بذي الرمة الذي يقول :

لمياء في شفتيها حوة[1] لعس[2] وفي اللثات[3] وفي أنيابها شنب[4]

والواقع أن النصيب أصاب في نقده، وان الكميت حاد عن الصواب في استخدام مواقع الألفاظ لتكون معبرة عن المعاني.

ثم أنشاد الكميت :

أبت هذه الأنفس إلا ادكاراً حتى بلغ قوله :

إذا ما الهجارس غنينها تجاوبن بالفلوات الوبارا[5]

---

(١) الحُوَّة : سمرة في الشفة.

(٢) اللعس : مص لعس، سواد مستحسن في باطن الشفة.

(٣) اللثة : ما حول الاسنان من اللحم وفيه مفارزها.

(٤) الشنب : صفاء الاسنان.

(٥) الهجارس : شدائد الأيام. الوبار : حيوان كالسنور.

فقـال لـه النصيب والـوبـار لا تسكن الفلوات. ثم انشـد حتى بلغ منها :

كـأن الـغُـطامِطُ مـن غـليـهـا أراجـيـز اسـلم تهـجـو غـفـارا

قـال النصيب : مـا هجت أسلم غفـارا قط، فـانـكسـر الـكـميت وامسك[٦].

فـإمساك الكميت فيـه حق، واعتراف بـالتقصير، وبـأنـه خـاض غمـار أشيـاء لم يتأكـد من صحتها فكـان هذا جـزاؤه. وإذا كان الكميت قـد خاب سهمه في مثل هذه المواقف لأنه كما سبق وذكـرنا لم يتـح له أن يتعـرف على مجريات الأحـداث في الصحراء، وعلى لغـة ابنائهـا. فإنـه ليس معنى ذلك انه لم يأت بالصور البديعة التي تـدل على قدرة الشـاعر في التصـور، وعلى بـراعـة في الاتيـان ببعض المشـاهـد الصحـراويـة التي فـاق فيهـا من عـرف الصحراء واختبرها.

ويعيـد يوسف خليف تقصيـر الكميت في عدم استخدام علمه الـواسع بـأخبار البـادية الى أنـه «كانت تعـوزه السليقة اللغـوية والفـطرية البـدوية، أو بعبـارة أخرى ـ الصلة المبـاشرة بـالبـاديـة وعـالمهـا التفكيـري والشعـوري، وحياتها اللغوية والفنية[١]».

وقد لاحظ هذا التقصير من قبل الكميت أيضـاً المستشرق (فك) «الذي رأى أن الكميت أسـاء فهم بعض التعبيرات في لغـة أهـل البـاديـة»، مؤيـداً رأيه بآراء النقاد القدماء من أخطاء في اللغة أو الصياغة أو المعنى».

وفيما يتعلق بنقد الأصمعي للكميت في قوله ابـرق وارعد، واستنكـاره

---

(١) الأغاني ج ١ ص ٢٥٣ ـ ٢٥٤ .

(٢) حياة الشعر في الكوفة ص ٦٨٥ .

(٣) العربية ص ٤٠ ـ ٤٣ .

لذلك، فقد رأينا كيف استخدم علي بن أبي طالب العبارتين : أبرقوا وأرعدوا، وساقهما ابن أبي الحديد ليدعم رأي الكميت ويدحض رأي الأصمعي. وإن دل هذا فإنما يدل على حسن الذوق اللغوي عند الكميت وبراعته في استخدام مشتقات اللغة وتعابيرها.

كما أورد المرزباني بعض الاستخدامات لعبارتي أبرق وأرعد كقولنا: رعدت السماء وبرقت وأرعدنا نحن وأبرقنا ، إذا دخلنا في الرعد والبرق .
وقال الشاعر :

فقل لأبي قابوس ما شئت فارْعُدِ[1]

وهكذا نرى أن آراء النقاد حول المستوى الفني لشعر الكميت قد جاءت متعارضة، فمنها من جعل شعر الكميت حجة يستشهد به، ومنهم من رآه ضعيفاً لا يعول عليه.

ولكننا نجد أن الكميت قد أبدع في كثير من المواقف، اللهم إلا ما كان منها قد جاء عن غير خبرة ومعاينة، كما هو الشأن بالأوصاف البدوية، وهذه لا نستطيع أن نعتبرها منقصة منه، بل ضعف في الصورة والتخيل، أليس هو كما قال يصف ما يوصف له، وكيف يمكن أن تكون الصورة مطابقة تماماً لواقعها، وقد تكون الصورة الموصوفة له هي مصدر الضعف والخلل الذي قد يصيب وصف الكميت، لا وصفه هو بالذات، فيكون الخطأ من صاحب الوصف لا من الكميت نفسه.

ونحن هنا لا نقف موقف المدافع عن الكميت لأنه قصر في بعض لمواقع، بل نقف موقف الباحث عن الحقيقة. فالكميت كما قيل لم يعرف الصحراء ولاأهلها، فكيف يمكن أن نفرض عليه ما نفرضه على من عاش فيها، واتصل بأهلها. فعرف لغتهم ومشتقاتها، وسمع نطقهم. فالموازنة بين الطرفين فيه اجحاف بالحق والعدل.

---

(١) المرشح ص ٣٠٨ وصدر البيت إذا جاوزتْ من ذاتِ عِرق ثنية .

# خاتمة البحث

دراستنا لشعر الكُميت لم تكن لمجرد استهواء أو رغبة لدراسة شاعر من العصر الأموي، بل جاء عن دراية ووعي تامين لأهمية الكُميت في المجتمع الأموي.

فهو لم يدرس لكونه كان صاحب مبدأ وعقيدة في زمن خلتْ فيه القيم والمبادىء، ليناضل مدة حياته، دفاعاً عن فكرة اعتنقها، ولاقى من أجلها الاضطهاد والتشرد، حتى قضى نحبه شهيداً من أجلها. بل درس لأنه كان صاحب لون جديد في الشعر العربي مما جعله رائداً فيه، وسبباً لذيوعه وانتشاره فيما بعد أعني به الشعر المذهبي، الذي اتخذ سمات ومميزات واضحة المعالم في العصر العباسي، وجمع حوله الشعراء، كلٌ يدافع عن معتقده أو مذهبه الديني أو السياسي. ولكن الذي يجب أن نلاحظه في شعر الكُميت دون سواه تلك الخصائص المميزة التي امتاز بها شعره المذهبي، فهو يقوم على الحجج والادلّة العقلية يثبت شرعية الفكرة التي استقرت في ذهنه، فهو لا يريد أن يخاطب عواطف الناس، ويهز مشاعرهم فحسب، ولكنه يريد أيضاً أن يخاطب عقولهم، ويثير في أذهانهم ألواناً من التفكير في الحق الشرعي الذي اغتصبته فئة ظالمة باغية»[1] وهكذا لم يعد الشعر عند الكُميت يعبر عن الشعور فحسب، بل أصبح

---

(١) حياة الشعر في الكوفة ص: ٧١٢.

يعبر أيضاً عن الفكرة، وأصبح يشفع بكل ما وصل اليه الفكر العربي في هذا العصر من قدرة على الجدال والاقناع»[1] وهذا الاسلوب الذي اتخذه الكُميت قد أسبغ على الشعر العربي حلّة جديدة لم يعرفها من قبل، فقديماً كان الشاعر ينظم الأبيات القليلة في الدفاع عن رأي أو عقيدة، بينما الكُميت كرّس لها أغلب شعره.

ميزة أُخرى امتاز بها الكميت هي أنه كما قال الجاحظ: «استطاع أن يجمع بين القدرة على الشعر، والقدرة على الخطابة»[2] مما أعطى الشعر نكهة خاصة، وتذوقاً مميزاً.

ومن الأمور التي حاز فيها الكُميت قصب السبق في شعره وخاصة الهاشميات ـ شيئان: مقدماتها، وخواتيمها.

فبالنسبة للمقدمات: فهي ليست كالمقدمات التقليدية التي تدور حول الوقوف على الأطلال، وبكاء الديار، ووصف الدمن والآثار، بل تدور حول السخرية من هذه جميعاً فهي لم تعد مرتبطة بالانسان الذي كان يعيش عليها بأية رابطة، لقد تركها ونسيته، ولا تبدي أي حزن على فراقه، فكيف يجوز لهذا الانسان أن يبكي على تلك الآثار.

ولم تكن المقدمات الطللية هي وحدها التي وقف الكميت منها موقفاً سلبياً، بل نجده يقف موقفاً سلبياً من النسيب حين يبرز كما يقول «(فوك) في صورة التأكيد أن قلبه ليس ملكاً للغواني، ولا يطمح الى حب النساء، وان طربه لا يرجع الى شوق أو غرام»[3]، وهو عندما يستخدم النسيب فإنما يستخدمه كجسر تقليدي كان الشعراء القدماء يتغنون في إقامته

---

(١) التطور والتجديد ففي الشعر الأموي ص: ٢٣١.

(٢) البيان والتبيين ج١ ص: ٤٥.

(٣) العربية لفك ص: ٤٠ ـ ٤١.

ويتنقلون عليه من مقدماتهم التقليدية، الى موضوعات قصائدهم، وكأنه كان يرى في هذه المقدمات تمهيداً طبيعياً لموضوعه الأساسي»[1] وهو مدح آل النبي (ص).

من هنا نجد أن الكميت قد فتح طريقاً لمن جاء بعده من الشعراء ليقفوا موقفه، وان اختلف السبب الذي من أجله كان ذلك الوقوف. ولكن في النتيجة كانت الغاية من الوقوف هو وصف الصحراء، وما يعيش فيها من حيوانات كلها تشكوا مع الانسان شظف العيش، ومرارة التنقل وراء الكلأ. وقد أثار موقف الكميت التجديدي حفيظة الفرزدق، واستهجانه عندما سمعه يقول: (طربت وما شوقاً الى البيضِ أطرب) فقال له تعليقاً على مقدمتها: «قد طربت الى شيء ما طرب إليه أحد قبلك، فأما نحن مما نطرب، ولا طرب من كان قبلنا إلا الى ما تركت أنت الطرب اليه»[2]. فمقدمة الكميت شيء أثار استهجان الفرزدق لأنه جاء بما هو يخالف ما اصطلح عليه القدماء.

ولا يقتصر خروج الكُميت على تقاليد القصيدة العربية على المقدمات فحسب، بل تناول الخواتيم أيضاً خاصة في هاشمياته، فقد لاحظنا من دراستنا لهاشمياته كيف أنه يبدأ الحديث عن رحلته الى بني هاشم، وما لاقاه في مسيره من مصاعب، وعناء، ثم وصفه لما شاهده أثناء المسير لوحوش الصحراء وحيواناتها وكما كان ينشأ بينها وبين الصيادين من صراع، وتحط به الرمال أخيراً في ديار بني هاشم الذين يحبهم بعدما مدحهم ووصف ما هم فيه من صفات الكمال. هذا الموقف من الكميت يخالف ما اعتدنا أن نسمعه من الشعراء الجاهليين وغيرهم الذين يجعلون وصف الحيوانات وصيدها في ثنايا قصائدهم.

---

(١) حياة الشعر في الكوفة ص: ٧١٧.

(٢) الأغاني ج١٥ ص: ١١٩.

ومما تميز به أسلوب الكميت الغني بالإضافة الى موقفه من مقدمة الشعر وخواتيمه. تلك الاطالة في عرض الفكرة، والذي استدعاه الى ذلك فكره العقائدي، فهو يعرض الفكرة ثم يعمل جاهداً للبحث عمّا يتسلح به لاثبات صحة تلك الفكرة، وهي الدعوة لبني هاشم. وعندما انتقد في ذلك راح يدافع عن نفسه بما يشبه الاعتذار فقال: «أنا على القصار أقدر»(١).

إن دراسة الكميت إذاً قامت لأسباب أقل ما فيها: أنها جاءت لاعطاء شاعر ما يستحقه من الثناء، تقديراً له على تلك الانجازات الكثيرة التي قام بها، والتي يعتبر فيها رائداً ومؤسساً، ولا عجب أن ينال الكميت ثناءً، وجوائز خصومه السياسيين. قبل أن ينال ثناء وجوائز من يؤيد ويناصر: «ألم يعجب به هشام بن عبد الملك حتى قال بعد أن سمع مدحه له «هكذا فليكن الشعر»(٢). وألم يقل أبو جعفر محمد بن علي الباقر بعد أن سمع مدحه لبني هاشم: يا كُميت لو كان عندنا مال لأعطيناك، ولكن لك ما قال رسول الله (ص) لحسان بن ثابت: لا زلت مؤيداً بروح القدس ما ذببت عنا أهل البيت»(٣). هذا بالاضافة الى ما أثنى عليه به القدماء من النقّاد والمحدثين.

وهكذا نستطيع أن نقول بأن الكميت كان علماً ظاهراً في عصره، استوجب إثارة الانتباه نحوه، والتعرض اليه بالمدح أو الذم، وهذه هي صفات العظماء دائماً، وإذا كان مبدأ القول: خالف تُعرف، فان الكميت لم يخالف إلا بناء لقناعة خاصة، واجتهاد شخصي، ومستوى فكري تفرد به بين شعراء عصره، فقد شق لنفسه «درباً جديداً غير مألوف من سابقيه ومعاصريه، فسار فيه، وأظهر في ذلك براعة فائقة، إذ حول شعره من

---

(١) البيان والتبيين للجاحظ ج١ ص: ١٤٧ طبعة دار الفكر للجميع ١٩٦٨.
(٢) الأغاني طبعة بولاق ج١٥ ص: ١١٩.
(٣) مروج الذهب ج ٣ ص: ٢٤٥.

ميادين العاطفة الى ميادين الفكر، وجعله كأنه مقالة يكتب فيها عن نظرية بني هاشم في الخلافة، وهو يجمع لهذه المقالة الخيوط من هنا وهناك، أو قُل المقدمات ليكون ما يريد من حجج وأدلّة»[1].

وهل يشق الطريق إلا من كان يعرف قدر نفسه، ويثق بإمكانياته المتوفرة بين يديه، وأية ثقة بالنفس ترقى الى مستوى أن يقف شاعر متحدياً أربعين شاعراً ويَأبى إلا أن يكون هو الحائز قصب السياق: «حدث ابراهيم بن محمد بن عرفة الازدي عن عبد الله بن اسحاق قال: أتى الكميت باب مجلس يزيد بن المهلب يمتدحه، فصادف على بابه أربعين شاعراً؟ فقال للآذن: استاذن لي على الأمير، فاستأذن له عليه فأذن له، فقال: كم رأيت بالباب من شاعر؟ قال: أربعين شاعراً قال: فأنت جالب التمر الى هجر؟ فقال: إنهم جلبوا دقلاً[2] وجلبت زاداً، فقال: هات زادك فأنشده:

هلّا سألت منازلاً بالأبرق ... درست وكيف سؤال من لم ينطق
ما ذاق بؤس معيشة ونعيمها ... فيما مضى أحد إذا لم يعشق

حتى بلغ الى قوله:

من قال بتْ أخا الهموم ومن يبت ... غرض الهموم وَنصْبَهنَّ يُؤرَّقِ
بشَّرتُ نفسي إذ رأيتك بالغنى ... ووثِقْتُ حين سمعت قولك لي ثقِ

فأمر بالخلع عليه حتى استغاث، فقال: أتاك الغوث، إرفعوا عنه[3] ويثير إعجاب الممدوحين فينال سخاء عطاياهم. كل ذلك نتيجة للخبرة في النفس الانسانية التي امتلكها الكميت، فعرف أسرار القلوب، وما يختلج فيها. مما مكّنه من التلاعب بها كيفما شاء.

---

(١) التطور والتجديد في الشعر الاموي ص: ٢٨١.

(٢) الدقل: أردأ التمر.

(٣) حاشية آمالي المرتضى ج ١ ص ٥٩ - ٦٠.

ولم يكن التفوق على الشعراء لكسب العطاء هو وحده ما امتلكه الشاعر، بل نجد تفوقه على فحول رواة الشعر، وحافظي أسرار اللغة، فقد كان يتلاعب بعلوم هؤلاء ومعرفتهم، كما يتلاعب الطفل بدميته. وما صراعه مع حماد الراوية إلا خير دليل على ما نقول: «اجتمع الكميت بن زيد وحماد الراوية في مسجد الكوفة فتذاكرا أشعار العرب وأيامها فخالفه حماد في شيء ونازعه فقال له الكميت أتظن أنك أعلم مني بأيام العرب وأشعارها؟ قال: وما هو إلا الظن هذا والله هو اليقين فغضب الكميت ثم قال له: ألكم شاعر بصير يقال له عمرو بن فلان تروي ولكم شاعر أعور أو أعمى اسمه فلان بن عمرو تروي. فقال حماد قولاً لم يحفظه فجعل الكميت يذكر رجلاً رجلاً من صنف صنف ويسأل حماداً هل يعرفه؛ فاذا قال لا: أنشده من شعره جزءاً جزءاً حتى ضجر من حضر، ثم قال الكميت: فإني سائلك عن شيء من الشعر فسأله عن قول الشاعر:

طرحوا أصحابهم في ورطة　　　قذفك المقلة شطر المعترك

فلم يعلم حماد تفسيره فسأله عن قول الآخر:

تدريننا بالقول حتى كأنما　　　تدرين ولداناً تصيد الرهادنا

فأفحم حماد[1].

وقد رأينا في شرح نهج البلاغة كيف ردّ ابن أبي الحديد على الاصمعي الذي انتقد الكميت في استخدامه لفظي أبرق وأرعد، وكيف ساق ابن أبي الحديد مثالاً من نهج البلاغة للإمام علي يؤيد صحة استخدام الكميت لهذين اللفظين.

---

(١) الأغاني ج١٥ ص: ١١٣ ـ ١١٤ (طبعة بولاق).

# المصادر والمراجع

## أولاً : المصادر


١) **الآمدي : أبو القاسم الحسن بن بشر بن يحيى الآمدي.**

أ ـ المؤتلف والمختلف. تحقيق عبد الستار احمد فراج مطبعة عيسى البابلي الحلبي وشركاه سنة ١٩٦١ م.

ب ـ الموازنة : طبعة دار المعارف تحقيق السيد أحمد صقر سنة ١٩٦١ م.

٢) **الأبشيهي : شهاب الدين أبو الفتح.**

المستطرف في كل فن مستظرف. دار الأمم للطباعة والنشر طبعة أخيرة بدون تاريخ.

٣) **ابن الأثير : عز الدين علي بن محمد.**

أ ـ الكامل في التاريخ ليدن سنة ١٨٦٧ م.

ب ـ أسد الغابة في معرفة الصحابة. دار احياء التراث العربي بيروت لبنان.

٤) **الأصفهاني : أبو الفرج : علي بن الحسين.**

أ ـ الأغاني : طبعة بولاق، وساسي، ودار الكتب.

ب ـ مقاتل الطالبيين دار احياء علوم الدين بيروت سنة ١٩٦٠.

٥) البغدادي : الحافظ أبو بكر أحمد بن علي بن الخطيب البغدادي.

تاريخ بغداد مطبعة السعادة بالقاهرة ـ طبعة أولى سنة ١٩٣١ .

٦) البغدادي : عبد القادر بن عمر البغدادي.

خزانة الأدب ولب لسان العرب ـ الطبعة الأميرية ـ بولاق سنة ٢٩٩ هـ.

٧) الجاحظ أبو عثمان عمرو بن بحر :

أ ـ البيان والتبين لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٤٨ .

ب ـ الحيوان : مطبعة الحلبي تحقيق عبد السلام محمد هارون طـ ١ .

٨) ابن جني أبو الفتح .

الخصائص : تحقيق محمد علي البخار. دار الهدى للطباعة والنشر بيروت ـ لبنان .

٩) ابن أبي الحديد :

شرح نهج البلاغة دار الكتب العربية الكبرى بمصر ١٣٢٩ .

١٠) ابن خلكان .

وفيات الاعيان طبعة أخيرة عيسى البابلي وشركاه .

١١) ابن رشيق القيرواني : أبو علي الحسن بن رشيق .

العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده. تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد مطبعة السعادة بمصر ١٩٦٣ .

١٢) ابن سلام محمد بن سلام الجمحي .

طبقات الشعراء. دار النهضة العربية بيروت .

١٣) **السيوطي. العلامة عبد الرحمن جلال الدين السيوطي.**

المزهر في علوم اللغة وأنواعها تحقيق علي محمد البجاوي وزملاؤه دار احياء الكتب العربية.

١٤) **الطبري : أبو جعفر محمد بن جرير.**

تاريخ الأمم والملوك. دار احياء التراث العربي - بيروت - لبنان - بدون طبعة وتاريخ.

١٥) **ابن عبد ربه. أبو عمر احمد بن محمد الأندلسي.**

العقد الفريد - مطبعة التأليف والترجمة والنشر القاهرة طبعة ثانية ١٩٦٥.

١٦) **عبدالله بن مسلم بن قتيبة .**

الشعر والشعراء. تحقيق أحمد محمد شاكر.

١٧) **القرشي : أبي زيد محمد بن أبي الخطاب.**

جمهرة أشعار العرب. دار بيروت للطباعة والنشر ١٩٨٤ .

١٨) **القيرواني : أبو اسحاق ابراهيم بن علي الحصري.**

زهر الآداب وسمر الألباب. تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد مطبعة السعادة بمصر سنة ١٩٦٣ م.

١٩) **الكميت بن زيد.**

هاشميات الكميت منشورات مؤسسة الأعمى للمطبوعات بيروت.

٢٠) **المبرد : العلامة أبي العباس محمد بن يزيد.**

الكامل في اللغة والأدب. مكتبة المعارف بيروت.

٢١) المرتضى. علي بن الحسين الموسوي العلوي.

آمـالي المـرتضى. تحقيق محمـد أبـو الفضـل ابـراهيم. دار الكتـاب العربي.

٢٢) المرزباني

أ ـ معجم الشعراء (مطبعة القدسي بالقاهرة ١٣٥٤).

ب ـ الموشح (المطبعة السلفية بمصر ١٣٤٣).

٢٣) المسعودي : أبي الحسن علي بن الحسين

مروج الذهب. تحقيق محمـد محي الدين عبـد الحميد ط ٤ ١٩٦٤. السعادة بمصر.

٢٤) ابن النديم

الفهرست. دار المعرفة للطابعة والنشر بيروت ـ لبنان.

## ثانياً : المراجع

ـ أ ـ


١) أمين أحمد

ضحى الاسلام مكتبة النهضة المصرية ـ الطبعة السابقة بدون تاريخ .

٢) النص إحسان

العصبية القبلية وأثرها في الشعر الأموي دار الفكر ط ٢ سنة ١٩٧٣ .

٣) أنيس ابراهيم

أ ـ من اسرار اللغة ـ مكتبة الأنجلو المصرية ـ طبعة رابعة سنة ١٩٧٢ م .

ب ـ موسيقى الشعر ـ دار الفكر للطبع والنشر ـ القاهرة بدون طبعة وتاريخ .

٤) الأمين محسن

أعيان الشيعة . حققه وأخرجه ولده حسن الأمين مطبعة الانصاف سنة ١٩٥٨

٥) الجبوري يحيى :

الإسلام والشعر ومنشورات مكتبة النهضة بغداد سنة ١٩٦٤ .

٦) الشايب احمد

تاريخ الشعر السياسي ط ٣ سنة ١٩٦٢ م مكتبة النهضة المصرية .

٧) الشكعة مصطفى

رحلة الشعر من الأموية الى العباسيـة دار النهضة العـربية سنة ١٩٧١.

٨) ضيف شوقي

التـطور والتجديـد في الشعر الأمـوي طـ ٥ دار المعـارف بمصر.

٩) العاني سامي مكي

الاسلام والشعر عالم المعرفة يونيو حزيران سنة ١٩٨٣.

١٠) عنبـر أحمد محمد

قضية الأدب بين اللفظ والمعنى ـ دار الكتاب العربي بمصر سنة ١٩٥٤.

١١) القاضي نعمان

الفرق الاسلامية في الشعر الأموي دار المعارف بمصر.

١٢) القلماوي سهير

أدب الخـوارج في العصر الأمـوي ـ مطبعـة لجنـة التـأليف والتـرجمـة والنشر ـ القاهرة ١٩٤٥م.

١٣) محمد شرف حنفي

الصـور البيانيـة بين النظريـة والتـطبيق ـ دار نهضـة مصر للطباعة والنشر طبعة أولى سنة ١٩٦٥.

١٤) هدارة محمد مصطفى

أ ـ اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني الهجـري طبعة ثانية دار المعارف بمصر بدون تاريخ.

ب ـ مشكلة السـرقات في النقـد العـربي ـ مكتبـة الانجلو المصـريـة سنة ١٩٥٨.

## ب ـ الترجمة


١٥) بروكلمان

تاريخ الأدب العربي ترجمة الدكتور عبد الحليم النجار طبعة ثانية دار المعارف بمصر.

١٦) فلوتن فان

السيادة العربية والشيعة والاسرائيليات في عهد بني امية ترجمة حسن ابراهيم من طـ ، مطبعة النهضة المصرية.

١٧) فوك يوهان

العربية ـ ترجمة وتحقيق عبد الحليم نجار ـ مطبعة دار الكتاب العربى القاهرة سنة ١٩٥١.

# الفهرس

## الفصل الرابع
## شعر الكميت في ميزان النقد الأدبي



## المصادر والمراجع